

الصحافة المكتوبة في الجزائر



ديوان المطبوعات الجامعية

الكتب الصادرة للمؤلف:

مدخل لعلوم الإعلام والاتصال   ماي 2007

رقم النشر: 4.04.5319
رقم ر.د.م.ك(ISBN): 978.9961.0.1565.0
رقم الإيداع القانوني: 2012-1367

الصحافة المكتوبة في الجزائر

زهير إحدادن

رقم النشر: 4.04.5319
رقم ر.د.م.ك(ISBN): 978.9961.0.1565.0
رقم الإيداع القانوني: 2012-1367

مقدمــة

إن هـذا الكتـاب عبـارة عن مجموعة من المقـالات نشرت في الصحف والمجلات الجزائريـة ومن المحـاضرات ألقيت أثنـاء منـاسبـات مختلفـة ولقـد ظهر لي أن هـذا المجهود الذي بذل مدة عشر سنوات في إبراز بصفـة دقيقـة علميـة عـدة جوانب من تطور الصحافة في الجزائر ، قد يكون في حد ذاته مـادة كافيـة لأصـداره في شكل كتاب أو كتيب قد يستفيد منه الطلبة بصفة خاصة ولا يستغني عنه جمهور القراء بصفة عامة . وبعد ترتيب منطقي للمقالات والمحـاضرات وجـدت أنـه يمكن تقسيم هذا الكتاب الى قسمين كبيرين القسم الأول يشمل تطور الصحافـة الجزائريـة قبل الإستقلال ونظراً لطبيعـة ومضمـون هـذا القسم فقـد قسمتـه الى فصلين ، فـالفصـل الأول يتضمن سلسلة من المقالات نشرت في جريـدة «الشعب» تعطي نظرة عـامـة لهذا التطور وأضفت الى هذه السلسلة قائمة لجميع الصحف الجزائرية الإسلاميـة التي ظهرت قبل الإستقلال وهـذه القـائمـة لم تنشر من قبل وفـائـدتهـا كبيرة لفهم هـذا التطور ، وفي الفصل الثاني يجد القارئ دراسـات جزئيـة تتنـاول بـالتفصيل بعض الجوانب التي ورد ذكرها في الفصل الأول بالاختصار .

أمـا القسم الثـاني فهـو مبني على منوال القسم الأول ويشمـل تطـور الإعـلام الجزائري بعـد الإستقـلال ويتضمن فصلين ، في الفصـل الأول سلسلـة من المقـالات نشرت كـذلـك في جريـدة الشعب وتعطي نظرة عـامـة لهـذا التطور وأضفت الى هذه السلسلة دراسـة موجزة لتطور الإذاعـة والتلفزيون «في الجزائر منـذ بـدايتهـا ووجود هذه الدراسة يبرز نوعا مـا تعويض كلمـة «الصحـافـة بـالأعلام» في عنوان هذا القسم ، وفي الفصل الثاني أدرجت بعض الدراسات الجزئية لم تنشر بعـد ، من بينها دراسة بعنوان «وضع الصحافة بعد حوادث 1988» . وهي دراسة طلبتها مني «الأليسكو» التابعة للجامعة العربية لتنشر ضمن كتابات حول الصحافة الجزائرية .

وختمت الكتاب بمحاضرة حول «تطور اشكال التبليغ في الجزائر» ورأيت أن هذه المحاضرة أنسب ما تكون كخاتمة لأنها تتناول جميع ما جاء في القسمين من الكتاب من زاوية «التبليغ» وتعطي حوصلة مختصرة لتطور هذا المفهوم عبر المراحل المختلفة لتاريخ الجزائر .

ثم أنني رأيت أن الصحافة الجزائرية ليست هي في الحقيقة الأجزاء من الصحافة العربية التي هي ليست الأجزاء من الصحافة العالمية وقلت أنه يستحسن أن يكون لهذا الكتيب مدخل يتناول من جهة تطور الصحافة في العالم ومن جهة أخرى علاقة الصحافة بكتابة التاريخ علماً بأن الصحافة زيادة على مهمتها الأخبارية فهي مصدر ثمين لكتابة التاريخ .

وبهذا أرجو أن يحمل هذا الكتاب جزءاً من الفائدة التي ينتظرها القارئ منه عندما يفتحه ، ونظراً لطبيعة هذا الكتاب كما شرحته في الأسطر السابقة فانني استسمح القارئ من العيوب الكثيرة التي يجدها عند مطالعته لهذا الكتاب ، ومن هذه العيوب التكرار في ذكر بعض الصحف أو بعض المظاهر من تطور الصحافة التي هي لا محالة واردة لأن كل دراسة مستقلة في حد ذاتها ووضعت في ظروف مستقلة لا علاقة لها بالدراسات الأخرى وظروفها ، وفضلت أن أبقى لكل دراسة وحدتها وأن لا أحذف منها ما ورد في دراسة سابقة ولعل في الإعادة إفادة .

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

المؤلف

الجزائر في أفريل 1991

تمهيد

1 علاقة تاريخ الصحافة بالتاريخ العام

2 تاريخ الصحافة في العالم

علاقة تاريخ الصحافة بالتاريخ العام

إن الباحث الذي يكتب عن تاريخ الصحافة يواجه في أول وهلة مشكلاً أساسياً وهو أنه لا يستطيع أن يفرق بين ما هو خاص بالصحافة وما هو خاص بالتاريخ العام فالتداخل الموجود بينهما عميق جداً الى درجة أن من يؤرخ للصحافة يجد نفسه يكتب التاريخ العام والعكس كذلك من يكتب في التاريخ العام يجد نفسه يكتب عن الصحافة .

والحقيقة أن هذا التداخل قديم يرجع الى ظهور الصحافة التي أصبحت بدورها مرجعاً هاماً للتاريخ ، فكما أن المؤرخين كانوا قديماً يعتمدون بعضهم على بعض - نجد مثلاً ابن خلدون يعتمد على البكري والمسعودي وابن الأثير .. إلخ - فان المؤرخين أصبحوا بعد ظهور الصحافة يعتمدون عليها ويذكرونها ويتحدثون عنها ويؤرخون لها (مثلاً الأستاذ قداش يؤرخ للصحافة الجزائرية في كتابه حول الحركة الوطنية في الجزائر) ...

ولقد تعدى هذا التداخل ميدان التاريخ العام الى ميادين أخرى إذ نجده في الميدان الأدبي كذلك لأن الصحافة مع تطورها أصبحت فناً أدبياً يرجع إليها الأديب والناقد ويذكرها ويكتب عنها . (مثلاً محمد ناصر يكتب عن المقالة الأدبية ولكنه يجد نفسه يؤرخ للصحافة الجزائرية) ...

وعلى هذا فإن الكتابة عن تاريخ الصحافة تؤدي لا محالة الى الالمام بالتاريخ العام والى الكتابة عنه والاحاطة به وبجميع ما يتعلق به .

ولكي نفهم هذا التداخل ونشرحه ونحلله يجب أن نرجع أولاً الى مفهوم التاريخ وثانياً الى تعريف الصحافة .

أ - مفهوم التاريخ :

- يقول المسعودي : أما بعد فإننا صنفنا كتاباً في أخبار الزمان .

- ويقول الطبري وابن الأثير : «الزمان عبارة عن ساعات الليل والنهار» ومعنى هذا الزمان - ويقصد به التاريخ - هو رواية الأحداث التي وقعت من قبل .

- وهذا ما يؤكده ابن خلدون عندما يقول : «أن فن التاريخ ... في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأولى» .

ويقول ابن خلدون أيضاً : التاريخ انما هو ذكر الأخبار الخاصة بعصر أو جيل فأما ذكر الأحوال العامة للآفاق والأجيال والأعصار فهو أس للمؤرخ تنبني عليه أكثر مقاصده وتتبين به أخبار» .. ومن خلال هذه التعاريف الدقيقة نفهم أن التاريخ عملية نقل الأخبار التي حدثت ومضت .

ولقد مرت كتابة التاريخ على مرحلتين كبيرتين .

1) مرحلة نقل الخبر وهي مرحلة تقترب فيه كتابة التاريخ من الكتابة والأسلوب الذي تستعمله الصحافة اليوم .

2) مرحلة تحليل الأحداث وربطها بالمحيط كما يشير ابن خلدون .

أما المرحلة الأولى فكانت بسيطة حتى أنها أصبحت محل ازدراء إذ يقول ابن الأثير : «ولقد رأيت جماعة ممن يدعي المعرفة والدراية ويظن التبحر في العلم والرواية يحتقر التواريخ ويزدريها ويعرض عنها ويلغيها ظناً منه ان غاية فائدتها انما هو القصص والأخبار ونهاية معرفتها الأحاديث والأسمار وهذا حال من اقتصر على القشر دون اللبّ» ...

وهكذا نرى أن ما قيل في التاريخ ممكن أن يقال اليوم في الاعلام إذ هناك جماعة تزدري الاعلام وترى انه تسلية ولعب وراحة .

وتفادياً لهذا الازدراء حاول بعض المؤرخين مثل ابن الأثير وابن خلدون أن يضعوا للتاريخ قواعد علمية سلبية .

فيقول ابن خلدون : «ان فن التاريخ ... محتاج الى مآخذ متعددة ومعارف متنوعة وحسن نظر وتثبت ينفيان بصاحبها الى الحق وينكبان به عن المزلات والمغالط لأن الأخبار اذا اعتمد فيها على مجرد النقل ولم تحكم أصول العادة وقواعد

السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني ولا قيس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذاهب فربما لم يؤمن فيها من العثور وزلة القدم والحيد عن جادة الصدى .

ابن خلدون يتحدث عن نقل الخبر وعن الصدق ، إذ لا يكفي نقل أي خبر وانما يشترط التحقق من صدق الخبر ، ونحن نعلم أن ابن خلدون عاب على المؤرخين نقلهم لأحداث لا يقبلها العقل والتقرب من الصدق له قواعد ...

واذا طبقنا هذه الطريقة على الصحافة فإننا نجد أنها تثير مشكلة الموضوعية التي هي محل جدال طويل عند الصحافيين .

ب - مفهوم الصحافة :

على ضوء ما قدمناه سابقاً فيما يخص تعريف التاريخ فانه يتبين لنا أن التاريخ والصحافة يؤديان مهمة واحدة وهي نقل الخبر مع جميع الشروط التي تتعلق بهذه العملية ، فالصحافة هي مرآة للحياة في المجتمع بجميع أنشطته وهي سجل للوقائع يوماً بعد يوم أو أسبوعاً بعد أسبوع أو غير ذلك .

والتاريخ ليس هو إلا صحيفة جامعة .

والفرق بينهما هو حداثة الأحداث فالتاريخ يتناول الأحداث القديمة أما الصحافة فهي تتناول الأحداث الآنية وقد تظهر شخصية المؤرخ أكثر من شخصية الصحافي لأن المؤرخ يجمع الأحداث ويشرحها وفي وسعه أن يفعل ذلك لأنه يعرف ما خلفته هذه الأحداث اما الصحافي فهو يطرح الأحداث في بساطتها وليس له وسع ليعرف نتائج هذه الأحداث .

جـ - كتابة تاريخ الصحافة :

ولقد بدأت تظهر أهمية الصحافة منذ نشأتها واعتبرت كنوع لكتابة التاريخ وما أنفكت تزداد هذه الأهمية بتطور الصحافة وبالدور الذي أصبحت تلعبه في التأثير السياسي .

وهذه الأهمية جعلت الباحثين يهتمون بكتابة تاريخها ولكن هذا الاهتمام كان متقطعاً ؛ والكتب الأولى حول هذا الموضوع يرجع صدورها الى القرن التاسع

عشر وبالضبط الى حوالي سنة 1850 في ألمانيا كتب برونتز : «تاريخ الصحافة» وفي فرنسا كتب هاتين : «تاريخ الصحافة الفرنسية» ثم انقطع الاهتمام بكتابة تاريخ الصحافة حتى حوالي 1930 مع ظهور النشاط الأمريكي حول تأثير الصحافة فرجع الاهتمام بكتابة تاريخ وسائل الإعلام .

أما في العالم العربي فان أول اهتمام بكتابة تاريخ الصحافة يرجع عهده الى سنة 1913 : فكتب فيليب دي ترازي تاريخ الصحافة العربية غير أن الاهتمام بهذا الميدان انقطع بعد ذلك ولم يعد الاهتمام بأحداث الصحافة إلا بعد الحرب العالمية الثانية أما في الجزائر فان الاهتمام بهذا الميدان مازال لم يتبلور بعد رغم ظهور بعض الدراسات الجزئية .

د - منهجية تاريخ الصحافة :

قد تختلف هذه المنهجية حسب الهدف الذي نرمي إليه ، وباختصار يمكننا أن نشير الى ثلاث حالات مختلفة :

1) نؤرخ للصحافة : يعني نحدد فترة زمنية ثم نحصي الصحف التي ظهرت في هذه الفترة ثم نستخرج المشاكل التي واجهت الصحافة في هذه الفترة وبعد الدرس والتحليل نقدم كل هذا حسب المراحل التاريخية .

في هذه الطريقة يمكن أن نحدد الموضوع لبلد ما أو لناحية من هذه البلدان أو لمجموعة من البلدان .

ومهما يكن فان المحور في هذه الطريقة هو تطور الصحافة .

2) نؤرخ لصحيفة واحدة : وهذا الموضوع محدد باختيار الصحيفة ، فانك مضطر أن تأخذ الصحيفة من بدايتها الى نهايتها يعني أن الصحيفة هي التي تحدد الفترة الزمانية ، والصحيفة كما قلنا سجل كبير للتاريخ ، ففي الفترة الزمانية التي ظهرت فيها الصحيفة تتعرض للأحداث التاريخية التي وردتها الصحيفة وللتعاليق التي نشرت حول هذه الأحداث ونتعرض لمدى موضوعية الصحيفة والأحداث الداخلية التي من الممكن أن تكون الصحيفة قد عاشتها يعني التغييرات في المسؤولين وفي شكلها وربما في اتجاهها السياسي والثقافي ، يعني أن هذه الطريقة في الحقيقة تؤدي بنا الى هدفين كتابة تاريخ الصحافة وكتابة تاريخ الفترة .

3) **نكتب التاريخ كما وردته الصحف** : يعني نختار حادثاً تاريخياً أو سلسلة من الأحداث ونتبع أخبارها في عدد معين من الصحافة أو في مجمل الصحافة التي ظهرت في ذلك الوقت وهذه الطريقة ثرية من جهتين بالنسبة للتاريخ لأنها تعطينا صورة حية للحدث كما هو وكما فهمه أهل الزمان وبالنسبة للصحافة لأنها تبين وتشرح موقف الصحافة من الحدث والحقيقة أن هذه الطريقة هي التي يلجأ إليها المؤرخون ولكن المؤرخين لا يكتفون بما أوردته هذه الصحف بل يحققون ذلك بالمراجع الأخرى ، ولهذا فان كتب التاريخ قد تكون أحياناً وفي نفس الوقت تاريخاً للصحافة ، كما أشرنا لذلك من قبل .

وينبغي أن نلاحظ أن تحليل المضمون لا يعتبر طريقة لكتابة تاريخ الصحافة ولكن هو وسيلة يستعان بها فتحليل المضمون يعطينا احصائيات ومعايير نستخرجها من عدد أو من أعداد صحيفة ما ففيه كيل ووزن للصحيفة ممكن أن تقيد المؤرخ كما أنها ممكن أن لا تفيده .

ومما لاشك فيه أن منهجية تاريخ الصحافة مع تخصصها تعتمد أساساً على المنهجية المتبعة في التاريخ العام وفي كثير من العلوم الاجتماعية .

لماذا منهجية تاريخ الصحافة ؟

إن اللجوء الى تدريس المنهجية هي نقطة بيداغوجية أكثر إذ تجعل تدريس مادة تاريخ الصحافة موضوع حوار مستمر بين الأستاذ والطالب .

والمنهجية مع أن هدفها هو الوصول الى الحقيقة العلمية فهي في ذاتها خالية من العلمية المضبوطة فلكل فرد منهجيته حسب قدرته العلمية وحسب الوثائق التي لديه وحسب طبعه الخاص ، فتدرس المنهجية في الحقيقة هو اعطاء الارشادات وشرح بعض الوسائل ليست إلا وسائل .

العلاقة بين التاريخ العام وتاريخ الصحافة :

العلاقة وثيقة فالصحافة تعتبر مادة خام لكتابة التاريخ العام ، فهي من المراجع الهامة ، كعلم الآثار ...

ولكن أهمية الصحافة في الميدان السياسي والثقافي وتأثيرها في المجتمع جعل

الباحثين يهتمون بها في حد ذاتها كظاهرة اجتماعية لها مكانتها وقيمتها حتى أن البعض قد تحدث عنها ووصفها بأنها تكون **السلطة الرابعة** .

وأهميتها ما انفكت تزداد وتكبر حتى صار العلماء والسياسيون اليوم يتكلمون عن الصحافة والاعلام كحق من حقوق الإنسان .

وهذه المكانة جعلت الباحثين يهتمون بكتابة تاريخها .

تاريخ الصحافة في العالم

ان الصحافة ظاهرة عصرية لم تكن معروفة في القديم ولكن الاعلام وبالأخص الاتصال بجميع أشكاله ظاهرة اجتماعية عرفها الإنسان مع ظهوره على هذه الأرض فالرغبة للاتصال بالغير وللتعريف به ولتبليغه شعوره واحساسه فطرة خلقها الله في الإنسان ، وهذه الفطرة تدفعه الى اكتشاف الوسائل الضرورية للقيام بعملية الاتصال كالإشارة أو الكلام أو الكتابة .

الصحافة في القديم :

ومما لاشك فيه أن الكتابة هي الوسيلة التي جعلت الإنسان يقترب شيئاً فشيئاً الى اكتشاف الصحافة العصرية والمؤرخون يذكرون أن الكتابة استعملت كأداة لتبليغ الناس بما يحدث لأول مرة في مدينة روما عند أوج حضارتها فلقد كان مجلس الشيوخ في هذه المدينة يسجل مداولاته ثم يعلقها ليظلع عليها الجمهور وكانت تسمى هذه التسجيلات «بالأحداث العامة» ، وكانت في نفس الوقت تصدر في مدينة روما أوراق أخرى تتحدث عن بعض الوقائع مثل الزواج أو الوفيات أو الحفلات أو الأعياد وكانت هذه الأوراق تسمى «الأحداث اليومية» ، ولم تكن تصدر بصفة منتظمة بل كانت تظهر حسب الظروف .

ولقد عرفت الجزيرة العربية قبل الإسلام هذه الظاهرة ويمكن اعتبار «المعلقات» رغم طابعها الشعري والأدبي كأوراق تتضمن أخباراً وحوادث شاهدها الشاعر في قبيلته وسجلها وبلغها الى الناس بالكتابة وتعتبر هذه المعلقات أحسن تنظيم من أوراق روما لأنها كانت تعلق كل سنة بمناسبة اقامة سوق عكاظ وكانت تسمى كذلك بالحوليات .

ولقد عرف الأدب العربي كذلك بعد انتشار الإسلام نوعاً جديداً هو الرحلة

تقترب في مضمونها وفي أسلوبها مما يسمى اليوم في الكتابة الصحفية «بالربورتاج» ولكن الرحلة لم تنتظم كوسيلة اعلامية بل بقيت تظهر كنوع أدبي مثل الشعر والمقامات .

وفي أوروبا نجد هذا النوع من الصحافة البدائية يظهر بإيطاليا في القرن الرابع عشر الميلادي بحيث بدأت تصدر أوراق تسمى «الاعلانات» وكانت هذه الأوراق تنسخ باليد وتباع للإمراء والأغنياء ولكنها لم تكن منتظمة بل تظهر حسب الظروف ، والأمر الجديد فيها هو أنها لا تعلق ولكن تباع وبالتالي فان جمهورها ضيق .

الصحافة العصرية في أوروبا

ومع اكتشاف المطبعة وانتشارها في القرن الخامس عشر بدأت هذه الأوراق تتطور وتأخذ أشكالاً متنوعة نذكر منها :

1) **أوراق المناسبات** في فرنسا وألمانيا وإيطاليا . وهي عبارة عن كراسات فيها 4 أو 8 أو 16 صفحة تكون كلها مخصصة لحدث هام وهذه الأوراق تباع في محلات معينة وهي في الغالب مكتبات .

2) **أوراق الهجاء** وهي ورقة واحدة تصدرها الأطراف المتصارعة دينياً أو سياسياً وتتضمن هجوماً لاذعاً على المنافس .

3) **التقويم أو الحوليات** وهي كراسة فيها ملخص لجميع الأحداث التي وقعت في فترة معينة وكانت هذه الفترة تمتد في البداية لمدة خمس سنوات ولكنها تقلصت شيئاً فشيئاً حتى أصبحت سنوية وأول تقويم ظهر كان بسنة 1486 واول تقويم سنوي صدر بسنة 1588 بألمانيا ثم في سنة 1611 بفرنسا وهكذا نرى هذه الصحافة البدائية تتطور شكلاً ومضموناً وتنظيماً ليصبح ظهورها دورياً كما أن توزيعها بدأ يكتسي طابعاً تجارياً .

ظهور الأسبوعية :

ولكن تطور هذه الصحافة خصوصاً من ناحية المضمون الذي أخذ يغطي جانباً واسعاً من الصراع السياسي والديني جعل السلطات القائمة تفرض على هذه

الصحافة البدائية رقابتها ، مما جعل هذا التطور يتعرقل نوعاً ما . ولكن هذا لم يمنعها من أن تأخذ أشكالاً أخرى بحيث بذلت جهود كبيرة للتقلص من فترة الصدور نستطيع أن نلخصها عبر التواريخ التالية :

في سنة 1597 تظهر المجلة الشهرية الأولى بمدينة أوغسبورغ .

في سنة 1605 تظهر جريدة نصف شهرية بمدينة أتفير .

في سنة 1609 تظهر الأسبوعية الأولى بمدينة سطراسبورغ . تمّ في سنة 1622 بمدينة لندن ، وفي سنة 1631 بمدينة باريس ، وأخذت الأسبوعية وكانت تسمى «لاغازيطة» تلعب دوراً كبيراً كوسيلة اعلامية عصرية ، وكانت جميع الأسبوعيات في البداية تصدر بصفة رسمية وتحت الرقابة وكانت تتضمن الأخبار الخارجية بالأخص وكان توزيعها محدوداً .

ظهور اليومية :

وفي أواخر القرن السابع عشر ظهرت اليومية الأولى وكان ذلك بمدينة ليبزيغ سنة 1660 ولكن لم تعرف اليومية الانطلاقة إلا في القرن الثامن عشر :

في سنة 1792 ظهرت في انكلترا جريدة «دايلي كوارنت» .

في سنة 1776 ظهرت في الولايات المتحدة «بنسيلفانيا بيكات» .

في سنة 1777 ظهرت في باريس جريدة «لي جورنال دي باريس» .

وكما يبدو فان الانطلاقة الحقيقية لليومية لم تبدأ في الغرب إلا مع أواخر القرن الثامن عشر واستمرت في السنوات الأولى من القرن التاسع عشر فكثرت اليوميات وأصبح ينتشر النشاط الصحفي وتبرز مهنة جديدة هي مهنة الصحافي وبدأت تظهر القوانين الأولى التي أخذت تحدد هذا النشاط نذكر منها بالأخص قانون 1792 بانكلترا «ليبل أكت» الذي يمنح للصحافيين بعض الضمانات فتحت في الحقيقة باباً واسعاً لصراع كبير بين الصحافة والسلطة القائمة استمر طيلة القرن التاسع عشر في مختلف بلدان أوروبا .

العصر الذهبي : وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر عرفت الصحافة الغربية خصوصاً اليوميات ، ازدهاراً كبيراً جعل البعض يسمى هذه الفترة بالعصر

الذهبي وهناك عوامل كثيرة ساعدت على هذا الإزدهار نذكر منها بصفة خاصة ثلاث عوامل :

1) ظهور وكالات الأنباء حسب التواريخ التالية :

في سنة 1835 «هافاس» بمدينة باريس .

في سنة 1848 «اشسياتد بريس» بمدينة نيويورك .

في سنة 1849 «وولتي» بمدينة برلين .

في سنة 1851 «رويتر» بمدينة لندن .

وقد قامت هذه الوكالات بجمع الأخبار والأحداث والمعلومات وتوزيعها بصفة سريعة على مختلف الصحف التي تبرم معها عقوداً تجارية ، وهذا العمل سهل مهمة الصحافة .

2) استعمال الاشهار التجاري بواسطة الصحافة بحيث أصبحت الصحف تكتسب موارد اضافية لمبيعاتها مما جعلها تقوم بتخفيض لسعر النسخة الواحدة من الجريدة وهي العملية التي تجعل الجريدة في متناول جميع الناس حتى الفقراء ، ولقد انخفض هذا السعر أحياناً بدرجة 50٪ .

3) إكتشاف وسائل الطبع جديدة وخصوصاً «الروتاتيف» التي بدأ العمل بها حوالي سنة 1870 ، ومن مزايا هذا الاكتشاف أن السحب انتقل فجأة من 300 نسخة للساعة الواحدة الى 18.000 نسخة للساعة الواحدة (والمعروف أن هذا الرقم وصل اليوم الى 100.000 نسخة) .

وان تظافر هذه العوامل كلها بالاضافة الى العوامل الأخرى مثل انتشار التعليم وتوسيع شبكة المواصلات جعلت الصحافة تعرف رواجاً كبيراً يمكننا أن نلمسه من خلال الأرقام التالية :

– في سنة 1910 كان يوجد بالولايات المتحدة 2430 يومية وفي ألمانيا 2200 يومية وفي مدينة باريس 60 يومية .

– في سنة 1910 كانت اليوميات الأمريكية تسحب حوالي 24 مليون نسخة واليوميات الباريسية 5 ملايين نسخة .

وكانت جريدة «دايلي ميرور» الانجليزية تسحب وحدها أكثر من مليون نسخة .

أزمة الصحافة في الغرب : بعد الحرب العالمية الأولى بدأ يظهر التعب على نشاط الصحافة المكتوبة في الغرب وبدأت عدة صحف تعرف أزمات كثيرة مازالت تعاني منها حتى يومنا هذا ويرجع السبب الرئيسي في ذلك الى ظهور وسائل إعلامية جديدة وهي «الراديو» مع بداية العشرينات والتلفزيون قبيل وبعد الحرب العالمية الثانية بحيث أصبحت هاتان الوسيلتان منافساً كبيراً للصحافة المكتوبة بما توفر من الوقت للقراء وبالسرعة التي تمتاز بها في نشر الخبر وبذلك أخذت الصحافة المكتوبة تفقد عدداً كبيراً من قرائها وتعرف عجزاً مالياً متزايداً رغم التحسينات الكثيرة التي أدخلت فيها مثل الصورة والخبر المقتضب وشكل الجريدة وغير ذلك .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الولايات المتحدة لم تتأثر كثيراً من هذه الأزمة كما أن الاتحاد السوفياتي بفضل الثورة التي قامت سنة 1917 عرف انتشاراً واسعاً للنشاط الصحفي بعد 1920 وتقول الاحصائيات أنه كان يوجد في هذا البلاد سنة 1960 حوالي 9500 يومية تسحب حوالي 68 مليون نسخة في حين لم يكن يوجد بها سنة 1913 إلا عدد قليل من اليوميات لا يتجاوز سحبها 3 ملايين نسخة .

وليس هناك شك في أن الصحافة المكتوبة في أوروبا رغم الأزمة التي تتخبط فيها مازالت تقوم بدور أساسي في النشاط الاعلامي .

الصحافة العصرية في العالم العربي :

لم تظهر الصحافة المكتوبة في العالم العربي إلا في القرن التاسع عشر الميلادي بعد احتكاكها بالاستعمار الغربي ولعل السبب الرئيسي في هذا التأخير يرجع بالدرجة الأولى الى طبيعة العلاقات الموجودة في المجتمع الإسلامي التي تعتمد أكثر على الرواية الشفاهية المبنية على حفظ القرآن والحديث والخطابة ، كما أن هذا السبب الرئيسي يرجع كذلك الى موقف العلماء والخلفاء العثمانيين من استعمال المطبعة كأداة للنسخ ، وقد كان موقفاً معارضاً حتى نهاية القرن الثامن عشر ومتحفظاً في بداية القرن التاسع عشر بحيث نجد أن الحروف المطبعية العربية صنعت لأول مرة في ايطاليا سنة 1514 من طرف المسيحيين لطبع «الأنجيل» ثم الكتب العربية في الطب كقانون ابن سيناء أو في النحو كالأجرومية لمساعدة

رجال الكنيسة على تعلم اللغة العربية وقد حمل هؤلاء المسيحيون هذه الحروف الى الشام والاستانة في القرن السابع عشر والثامن عشر واستعملوها وحدهم دون المسلمين ، ولم يهتم المسلمون بالطبع إلا في بداية القرن التاسع عشر عندما أسس محمد علي في مصر مطبعة بولاق سنة 1821 .

والمعروف أن الحملة الفرنسية التي قام بها نابليون الأول سنة 1799 - 1801 ضد مصر قد أصدرت لأول مرة فوق التراب العربي جريدتين باللغة الفرنسية وهما «بريد مصر» «لي كوري دي ايجيبت» «والعشرية المصرية» (لاديكاد ايجيبزسيان) .

ولعل ظهور هذه الوسيلة العصرية بهذه الكيفية في مصر هو الذي جعل محمد علي يفكر في الاقتداء بها فأنشأ أولاً مطبعة بولاق كا ذكرنا ثم في سنة 1828 أصدر أول جريدة عربية وهي «الوقائع المصرية» وقد بدأت تصدر باللغة التركية ثم أضيف إليها اللغة العربية وكان يدير هذه الجريدة رفاعة بك الطهطاوي .

وكانت هذه المبادرة بداية النشاط الصحفي في العالم العربي ولكنها كانت بطيئة ولم تنتشر ظاهرة الصحافة في العالم العربي - نظراً للأسباب التي ذكرناها وبالأخص لتخوف الخلفاء العثمانيين والسلطات المحلية من هذه الوسيلة - إلا في بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر فظهرت «مرآة الأحوال» سنة 1855 و«السلطنة» سنة 1857 و«الجوائب» سنة 1860 كلها بالاستانة و«حديقة الأخبار» سنة 1858 بيروت و«الرائد التونسي» سنة 1860 بتونس و«سورية» سنة 1865 في دمشق «و «وادي النيل» سنة 1866 في القاهرة و«الزوراء» في سنة 1869 في بغداد . وكانت هذه الصحف كلها تصدر بصفة رسمية يعني تحت الاشراف المباشر للسلطة أو تحت مراقبتها الفعلية .

ولكن يجب الاشارة الى أن الأجانب وخصوصاً الفرنسيين والبريطانيين كان لهم تأثير كبير داخل هذه الصحافة وكان بعض الصحافيين يتعاملون معهم ضد الخلافة العثمانية مما جعل هذه الأخيرة تشدد رقابتها وتضع قوانين قاسية ضد النشاط الصحفي خصوصاً في الشام بحيث نجد مع بداية السبعينات بعض الصحافيين يغادرون الشام ليستقروا في مصر وكان يوجد في مصر في هذه الفترة حركة فكرية كبيرة تمركزت في الأخير حول جمال الدين «الأفغاني» ومحمد عبده

وبـذلـك أصبحت مصر مركـزاً كبيراً للنشـاط الصحفي وظهرت صحف ومجلات كبيرة مثل «مصر الفتاة» والتنكيت والتكبيت» لعبـد الله نـديم و«المقطم» و«العروة الوثقي» التي كانت تصدر وتطبع بباريس .

وفي بـدايـة القرن العشرين مع ظهـور الحركـة الـوطنيـة وتكـوين الأحـزاب السيـاسيـة ظهر النشـاط الصحفي قويـاً في مصر دون غيرهـا من البلـدان العربيـة وكانت جريـدة «اللواء» التي كان يصـدرهـا مصطفى كال تتمتـع برواج كبير وكان لحزب الاصلاح جريدة «المؤيد» المعروفة .

وبعد الحرب العالمية الأولى تمركز كذلك النشـاط الصحفي في مصر كا أنـه كان موجوداً كذلك بالشام ولكن معظم البلدان العربية كانت في هـذه الفترة التي تمتـد حتى نهـايـة الحرب العـالميـة الثـانيــة تحت نير الاستعمار بكيفيــة أو أخرى بحيث أصبحت أغلبية الصحف صحفـاً سيـاسيـة تقـاوم بـدرجـة متفـاوتـة وجود الأجنبي ولكن مـع هـذا فـان الصحـافـة العربيـة تنـوعت فعرفت اليـوميـة إنتشـاراً واسعـاً وصدرت مجلات ثقافية وعلمية وأدبية ودينية وظهرت أسبوعيات كبيرة مثل «روز اليوسف» ومنها ما هو مصور مثل «المصور» .

ومـع الثـورة المصريـة سنـة 1952 بـدأ النشـاط الصحفي يقـل في مصر نظراً للموقف التوجيهي الـذي أخـذتـه الحكومـة وأخـذ الصحـافيون يخرجـون من مصر ليستقروا في أوروبا وبذلك بدأ يتمركز النشاط الصحفي العربي في مـدينـة بيروت وتظهر في هذه المدينة مآت من الصحف تمثل جميع التيارات والاتجاهـات الموجودة في العالم العربي .

والحقيقة أن الظاهرة اللبنـانيـة البيروتيـة تكشف عن الواقع المر الـذي تعيشـه الصحـافـة في العـالم العربي لأن الصحـافـة لا يمكن أن تنضج وتزدهر إلا في كنف الحرية والديمقراطية وهو أمر قليل الوجود في العالم العربي .

القسم الأول

الصحافة الجزائرية قبل الإستقلال

الفصل الأول : نظرة عامة

تطور الصحافة الجزائرية من بدايتها إلى الإستقلال(1)

إن الدراسات التي أجريت حتى اليوم تثبت أن الصحافة كوسيلة إعلامية عصرية لم تكن موجودة في الجزائر قبل سنة 1830 وهي السنة التي هجم فيها الفرنسيون على مدينة الجزائر واستولوا عليها . كما أن هذه الصحافة لم تكن كذلك موجودة في العالم العربي ، اذا استثنينا جريدة الوقائع المصرية التي أصدرها في القاهرة محمد علي سنة 1828 باللغة العربية والتركية .

إن الصحافة بمفهومها العصري قد ظهرت بأوروبا وتطورت في أحضانها وعرفت ازدهاراً كبيراً في القرن التاسع عشر بحيث أصبحت وسيلة اتصال بين السلطة والجماهير وبين الفئات المختلفة من المجتمع ، توزّع المعلومات وتنشرها بين الناس .

وعندما تجهز الجيش الفرنسي لغزو الجزائر حمل معه من بين ما حمل مطبعة وهيئة تحرير تشرف على اصدار جريدة هي صلة ربط داخل الجيش ، وبالفعل بدأت هذه الجريدة تصدر مع نزول الجيش الفرنسي فوق التراب الجزائري . فكانت هذه الجريدة أول صحيفة تصدر في الجزائر . وتحمل اسم «ليستفيت دي سيدي فرج» .

وكانت تصدر باللغة الفرنسية ويشرف عليها ضابط الجيش الفرنسي وتتضمن معلومات عن الحملة الفرنسية مع بعض الأخبار السياسية الخاصة بفرنسا . وكانت توزع على الجنود وعلى المصالح المكلفة بالحرب ضد الجزائر .

(1) هذه سلسلة من المقالات نشرت في جريدة الشعب كل يوم خميس من شهري فبراير ومارس سنة 1988 .

والحقيقية أن هذه الجريدة لم تعرف رواجاً كبيراً ولم تعمر طويلاً ، فهي وليدة ظروف الاحتلال وكان هدفها من البداية محدوداً لا يتعدى محيط الجيش الفرنسي ، وسرعان ما عوضت بصحف أخرى ذات الطابع الحكومي والاستعماري نذكر على سبيل المثال جريدة «الأخبار» التي بدأت تصدر في مدينة الجزائر سنة 1839 وعرفت رواجاً كبيراً حتى سنة 1898 .

وهكذا بدأت تتكون شيئاً فشيئاً فوق التراب الجزائري صحافة استعمارية تنطق باللغة الفرنسية ، يشرف عليها فرنسيون من الجالية الاستعمارية وتتجه الى هذه الجالية ، حاملة لها رسالة استعمارية قوامها الوجود الفرنسي ومحاربة كل مقاومة لهذا الوجود .

وعرف هذا النوع من الصحافة «الجزائرية» ازدهاراً متزايداً لم ينقطع إلا في السنة الأولى من استقلال الجزائر . ولقد تفرع الى صحف يومية وأخرى أسبوعية والى مجلات عامة ومتخصصة وانتشر فوق التراب الجزائري الى درجة ان في كل قرية توجد فيها جالية فرنسية استعمارية إلا ونجد فيها على الأقل صحيفة محلية أسبوعية ، في حين أن المدن الكبرى عرفت يوميات متعددة مثل «لابريس ليبر» (الصحافة الحرة) ، و«ليكو دالجي» (صدى الجزائر) و«الجرنال دالجي» (جريدة الجزائر) و«ليكو دوران» (صدى وهران) وغيرها ، وهي كثيرة موجودة اليوم في المكتبات تستعمل كوثائق تاريخية لما تتضمنه من المعلومات الخاصة بالوجود الاستعماري في الجزائر .

وليس قصدنا في هذا الحديث اليوم التطرق الى هذا النوع من الصحافة الجزائرية ، وانما نريد أن نلم ونتعرض للنوع الثاني من الصحافة الجزائرية التي يمكن ان نطلق عليها اسم الصحافة الوطنية ، ما ظهر منها قبل الاستقلال وكذلك بعده ، وسوف نركز اهتمامنا على الجزء الأول منها يعني ما ظهر قبل الاستقلال .

1 - الصحافة الجزائرية قبل الإستقلال

عرفت الصحافة الجزائرية في عهد الاستعمار ازدهاراً نسبياً اذا أخذنا باعتبار عدد الصحف التي ظهرت في هذه الفترة إذ بلغت أكثر من 150 صحيفة وكذلك اذا أخذنا بالاعتبار نوعية مضمون هذه الصحافة ومن هذه الناحية يمكننا أن نصنف هذه الصحف الى عدة أصناف انطلاقاً من الأهداف السياسية التي ترمي إليها كل صحيفة ، ويبدو أنه يمكن استخراج أربعة أصناف رئيسية تكون المحاور الأساسية لهذه الدراسة ، وهذه الأصناف هي (1) الصحافة الحكومية (2) صحافة أحباب الأهالي (3) الصحافة الأهلية (4) الصحافة الوطنية (الاستقلالية) .

وهذه الأصناف لم تظهر في زمان واحد ، بل جاء ظهورها في أزمنة متتالية مما جعلها تتعايش أحياناً ، وحتى يبقى التدرج التاريخي واضحاً نريد أن نثبت في البداية تاريخ ظهور كل صنف منها . فالصحافة الحكومية بدأت تصدر سنة 1848 ، اما صحافة أحباب الأهالي فكانت بدايتها سنة 1882 وكانت بداية الصحافة الأهلية سنة 1893 والصحافة الوطنية سنة 1930 ، وهذا يدل على أن الأصناف الأربعة لم تتواجد إلا في الفترة التي جاءت بعد سنة 1930 ، كما سنشرحه من بعد .

1) **الصحافة الحكومية** : ونقصد بها الصحافة التي تشرف عليها الحكومة الفرنسية بواسطة ممثلها في الجزائر وهو الوالي العام ومعه جميع الادارة الاستعمارية ، وهذا الاشراف قد يكون مباشراً مثل ما نجده في جريدة «**المبشر**» وقد يكون غير مباشر ، يتمثل في اقامة توجيه سياسي مستمر وفي تغطية النفقات بواسطة اعانة مالية معتبرة مثل ما نجده في جريدة «**كوكب افريقيا**» وفي جريدة «**النجاح**» بعدها .

والصحافة الحكومية لم تعرف تعدداً كبيراً نظراً للوضع القانوني الفرنسي الذي لا يسمح للحكومة بامتلاك الصحف ولكن بتقديم اعانة مالية للبعض منها فقط

ولكن هذه الصحافة امتازت بالاستمرارية والديمومة وهو الشيء الذي فقدته تماماً الأصناف الأخرى كما سنراه ، وعلى هذا فان الصحافة الحكومية بدأت تظهر كما أشرنا الى ذلك في سنة 1848 باصدار جريدة المبشر واستمر هذا الظهور بدون انقطاع حتى سنة 1956 أثناء الثورة التحريرية وهو تاريخ توقف جريدة «النجاح» .

ومما يلاحظ هو أن تاريخ صدور جريدة «المبشر» يتوافق زمانياً مع نهاية المقاومة العسكرية التي قام بها الأمير عبد القادر ضد الاحتلال الفرنسي ، وهو ما سمح للسلطة الاستعمارية أن تبني شبكتها الادارية الأولى فوق جزء كبير من التراب الجزائري مستعينة في ذلك ببعض الأعيان الذين جعلتهم على «الدواوير» وكذلك داخل اداراتها التي بقيت تخضع للحكم العسكري وهؤلاء الأعيان أصبحوا بمثابة وسطاء تعتمد عليهم السلطة الاستعمارية لتثبيت نفوذها على السكان المسلمين فظهر حينئذ لهذه السلطة أن تصدر جريدة تخبر بواسطتها هؤلاء الوسطاء الأعيان بما تتخذه من التدابير والاجراءات المختلفة الخاصة بالأشخاص والأملاك والهياكل الإدارية . فكانت جريدة «المبشر» تقوم بهذه المهمة فكان توزيعها محدوداً جداً لا يتعدى «النخبة» التي أبرزتها فرنسا الاستعمارية في الجزائر . ولكن من الناحية الأخرى فان نفوذ جريدة «المبشر» كان ذا أثر عميق كما سنراه .

ولقد مرت جريدة «المبشر» على ثلاث مراحل ، فالمرحلة الأولى كانت تنشر فيها مراسيم وقوانين الادارة الاستعمارية وكانت كذلك تغطي النشاط الذي كانت تقوم به هذه الادارة . ولقد استمرت هذه الفترة حوالي عشر سنوات لم تعرف فيها هذه الجريدة رواجاً كبيراً جاءت المرحلة الثانية وهي المرحلة المهمة لعبت فيها دوراً ثقافياً معتبراً فأسندت رئاسة تحرير الجريدة الى بعض الشخصيات المثقفة الجزائرية التي أصبحت تعتقد أن ليس هناك مانع للتعامل مع السلطة الاستعمارية ، مادام هذا التعامل يقتصر على النشاط الثقافي العربي الإسلامي . ومن هذه الشخصيات نذكر الشيخ البدوي والشيخ الحفناوي والشيخ ابن خوجة الكمال والشيخ ابن زكري وغيرهم من ورثة الفكر العربي الإسلامي في الجزائر . وبفضل هؤلاء أصبحت جريدة «المبشر» زيادة على ما كانت تقوم به في المرحلة الأولى تقوم بنشاط ثقافي ملحوظ بنشر مقالات معتبرة في الأدب والفلسفة والدين والتاريخ والعلوم الدقيقة ، فعرفت هذه الجريدة بهذا الطابع وأصبحت تقرأ من طرف المثقفين باللغة العربية . ولقد راجت هذه الجريدة نوعاً ما في أواخر القرن

التاسع عشر وبداية القرن العشرين بالأخص عندما بدأت السياسة الاستعمارية تتجه الى نوع من التقرب من المسلمين وتشجيعهم على نشر معالم الحضارة العربية الإسلامية .

ومع ظهور هذه السياسة الجديدة رأت السلطات الاستعمارية أن تنوع نشاطها الصحفي وان تبذل جهودها باصدار صحف أخرى تقدم لها اعانة مالية وهكذا رأينا جريدة «**المبشر**» تدخل في مرحلتها الثالثة فتترك نشاطها الثقافي لصحف أخرى جديدة وتتخصص هي في نشر المراسيم والقوانين بحيث تصبح بمثابة «جريدة رسمية أو تبقى على هذا المنوال حتى سنة 1927 فتتوقف عن الصدور وتعوض بالجريدة الرسمية مع إلغاء اسم «**المبشر**» .

والحقيقة أن جريدة «**المبشر**» لعبت دوراً كبيراً في اظهار الصحافة الجزائرية فقلد كانت بمثابة مدرسة تخرج منها الصحافيون الأوائل الذين أنشأوا الصحف باللغة العربية في الجزائر مثل محمود كحول ومامي اسماعيل الذين أسندت إليهم الحكومة الاستعمارية جريدة «**كوكب افريقيا**» (ما بين 1907 و 1914) وجريدة «**النجاح**» (ما بين 1919 و 1956) اللتين عوضتا جريدة المبشر بعد مرحلتها الثانية ، أو مثل عمر راسم والمولود الزريبي الأزهري الذي أنشأ فيما بعد صحف أهلية غير حكومية . كما تخرج كذلك عن جريدة «**المبشر**» عدد من المترجمين والتقنيين الحرفيين الذين كانوا دعائم النشاط الصحفي في الجزائر .

وليست الصحافة الحكومية إلا ركيزة لتثبيت الوجود الفرنسي رغم أنها كانت تنطق باللغة العربية ، وان كانت تعتني بالجوانب المختلفة للحضارة العربية الإسلامية فهي كانت أولاً وقبل كل شيء دعامة للتوسع الاستعماري ووسيلة للتقرب من السكان المسلمين ، وما كان استعمالها للغة العربية إلا كأحسن وسيلة لتحقيق هدفها ولئن عرفت نوعاً من النجاح في البداية فلقد بدأت تضعف قبيل الحرب العالمية الثانية وأصبحت شيئاً لا يذكر بعد هذه الحرب ، وكانت جريدة «**النجاح**» في هذه الفترة الأخيرة هزيلة يهزأ بها .

2) **صحافة أحباب الأهالي** : ان هذه التسمية الغريبة تشير الى جماعة من الفرنسيين الذين استاءوا من السياسة الاستعمارية وأرادوا ان يقدموا يد المعونة الى نخبة معينة من المسلمين الجزائريين حتى لا ييأسوا من الوجود الفرنسي في الجزائر . ومن هذه الناحية فهم يقدمون لوطنهم أجل وأحسن الخدمات كما جاء ذلك في كتبهم وجرائدهم ، ولذا سموا بهذا الاسم «أحباب الأهالي» .

وترجع بداية نشاطهم الى السنوات الأولى من الاحتلال عندما بدأ اسماعيل طوماس أربان ينشر مقالات سنة 1847 يدعو فيها السلطات الفرنسية أن تهتم أكثر بالسكان المسلمين وان تعتمد عليهم لاستثمار الأراضي وتعميرها بطرق عصرية ملائمة . وابتداء من سنة 1852 ، بعد وصول نابليون الثالث الى الحكم في فرنسا ، تقرب أربان من هذا الأخير وأصبح مستشاراً له وأقنعه باتخاذ سياسة جديدة في الجزائر ترمي الى إنشاء مملكة عربية تحت رعاية فرنسا ، يشترك فيها المسلمون والأوروبيون في أحداث نهضة اقتصادية كبيرة في الجزائر لتكون عوناً لفرنسا ولسياستها التوسعية في العالم الإسلامي قاطبة .

والحقيقة أن هذه السياسة لم تتحقق نظراً لسقوط نابليون من الحكم سنة 1870 ، ولكن مبادئ هذه السياسة لم تمت بل أخذ البعض من الفرنسيين الأحرار يؤمنون وينظمون أنفسهم لترويجها وهكذا تأسست سنة 1881 جمعية في باريس باسم «الجمعية الفرنسية لحماية الأهالي» تتكون من وزراء ورجال السياسة والعلم والأدب وكانت تهدف الى تحقيق سياسة المشاركة التي وضع خطوطها العريضة اربان ، وقررت في بداية نشاطها انشاء جريدة بمدينة قسنطينة باسم «المنتخب» .

وبالفعل بدأت تظهر جريدة المنتخب سنة 1882 وأخذت تشرح سياسة المشاركة التي تقول عنها أنها سياسة فرنسية محضة ترمي الى خدمة فرنسا وتعزيز وجودها في الجزائر بمشاركة المسلمين الجزائريين أنفسهم ، كما أنها أخذت تدعو النخبة من المسلمين الجزائريين أن يلتفوا وراء هذه السياسة وأن يساندوا جريدة المنتخب لأنها الجريدة التي تنطق بإسمهم .

ومن جهة أخرى أخذت جريدة المنتخب تنتقد تصرفات الحكام الفرنسيين في الجزائر وتندد بأعمالهم التعسفية ضد المسلمين الجزائريين ، كما أنها بدأت تنصح المسلمين أن لا يستعملوا العنف وأن لا يلجأوا الى الثورة للتعبير عن غضبهم ، ويكفي في ذلك أن يكون لهم جريدة مثل جريدة «المنتخب» لأن الصحافة هي وسيلة سلمية وناجعة في ذلك الوقت .

والحقيقة أن هذا الموقف جديد في نظر المسلمين وان لم يكن له رد فعل ايجابي مباشرة فلقد أثر فيما بعد على النخبة الإسلامية الجزائرية في إنشاء الصحف للأدلاء بمطالبهم السياسية .

غير أن هذا الموقف من طرف جريدة المنتخب أثار غضب المعمرين وسخطهم

على هـذه الجريـدة بحيث لم تمر سنـة واحـدة إلا والمنتخب تتوقف عن الظهور وتختفي نهائياً ، ولكن الرسالة التي كانت تحملها لم تختف معها بل كانت الجريدة بداية وجاءت من بعدها صحف أخرى يديرها رجال من أحباب الأهالي وتقف مثل موقف المنتخب ولقد يربو عدد هذه الصحف على العشرة في الفترة ما بين 1900 و 1962 ويكفي أن نذكر منها ثلاث تكوّن النموذج الحي لهذا النوع من الصحافة الجزائرية وهي جريدة **الأخبار** وجريدة **منبر الأهالي** وجريدة **الجزائر الجمهورية** .

جريدة الأخبار : تأسست سنة 1902 من طرف باروكاند في مدينة الجزائر وعاشت حتى سنة 1933 وكانت لها مواقف متحررة بدأتها بالدفاع عن المعتقلين الذين قاموا بثورة عين قرب مليانة سنة 1901 وختمتها بحملة واسعة ضد القانون الذي يسمى «الأنديجان» والذي يسمح للسلطات الاستعمارية أن تعامل المسلمين الجزائريين بصفة وحشية تعسفية لا إنسانية ، كما أن جريدة الأخبار أخذت تقدم لقرائها الجوانب المختلفة من الحضارة العربية الإسلامية وتبرز معالمها اللامعة في الجزائر وفي غيرها من البلدان الإسلامية وبهذا أصبحت جريدة الأخبار مركز اشعاع ومدرسة تخرج منها أو تعلم فيها عدد كبير من الصحفيين المسلمين الجزائريين .

جريدة منبر الأهالي : ظهرت هذه الجريدة في مدينة الجزائر سنة 1927 بمبادرة شخصية قوية من أحباب الأهالي وهو سبيلمان ، وان كانت جريدة منبر الأهالي لم تعرف الرواج الذي عرفته جريدة الأخبار لأنها تعرضت لأنواع من العراقيل الإدارية والمالية اللتي عاملتها بها السلطات الاستعمارية ، غير أن مديرها سبيلمان عرف شهرة كبيرة عند النخبة الجزائرية بفضل الدور السياسي الذي قام به مدافعاً ومحامياً للمسلمين ، وقبل كل هذا لقد كان سبيلمان رفيقاً حميماً للأمير خالد وسنداً قوياً له في محاولته لتكوين جبهة واحدة ضد المستعمرين الغلاة . وبعد خروج الأمير من الجزائر ونفيه انشأ سبيلمان هذه الجريدة لمواصلة سياسة الأمير غير أنه وجد صعوبات من طرف السلطات الاستعمارية وكذلك من طرف النخبة الجزائرية التي تنكرت على الأمير ، مما اضطر سبيلمان ان يتوقف عن النشاط السياسي والصحفي .

جريدة الجزائر الجمهورية : لقد أنشأ هذه الجريدة الحزب الاشتراكي

الفرنسي سنة 1937 في مدينة الجزائر . وكانت يومية خلافاً لسابقاتها التي كانت دورية ، ومما تجدر الاشارة إليه أن حركة أحباب الأهالي تحولت بعد 1936 من حركة أفراد الى حركة أحزاب بحيث أصبحت الأحزاب الفرنسية اليسارية تتبنى مبادئ أحباب الأهالي وتقوم مقامهم في النشاط الصحفي .

وهكذا تعددت الصحف من هذا النوع بتعدد الأحزاب اليسارية التي تتقرب الى المسلمين وتحاول الدفاع عنهم ، غير أن جريدة الجزائر الجمهورية كان لها رواج كبير لأنها زيادة على أنها يسارية كانت يومية تنشر الأخبار التي تأبى الصحف اليوميات الأخرى نشرها لأنها تتعلق بالمسلمين وتشوه نوعاً ما سمعة الوجود الفرنسي في الجزائر .

وبعد 1945 انفصلت جريدة الجزائر الجمهورية عن الحزب الاشتراكي الفرنسي وأصبحت تميل الى الحزب الشيوعي الفرنسي وبهذا ادخلت في ادراتها بعض الشخصيات المسلمة وفي سنة 1956 ، بدأت تعبر عن تعاطفها مع الثورة الجزائرية اضطرت السلطات الاستعمارية أن تقوم بوقفها .

ولكن قبيل الثورة الجزائر أي في سنة 1952 - 53 - 54 ، ظهرت حركة أخرى من أحباب الأهالي من الكاتوليكيين المسيحيين بزعامة الأستاذ ماندوز ، لها موقف أكثر إلتزاماً من الأحزاب الفرنسية اليسارية بحيث بدأت تحاول الاتصال مباشرة بالوطنيين الجزائرئيين الذين كانوا يطالبون باستقلال الجزائر وتتحالف معهم وتعمل بجانبهم لتحقيق هذا الهدف خاصة بإنشاء صحف دورية تعبر بكل وضوح عن هذا الموقف مثل جريدة «ليسبوار» (الأمل) و«كونسيونس مغربين» (الضمير المغربي) . وعندما اندلعت الثورة الجزائرية انضمت هذه الحركة الى الثورة وشارك بعض أفرادها مثل الطبيب شولي في هيئة تحرير جريدة «المجاهد» باللغة الفرنسية .

3) **الصحافة الأهلية** : ونقصد بهذا النوع تلك الصحافة التي يقوم بها المسلمون الجزائريون من ناحية التسيير الاداري والمالي ومن ناحية التحرير والتوزيع ويكون مضمونها يتعلق بالقضايا الإسلامية الجزائرية وبشؤونهم العامة في علاقاتهم بالوجود الاستعماري بالجزائر مع الاعتراف المطلق بهذا الوجود .

ولقد عرف هذا النوع من الصحافة الجزائرية ازدهاراً وتطوراً واسعاً وكانت بدايته كما ذكرت سابقاً سنة 1893 عندما تأسست جريدة «الحق» في عنابة وقد

ظهرت هذه الجريدة بعد ظهور جريدة «**المنتخب**» التي تحدثنا عنها من قبل بأكثر من عشر سنوات ، والحقيقة أن الظروف تغيرت في هذه الفترة وكان من الممكن في سنة 1893 اصدار جريدة أهلية مثل ما كانت تدعو إليه جريدة المنتخب في سنة 1882 . فلقد بدأت الحكومة الفرنسية في باريس تبدي قلقها مما كانت تقوم به السلطات الاستعمارية في الجزائر من أنواع القمع والتشريد ضد المسلمين للاستيلاء على أرزاقهم وممتلكاتهم بحيث أصبحوا بدون مال ولا عمل وهذه الحالة السيئة استرعت اهتمام الحكومة والبرلمان الفرنسي وجعلت هذا الأخير يكوّن لجنة ويكلفها بالبحث في الجزائر عن «حالة الأهالي المسلمين في الجزائر» في سنة 1893 واستمرت هذه اللجنة تعمل مدة طويلة ، ومما لاشك فيه أن وجودها في الجزائر كان من العوامل الأساسية التي دفعت جماعة من المثقفين المسلمين أن يؤسسوا جريدة «الحق» حتى تستطيع أن تعطي وصفاً حقيقياً للحالة التي كان يعيش فيها المسلمون وأن تقدم بذلك للجنة عرضاً شاملاً حول هذه الحالة .

ولقد قامت جريدة «الحق» بهذا الدور أحسن قيام وركزت جهودها لابراز الأسباب العميقة لحالة المسلمين ، وان لم تتعرض للسبب الحقيقي الذي هو الوجود الفرنسي الاستعماري في الجزائر والذي لم تتعرض له أية جريدة أهلية أخرى من بعد ، فان جريدة «**الحق**» أشارت الى سببين أساسيين في نظرها هما (1) عدم وجود قانون يضبط ملكية أراضي المسلمين (2) موقف بعض الحكام المليء بالعداء للمسلمين الجزائريين وبعض اليهود الذين استغلوا ضعف المسلمين ليفرضوا عليهم القرض بالربا تبلغ فائدته أحياناً 100٪ مما جعل المسلمين في حالة دين متزايد مستمر يستوجب في النهاية اصدار أرزاقهم وأراضيهم .

ولم يكن هذا الموقف من الجريدة من السهل بمكان بل أغضب السلطات الاستعمارية التي بدورها أرغمت الجريدة على التوقف بعد عام من صدورها ومرت عشر سنوات أخرى بدون أن تظهر جريدة أهلية أخرى ، وفي سنة 1903 ظهرت جريدة تحمل اسم «المغرب» ثم اختفت في نفس السنة وبعدها جاءت جريدة أخرى باسم «المصباح» لم تدم إلا بعض الأشهر تلتها صحف أخرى قليلة بصفة متقطعة وبدون نفس طويل .

وهكذا كانت بداية الصحافة الأهلية مضنية نوعاً ما رغم عناية الوالي العام

«جونار» بها . ولم تبدأ الانطلاقة الحقيقية للصحافة الأهلية إلا سنة 1907 عندما تأسست جريدة «كوكب افريقيا» بمدينة الجزائر . وابتداءاً من هذا التاريخ فان الصحافة الأهلية في الجزائر لم تتوقف بل مرت على مراحل مختلفة يمكن جمعها في ثلاثة أطوار : (1) طور الانطلاق والرعاية (2) طور القمع والصمود (3) طور النضج ثم يليه الضعف والزوال .

- **طور الانطلاق والرعاية :** هذه الفترة تبدأ بظهور جريدة «كوكب افريقيا» التي اعتبرناها سابقاً جريدة حكومية وتمتد الى غاية 1923 باختفاء جريدة «الاقدام» كما سنشرحه من بعد . ولقد امتازت هذه الفترة بنشاط ملحوظ في الميدان الصحفي من حيث عدد الصحف التي ظهرت في هذه الفترة إذ يربو على العشرين صحيفة سواء كانت مكتوبة بالفرنسية أو بالعربية أو مزدوجة التعبير ، وكذلك من حيث ديمومة هذه الصحف إذ استمرت أغلبية هذه الصحف تظهر تقريباً بدون انقطاع أكثر من ثلاث سنوات مما جعل السوق الصحفية الجزائرية تزخر في وقت واحد بعدد كبير من الجرائد تمثل الاتجاهات السياسية والثقافية المختلفة .

وسبب هذا النشاط - الغريب فى عهد الاستعمار - يرجع الى الرعاية التي كانت توليه السلطات الاستعمارية العليا للصحافة وخصوصاً من طرف الوالي العام جونار ، الذي كان يرى من مصلحة فرنسا ان تسمح للجميع بالتعبير الحر حتى لا تحدث مفاجآت سياسية أو ثورات مسلحة وهذه السياسة هي التي كانت تدعو إليها المنتخب التي أشرنا إليها من قبل ، وتحققت بالفعل في هذه الفترة .

وكانت هذه الرعاية مطلقة اللهم ما كان يمس بالسيادة الفرنسية في الجزائر ، ولذا نجد جميع هذه الصحف - كما هو الشأن بالنسبة للصحافة الأهلية كلها - تعبر أولاً وقبل كل شيء عن ارتياحها للحماية الفرنسية على الجزائر وعن اطمئنانها بالوجود الفرنسي لأنه يخدم مصالح الأهالي ، ولكنها تختلف في غير ذلك ويمكن القول بأن هذه الصحف اتجهت نحو اتجاهين كبيرين :

1) الاتجاه الذي يدعو الى المشاركة ويحدد نشاطه في الميدان الاقتصادي والثقافي ويمتنع من الخوض في الميدان السياسي ، وهذا الاتجاه كانت تمثله جرائد «الحق الوهرانية» و «ذو الفقار» التي أصدرها عمر راسم و «الفاروق»

و **«الصديق»** اللتين صدرهما عمر بن قدور الجزائري ، واكتفى هذا الاتجاه بالدعوة الى التمسك بتعاليم الإسلام الحقيقية وبمشاركة المعمرين في الفلاحة والصناعة والتجارة ، وأحياناً كانت له مواقف سياسية ظرفية مثل رفضه لتجنيد المسلمين في الجيش الفرنسي أو رفضه التجنيس الشخصي يعني الدخول في الجنسية الفرنسية بصفة ارادية وشخصية .

2) أما الاتجاه الثاني فكان يدعو الى الاندماج والفرنسة ويعني هذا التمتع بجميع الحقوق السياسية والثقافية التي تسمح بها القوانين الفرنسية للمواطنين الفرنسيين حتى لو كان هذا الاندماج يتحقق بصفة تدريجية وحسب شروط معينة وكانت تمثل هذا الاتجاه صحف كثيرة مثل **«الإسلام»** و **«الراشدي»** و **«الاقدام»** و **«صوت الأهالي»** ، وعكس الاتجاه الأول فكان هذا الاتجاه يطالب بإلحاح - وكان نشاطه السياسي مركزاً على هذا - بالتجنيد والتجنيس لأنهما في نظره الوسيلتان اللتان تؤديان حتماً الى الاندماج والفرنسة .

وبعد الحرب العالمية الأولى ظهر اتجاه آخر بزعامة الأمير خالد يحاول التوفيق بين الاتجاهين السابقين يعني المطالبة بجميع الحقوق التي تخولها الجنسية الفرنسية للجزائريين - لأن القانون الفرنسي يعتبرهم فرنسيين - والمحافظة على الشخصية الإسلامية التي يمتاز بها كل جزائري ، يعني الاندماج السياسي لا الثقافي ، وابتداء من سنة 1921 بدأت جريدة **«الاقدام»** تعبر عن هذا الاتجاه الوسط وتدعو إليه تحت إدارة الأمير خالد .

غير أن هذا الاتجاه الوسط أقلق كثيراً السلطات الاستعمارية التي أخذت تحاربه بشدة لأنه استقطب الرأي العام الجزائري ولأنه كذلك يحمل معه بذور زحزحة الوجود الاستعماري المتطرف في الجزائر وبدأت السلطات تعرقل صحافة هذا الاتجاه فأرغمت جريدة **«الصديق»** سنة 1922 ثم جريدة **«الاقدام»** سنة 1923 على التوقف . وبذلك أصبحت رعاية السلطات الاستعمارية للصحافة الأهلية غير مطلقة ويبدأ طور آخر .

- **طور القمع والصمود** : وتمتد هذه الفترة من 1923 الى سنة 1935 ، وفي هذه الفترة وضعت السلطات الاستعمارية رقابة شديدة على الصحافة الجزائرية بحيث بدأت تفرق بين الصحافة المكتوبة بالعربية والصحافة المكتوبة بالفرنسية .

فيما يخص الصحافة المكتوبة بالعربية كانت السلطات الاستعمارية تعتبرها أجنبية طبقاً للمادة **14** من قانون حرية الصحافة الصادر سنة 1881 . وهذه المادة تسمح للسلطة الادارية باتخاذ جميع الاجراءات الضرورية ضد الصحافة الأجنبية بدون احالتها مسبقاً أمام المحاكم الشرعية كما هو الشأن بالنسبة للصحافة الفرنسية كما تفرضه حرية الصحافة والتعبير ، وعلى هذا الأساس كانت السلطات الاستعمارية تمنع النشاط الصحفي بالعربية بمجرد قرار يوافق عليه - من بعد - وزير الداخلية .

وأول مرة اتخذت الادارة الاستعمارية هذا النوع من القرار كان سنة 1925 ضد جريدة **«المنقذ»** التي أصدرها الشيخ عبد الحميد ابن باديس وكان لها اتجاه المشاركة ومواقف اصلاحية دينية غير أنها سمحت لنفسها بالتعبير عن تأييدها للأمير عبد الكريم الذي يقوم بثورة كبيرة ضد فرنسا واسبانيا في الريف المغربي فمنعت هذه الجريدة بعد اصدار 18 عدداً فقط منها ، وكان هذا المنع انذاراً للصحافة الأهلية ألا تتعدى خطاً معيناً في مواقفها السياسية وتلتزم بنوع من الانضباط وتحصر نشاطها في الميادين التي ليس لها علاقة بالسياسية مثل ما فعلت جريدة **«الشهاب»** بعد ذلك .

وان كان هذا القرار قد ارغم الصحافة العربية في أن تعتزل نوعاً ما الميدان السياسي فانه لم يمنع الجزائريين من النشاط الصحفي بالعربية ، وعندما تأسست جمعية العلماء المسلمين سنة 1931 ظهر لها ان تصدر صحيفة تعبر عن مواقفها في اطار الصحافة الأهلية واعتباراً لما تقتضيه المادة 14 من قانون 1881 ، غير أن الادارة الاستعمارية لم تسمح لها بذلك وظهر نوع من الصراع الصحفي بين جمعية العلماء والسلطة الادارية بحيث مرت أربع سنوات 1931 - 1935 أصدرت فيها جمعية العلماء بالتوالي خمس صحف منعتها الادارة الاستعمارية كما ان هذا الصراع ظهر من قبل بين هذه الادارة والصحافي المقتدر أبي اليقظان بين سنة 1926 و1933 ، فكان يصدر الصحف والاستعمار يمنعها ، ولم تنته حدة هذا الصراع إلا سنة 1935 عندما بدأت الأوضاع السياسية تتغير في فرنسا بوصول الأحزاب اليسارية الى الحكم وبرجوع فيوليت الى الولاية العامة بالجزائر ، فخففت الرقابة نوعاً ما على الصحافة العربية الأهلية .

وأما الصحافة الأهلية المكتوبة بالفرنسية فهي كذلك عرفت نوعاً من الرقابة ولكن أقل صرامة ، لأنه كان غير ممكن اعتبارها أجنبية نظراً لكونها تكتب بالفرنسية ولكن الادارة الاستعمارية وجدت بنوداً أخرى في قانون 1881 سمحت لها بوضع عراقيل مختلفة أمام هذه الصحافة . من ذلك المادة 6 التي تشترط في المسؤول الاداري للصحيفة الفرنسية أن يتمتع بجميع حقوقه المدنية (يعني السياسية) وبما أن الجزائريين ليست لهم هذه الصفة اللهم إلا اذا كانوا متجنسين بطلب منهم بالجنسية الفرنسية ، فانهم كانوا يجدون صعوبة في توفير هذا الشرط نظراً لقلة المتجنسين ، الشيء الذي جعلهم يسندون ادارة صحفهم الى بعض الفرنسيين من أحباب الأهالي .

ومن بين هذه البنود تلك التي تسمح بتوجيه تهمة ارتكاب جريمة من طرف الجريدة والتي تنص عليها عدة بنود من البند 15 الى البند 45 ، وبمقتضى هذه البنود تلصق تهمة معينة بالجريدة - وهي في الغالب وهمية - حتى تقدم امام المحاكم التي تحكم على الجريدة بغرامة ثقيلة لا تستطيع الجريدة دفعها فتتوقف وبهذه الطريقة اختفت عدد من الصحف الأهلية بالفرنسية في هذه الفترة خصوصاً بين 1925 و1933 ، واضطر عدد من الصحفيين البارزين أن يأخذوا هذا الجانب بالاعتبار وبجميع الاحتياطات التي تحفظهم من المثول أمام المحاكم . شأن الأمين العمودي مع جريدته «لاديفانس» (الدفاع) ومع جريدة «لاجستيس» (العدل) .

ونظراً لهذا القمع المبلط على الصحافة الجزائرية التي سلكت مسلك الأمير خالد في هذه الفترة فاننا نجدها في هذا الطور خالية تقريباً من المواقف الجديرة بالذكر وانما كان همها الصمود ومواصلة الظهور بجوانب بعض الصحف الأهلية الأخرى القريبة من الادارة الاستعمارية مثل جريدة **«التقدم»** التي أصدرها الدكتور بن التهامي أو مجلة **«صوت الضعفاء»** التي أشرنا إليها من قبل أو «لونطونت» (التفاهم) التي أصدرها الدكتور بن جلول والتي كانت في الغالب تطالب بالاندماج التدريجي .

طور النضج : ويبتدأ هذا الطور من سنة 1935 مع ظهور صحيفة البصائر

لناطقة باسم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والتي استمرت في الظهور بدون أن تتعرض لأي أذى من طرف الادارة الاستعمارية ، وينتهي هذا الطور في سنة 1943 مع تقديم «البيان الجزائري» الى الحلفاء المتواجدين فوق التراب الجزائري أثناء الحرب العالمية الثانية .

وفي هذه الفترة سمحت السلطات الاستعمارية للصحافة الأهلية بأن تقوم بنشاطها بصفة عادية وبدون مراقبة مشددة لسببين :

1) وصول الجبهة الشعبية «اليسارية» الى الحكم في فرنسا وتشجيعها لسياسة الاندماج بشقيها المعروفين من قبل يعني بالمحافظ على الشخصية الإسلامية أو بالفرنسة المطلقة كما استمرت تطالب بذلك بعض الصحف الأهلية مثل «صوت الضعفاء» .

2) بروز الحركة الوطنية الاستقلالية بصفة قوية بين المهاجرين الجزائريين في فرنسا وفي نواحي مختلفة من القطر الجزائري ونجاح دعايتها المتزايدة ، مما جعل الادارة الاستعمارية تنتظر الى النزعة الاندماجية الإسلامية كضرورة يفرضها عليها الوضع الجديد وبالتالي السماح بصحافتها بممارسة نشاطها بنوع من الحرية .

وفي هذا الوضع الجديد عرفت الصحافة الأهلية نوعاً من النضج بحيث ظهر عدد من الصحف التي تعتبر اليوم كبيرة لأنها دامت عدة سنوات وعبرت عن اتجاهات متقاربة ولكن مختلفة وأثرت نوعا ما على الرأي العام الجزائري ويكفي أن نذكر منها أربعة جرائد لعبت دوراً كبيراً وهي :

– الأمة : التي أصدرها أبو اليقظان في 8 سبتمبر 1933 بمدينة الجزائر باللغة العربية ، وكانت أسبوعية واستمرت في الظهور حتى السادس جوان 1938 ، وكانت هذه الجريدة إصلاحية تهتم بالاصلاح الديني وتتجنب السياسية خصوصاً الوقوف مع الاندماجيين ، وهي بهذا تشبه صحيفة «الفاروق» التي كانت تظهر قبل الحرب العالمية الأولى ، وقد طغت على هذه الجريدة شخصية مؤسسها ومديرها المعروف بالإعتدال والوقار والإخلاص .

– لاديفانس : (الدفاع) التي أصدرها الأمين العمودي في 26 جانفي سنة 1934 بمدينة الجزائر باللغة الفرنسية وكانت أسبوعية واستمرت في الظهور حتى

العاشر من شهر أوت سنة 1939 وكانت هذه الجريدة تعبر عن الاتجاه الذي حاول الأمير خالد أن يثبته يعني الاندماج بالمحافظة على الشخصية الإسلامية ، وكان هذا الاتجاه غير منظم في هذه الفترة وتعبر عنه شخصيات معزولة تعيش مع ذكرى الأمير خالد تخشى الفشل الذي مني به ، والأمين العمودي كان من هذه الشخصيات زيادة على أنه من مؤسسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي هي جمعية غير سياسية فكانت هذه الجريدة تنطق بصفة غير رسمية عن موقف جمعية العلماء قبل أن تكون لها جريدة البصائر التي أسستها جمعية العلماء المسلمين في 27 ديسمبر سنة 1935 بالعربية وكانت أسبوعية واستمرت في الظهور حتى سنة 1956 . وكانت لسان حال الجمعية ، ولا نجد فيها مواقف سياسية معينة ولكن كانت تبدي تعاطفها مع اتحادية النواب التي تطالب بالاندماج . وكانت تقوم بحملة قوية ضد الانحراف الديني المتمثل في الزوايا والمرابطين وتدعو الى الاصلاح الديني وقد اسندت ادارة هذه الجريدة الى شخصيات فذة في البلاغة العربية مثل الشيخ الطيب العقبي ثم بعده الشيخ العربي التبسي .

- لونطونت (التفاهم) التي أسستها جماعة من النخبة الجزائرية هم : عبد العزيز كسوس وفرحات عباس ومحمد الأخضري بمدينة قسنطينة باللغة الفرنسية ، في 29 أوت سنة 1935 وكانت أسبوعية واستمرت في الظهور حتى شهر جانفي 1942 . وسرعان ما ظهرت هذه الجريدة كلسان حال إتحادية النواب التي تجمع عدداً كبيراً من الممثلين المسلمين في المجالس المختلفة في الجزائر وكلهم كانوا يتعاملون مع الادارة الاستعمارية ويطالبونها بمزيد من الحقوق السياسية ، وكثيراً ما كانت مواقفهم محبذة لفرنسة الجزائر فرنسة كلية سياسياً وثقافياً ، ولقد تزعم هذه الاتحادية الدكتور بن جلول .

ولقد لعبت هذه الصحف الأربعة دوراً كبيراً في تنشيط الميدان السياسي في الجزائر قبل الحرب العالمية الثانية وظهرت خصوصاً في الجهد الذي بذلته لانعقاد المؤتمر الإسلامي في مدينة الجزائر سنة 1936 والذي كان يظم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وإتحادية النواب والحزب الشيوعي الفرنسي ، ولقد وضع هذا المؤتمر قائمة المطالب السياسية في إطار الوجود الفرنسي وطبقاً لسياسة الاندماج التي كان يرمي إليها المشروع المعروف بمشروع بلوم فيوليت .

ولكن فشل هذه السياسة جعلت هذه الصحف وما تمثله تفقد نوعاً ما قيمتها بحيث نجدها قبيل الحرب العالمية الثانية تضعف ويقل نفوذها ، ثم بعد هذه الحرب تدخل في أزمة كبيرة تصبح أثرها الصحافة الأهلية شيئاً لا يذكر .

- الصحافة الوطنية : لا نقصد بالصحافة الوطنية كل صحيفة نشأت وتطورت في الوطن الجزائري كيف كان نوعها وتجاهها ولكن نقصد بذلك نوعاً من الصحافة الجزائرية لم تعترف بالوجود الاستعماري الفرنسي في الجزائر بل أخذت تحاربه بشدة وتنشر ما يقوي الوعي السياسي بوجود أمة جزائرية وبضرورة استرجاع الاستقلال للوطن الجزائري حتى لو كان ذلك بالعنف وبإراقة الدماء وسواء كانت هذه الصحافة تنطق بالعربية أو بالفرنسية وسواء ظهرت فوق التراب الجزائري أو خارجه . وهذا النوع من الصحافة يختلف اذا عن الأنواع الأخرى التي ذكرناها سابقاً والتي كانت تؤكد وتطمئن للوجود الفرنسي الاستعماري وتتعامل بصفة سلمية مع السلطات الاستعمارية .

ولقد ظهرت هذه الصحافة في باريس بفرنسا عندما بدأت تنشط حركة نجم شمال افريقيا تحت تأثير عوامل كثيرة ، منها فشل سياسة الأمير خالد بالجزائر المبنية على المطالبة بالحقوق السياسية في اطار الاندماج ، منها رعاية الحزب الشيوعي الذي كان يرى ضرورة منح الاستقلال للمستعمرات حتى تضعف قوة الرأسمالية . ومنها - وبالأخص - وجود الآلاف من العمال الجزائريين في باريس وفي فرنسا واحتكاكهم بالأوساط السياسية ، وشعورهم بضرورة الكفاح لاسترجاع استقلال بلادهم مثل ما تفعله الأوساط الأخرى ، ووجود جماعة من الشباب المتحمسين للاستقلال برآسة الحاج مصالي . الذين بذلوا كل جهدهم لتأسيس حركة نجم شمال افريقيا ولتنظيم صفوفها بين العمال ولربط صلاتها بالأحزاب الفرنسية اليسارية والحركات الاستقلالية العالمية الأخرى .

وضمن هذا الجهد الكبير كان العمل لإصدار صحف تعبر عن هذا الاتجاه ، فأنشئت سنة 1926 و 1927 جريدة «الاقدام» ولكن سرعان ما أوقفتها الحكومة الفرنسية فعوضت بجريدة أخرى تسمى كذلك «الاقدام الافريقي» ولكن منعت هي كذلك ، واستمر الصراع بين الحركة والحكومة الفرنسية حتى سنة 1930 ،

ففي هذه السنة تغير نوعاً ما موقف الحكومة بحيث لم تواجه بالمنع جريدة «الأمة» عندما بدأت تظهر ولكن أخذت تراقبها عن قرب .

والحقيقة أن تاريخ الصحافة الوطنية يلتصق التصاقاً كبيراً بتاريخ الحركة الوطنية في الجزائر ولذا فاننا نرى أنه مرّ بثلاث مراحل :

- **المرحلة الأولى من 1930 الى 1943** : ففي هذه المرحلة ، كانت الصحافة الأهلّية قوية وكانت الجمعيات والهيآت المختلفة ترى في الوجود الفرنسي ضرورة حتمية ، وعندما بدأت تظهر الحركة الاستقلالية في فرنسا . لم تستطع أن تتسرب الى الجزائر إلا بعد أن مرت عدة سنوات ، وكانت جريدة «الأمة» هي الوسيلة الفعالة لنشر فكرة الاستقلال وكانت الخلايا الأولى التابعة لنجم شمال افريقيا والتي تكونت ابتداء من سنة 1933 في المدن الكبرى مثل الجزائر وعنابة وقسنطينة وتلمسان ، تركز بالأخص نشاطها على نشر جريدة «الأمة» وبالأفكار الجديدة التي كانت تنشرها الخاصة بضرورة العمل والتضحية في سبيل الوطن والاستقلال . وفي سنة 1937 عندما منعت الحكومة الفرنسية نجم شمال افريقيا ، بقيت جريدة «الأمة» تواصل النشاط واستمر النظام السياسي يعمل باسم جريدة «الأمة» حتى عوض نجم شمال افريقيا - في نفس السنة (1937) - بتأسيس حزب الشعب الجزائري . ولم تتوقف جريدة «الأمة» إلا سنة 1939 مع بداية الحرب العالمية الثانية بعد أن منعتها الحكومة الفرنسية .

وان كانت جريدة «الأمة» توزع بسهولة نسبية في فرنسا لأنها كانت جريدة شرعية فان توزيعها في الجزائر كان يمثل خطورة كبيرة لأصحابها نظراً لموقف السلطات الاستعمارية التي شددت الحراسة عليها . والعقوبة على من تجرأ يقرأها ، ولذا كانت جريدة «الأمة» توزع سرياً وتقرأ في الخفاء وكانت الصحافة الاستعمارية تقوم بحملات عنيفة ضدها ، وكانت الصحافة الأهلية تتبرأ من أفكارها وتدعو لها بالويل لأنها تزعجها وتعكر عليها الجو السياسي الملائم لها . وكانت جريدة «الأمة» هي الوحيدة التي وقفت ضد المؤتمر الإسلامي الذي انعقد في الجزائر سنة 1936 وضد المطالب التي تقدم بها المؤتمر ولم تنجح من بعد في تحقيق ولو مطلب صغير منها وفي سنة 1937 عندما تبين الفشل طلبت الأمة من زعماء

هذا الإتجاه أن يقفوا ضد المطالب التي تقدم بها المؤتمر وأن ينظموا الى فكرة الاستقلال وكان ممن استمع الى هذا النداء الشيخ عبد الحميد بن باديس وفي هذا الظرف نظم قصيدته المشهورة التي قال فيها :

شعب الجزائر مسلم والى العروبة ينتسب

من رام ادماجا له رام المحال من الطلب

وبما أن جريدة «الأمة» كانت تجد صعوبات كبيرة في توزيعها في الجزائر وتجد في نفس الوقت اقبالاً متزايداً ، حاول نجم شمال افريقيا وحزب الشعب بعدها أن يعززها بصحف أخرى ، تطبع أحياناً بصفة بدائية في الجزائر فظهرت في سنة 1935 جريدة تحمل اسم «الشعب الجزائري» بالفرنسية ثم في سنة 1935 جريدة «الشعب» بالعربية وجريدة «البرلمان الجزائري» في سنة 1939 وجريدة «العمل» سنة 1941 بالفرنسية ، وكانت هذه الصحف كلها سرية وغير منتظمة وأكثرها لا يعيش إلا ظرف بعض الأعداد مثل جريدة «الشعب» التي لم يظهر منها إلا عددان فقط .

ولقد تزامن هذا النشاط الصحفي المكثف مع فشل مطالب المؤتمر الإسلامي وتقوية خلايا حزب الشعب وبروز فكرة الاستقلال بقوة في الجماهير الشعبية وعند البعض من الطلبة والنخبة المثقفة . ومع اندلاع الحرب العالمية الثانية وانهزام الجيش الفرنسي وتواجد جيوش الحلفاء فوق التراب الجزائري بدأ الوضع السياسي يتغير في الجزائر وندخل في المرحلة الثانية .

- **المرحلة الثانية من 1943 الى 1954 :** لقد كان لإنهزام فرنسا في بداية الحرب العالمية الثانية تأثير قوي على كل من كان يؤمن بالاندماج في الجزائر ، وفرصة كبيرة لتعميم فكرة الاستقلال وعندما بدأت تتحرى جماعة من اتحادية النواب وتقوم بمساعي لتقديم بعض المطالب السياسية أمام الحلفاء لم يجد حزب الشعب الجزائري صعوبة في اقناع النواب وأعضاء جمعية العلماء من ادراج مطلب الاستقلال في البيان الذي كانوا يريدون تقديمه للحلفاء . وهكذا تبنى أصحاب الاندماج فكرة الاستقلال في تجمع كبير أعطى له اسم أحبابا لبيان الذي قرر اصدار جريدة باسم «ليكاليتي» (المساواة) وقامت هذه الجريدة بترويج

مطـالب «البيـان» وبـالأخص فكرة السيـادة الجـزائريـة وتـأسيس برلمـان جزائري إلخ ..

ولقـد لعبت جريـدة «ليكاليتي» دوراً كبيراً في هـذه الفترة الحـاسمـة وبفضـل نشاط مناضلي حزب الشعب الجزائري السري الذين نشرو الجريـدة في جميع أنحـاء الوطن ، أصبحت فكرة الاستقلال مقبولة عنـد جميع فئـات الشعب . ولكن هـذه الحركـة الجماعيـة تـوقفـت بعـد الثـامـن مـن شهـر مـاي 1945 ، ففـي هـــذا التاريـخ وقعـت الحـوادث الداميـة المعروفـة وأدخلـت السلطـات الاستعماريـة عـدداً كبيـراً مـن أعضـاء «أحبـاب البيـان» الـى السجـون وتـوقفـت مـؤقتـاً جريـدة «ليكاليتـي» .

وبعد العفو الذي منحتـه الحكومـة الفرنسيـة للجزائريين سنـة 1946 استـأنف النشاط السياسي بانفساخ حركة «أحباب البيـان» وتكوين أحزاب سيـاسيـة أهمها «الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري» و«حركـة انتصـار الحريـات الـديمقراطيـة» . بـالاضـافـة الى الحـزب الشيـوعي الجزائري ، وجمعيـة العلمـاء المسلمين الجـزائريين و«المستقلين» . وأصبحت هـذه الأحزاب كلهـا - مـا عـدا المستقلين الـذين تمسكـوا بفكرة الانـدمـاج - تؤمن بفكرة الاستقلال وتطـالب بـالسيـادة الوطنيـة كمطلب عام ، وبهذا يمكن اعتبارها أحزاباً أو جمعيـات وطنيـة . وكان لكل حزب جريـدة تنطق بـاسمـه وتشرح موقفهـا من الاستقـلال ، فقـويت بهـذا الصحـافـة الـوطنيـة وأصبحت متنوعة وازداد عدد سحبها بصفة ملحوظة يقرب من 100,000 نسخـة . وقد أشرنا من قبل أن الصحافة الأهلية لم يبق لها أي تأثير .

وكانت السلطـات الاستعمارية تراقب من بعيد هـذا النشـاط الصحفي غير أنها كانـت تشـدد علـى صحافـة حركـة انتصـار الحريـات الـديمقراطيـة التـي هـي فـي الحقيقـة غطـاء شرعـي لحـزب الشعـب الجزائـري الـذي كـان ممنوعـاً مـن النشـاط السياسـي .

ورغم الصعوبـات المختلفـة التي كانت السلطـات الاستعماريـة تنصبهـا لهـا فـان صحافة حزب الشعب كانت قوية وكانت تنشط بالعربيـة وبـالفرنسيـة وكان هـذا الحزب يمون ويمـد يـد الاعـانـة الى عـدد من الصحف الأخرى التي تنشرهـا بعض

الشخصيات متبنية فكرة الاستقلال مثل جريدة «المغرب العربي» للشيخ السعيد الزاهري .

واستمر هذا النشاط طيلة هذه الفترة يقوي الوعي السياسي ويغذي القراء بجميع أنواع المعلومات التي تنمي فيهم الروح الوطنية وضرورة الكفاح في سبيل الاستقلال ولكن في سنة 1954 بدأت تظهر بعض الحزازات في صفوف الوطنيين آلت الى الانقسام وأفقدت مصداقية الأحزاب السياسية وصحافتهم وعجلت بقيام الثورة .

- **المرحلة الثالثة 1954 - 1962 :** الصحافة الثورية هذه المرحلة تغطي الفترة التي عرفتها الثورة الجزائرية وهي فترة سياسية موحدة ولكن اذا نظرنا إليها من الناحية الصحفية فاننا نجد أنها تنقسم الى قسمين :

1) من 1954 الى 1956 : لم تكن الثورة فيها صحافة خاصة بها والمعلوم أن جبهة التحرير الوطني بدأت نشاطها الاعلامي بالمناشر وهي ورقة مطبوعة على الرونيو ويوزعها المناضلون حسب مجهودهم الخاص نظراً للظروف الخاصة ، وكانت الصحافة الوطنية التي أشرنا إليها سابقاً مستمرة في نشاطها تنظر الى الثورة من بعيد متخوفة من عواقبها لأنها كانت تعتقد بفشلها . والحقيقة أن السلطات الاستعمارية أوقفت عند بداية الثورة يعني في شهر نوفمبر 1954 صحافة حركة إنتصار للحريات الديمقراطية ظناً منها أن هذه الحركة هي التي أمرت بالثورة ولكن الصحافة الوطنية الأخرى لم تتوقف إلا في سنة 1956 عندما اشتدت الثورة وأعطت لها الأمر بالتوقف والانظمام الى الثورة .

2) من 1956 الى 1962 : في شهر ماي وجوان 1956 بدأت جبهة التحرير الوطني تفكر بجد في تأسيس صحافة تابعة لها تنطق باسمها وتشرح موقفها وتقوي عزم الثورة على الحصول على الاستقلال فزيادة على بعض الصحف الصغيرة التي تنشرها بصفة محدودة بعض الولايات التابعة لجبهة التحرير الوطني قررت هذه الأخيرة انشاء عدة صحف احداها في فرنسا والثانية بتطوان في المغرب والثالثة بتونس . وسميت هذه الصحف الثلاثة باسم واحد وهو «المقاومة الجزائرية» وكانت تطبع بالعربية وبالفرنسية وتظهر في شكل صحيفة عصرية حجمها

41×61 . وأنشأت صحيفة رابعة في مدينـة الجزائر تحمل اسم «المجاهـد» بـالعربيـة والفرنسيـة ولكن هـذه كانت تطبع على الرونيو ولها شكل كراس وكان تـوزيعها محدوداً وكان ظهورها غير منظم نظراً للظروف السرية والوضع الثوري الموجود في الجزائر .

ولقد نشطت هذه الصحافـة بهـذه الكيفيـة وقـامت بـدورهـا الاعلامي للثورة الجزائرية ، وفي سنة 1957 بعـد الاضراب الأسبوعي وخروج أعضـاء قيـادة الثورة من الجزائر ، قررت هذه الأخيرة توحيد الصحافة الثورية واعطاء لها نفساً قوياً ، فـأوقفت المقـاومـة الجزائريـة وجمعت المنـاضلين والعـاملين بهـا في هيئـة تحريريـة واحدة في اطار جريدة «المجاهد» وتحت اشراف عضوين من قيادة الثورة . وهكـذا ظهرت «المجاهد» في شكلها الجديـد كصحيفـة عصريـة تنطق بـاسم جبهـة التحرير الوطنـي وهـي لسـان حالهـا . وبـدأت تظهـر بمدينـة تطـوان بـالمغرب ثـم فـي شهـر نـوفمبر 1957 نقلـت الـى تـونـس بعـد أن قـررت قيـادة الثـورة اتخـاذ مدينـة تونـس مركـزاً لهـا .

ولقد خاضت جريـدة «المجـاهـد» معـارك مختلفـة لا تقل شـدتهـا من المعـارك العسكرية التي كان يقوم بها المجاهـدون داخل التراب الجزائري ، وكانت مقالاتها تحمل من البلاغة والبيان ما جعلها تتبوء مكانة عالية في الصحافة العالمية ويراقب الجميع ظهورها ليعرفوا موقف الثورة الجزائرية من الأحـداث سواء في الجزائر أو في العالم العربي أو في بقية العالم .

وكانـت جريـدة «المجـاهـد» تـوزع فـي جميـع عواصـم العـالـم وترسـل علـى طريـق البريـد الجوي الـى عـدد كبيـر مـن الشخصيـات والهيـآت السيـاسيـة والثقـافيـة فـي جميـع أنحـاء العـالـم فـي استراليـا وآسيـا وأمريكـا الجنـوبيـة وأوروبـا وأمريكـا الشماليـة وافريقيـا . وكانـت مـن جهـة أخرى تطبـع علـى ورق شفـاف وتدخـل عبـر الحـدود الـى الجزائـر وتـوزع علـى المنـاضليـن وتقـرأ بصفـة جماعيـة علـى المواطنيـن .

وبهذا كان دور «المجـاهـد» كبيراً جداً ومسـاهمتهـا في نجـاح الثـورة معتبراً . واستمرت تظهر حتى الاستقلال بل ما زالت تظهر حتى يومنا هذا .

2 – قائمة الصحف الجزائرية التي ظهرت ما بين 1839 إلى 1962

قائمة الصحف الجزائرية التي ظهرت ما بين 1839 إلى 1962

إسم الجريدة	تاريخ صدورها	مكان صدورها	أسماء المشرفين	نوعها	عدد السحب	الاتجاه السياسي	تاريخ اختفائها	لغة الجريدة
1 - الأخبار 1839	12 جويلية	الجزائر	أغست بورجي	أسبوعي	-	استعماري	1889	فرنسية
2 - المبشر 1848	15 سبتمبر	الجزائر	الجنرال دوما	نصف شهري	-	حكومي	1927	فرنسية عربية
3 - الصدا 1876	30 جانفي	باريس	فلوريان فرعون	نصف شهري	-	حكومي	1877	مزدوجة
4 - المنتخب 1882	23 أفريل	قسنطينة	بول اتيان	أسبوعي	-	أحباب الأهالي	1883	مزدوجة
5 - لاستردوريان (كوكب الشرق)	جوان	باريس	بوديرو	أسبوعي	-	حكومي	1883	مزدوجة
6 - المبصر 1883	[illegible]	قسنطينة	بول اتيان	أسبوعي	-	أحباب الأهالي	1883	فرنسية
7 - الحق 1893	[illegible] جويلية	عنابة	سليمان بن نقي وسمار	أسبوعي	500	أهلي	94/3/25	مزدوجة
8 - النصيح 1899	11 أكتوبر	الجزائر	غوسلين	أسبوعي	-	حكومي	1902/5/23	عربية
9 - الأخبار 1902	1902	الجزائر	بارو كاند	أسبوعي	-	أحباب الأهالي	1933	فرنسية
10 - المغرب 1903	10 أفريل	الجزائر	فانتانة	مرتين كل أسبوع	-	حكومي	1903	عربية
11 - المصباح 1904	3 جوان	وهران	العربي فخار	أسبوعي	-	أهلي	1905	مزدوجة
12 - الجزائر 1905	1905	الجزائر	عمر راسم	-	-	اصلاحي	عددان	عربية

(تابع)

إسم الجريدة	تاريخ صدورها	مكان صدورها	أسماء المشرفين	نوعها	عدد السحب	الاتجاه السياسي	تاريخ اختفائها	لغة الجريدة
13 - الهلال 1906	22 أكتوبر	الجزائر	دي فولبيلير	أسبوعي	-	أحباب الأهالي	1907/3/11	مزدوجة
14 - الاحياء 1907	14 فبراير	الجزائر	ديراپو	نصف شهري	-	حكومي	1907/5/14	عربية
15 - كوكب افريقيا	ماي	الجزائر	محمود كحول	أسبوعي	-	حكومي	1914/7/31	عربية
16 - لي موزيلمان (المسلم)	1907	الجزائر	-	-	-	أحباب الأهالي	-	فرنسية
17 - الإسلام 1908	1908	عنابة/الجزائر	صادق دندن	أسبوعي	-	أهلي	1919/12/21	فرنسية
18 - ليتاندرا الجيريان (العالم الجزائري)	20 نوفمبر	عنابة	عبد العزيز طبيل	أسبوعي	-	أهلي	1910	فرنسية
19 - الراشدي	1910	جيجل	حاج عمار	أسبوعي	-	أهلي	1914	فرنسية
20 - الحق 1911	1911	وهران	طابي	أسبوعي	-	أهلي	1914	مزدوجة
21 - لاكرواسان (الهلال) 1911	-	-	-	-		أحباب الأهالي	-	
22 - الفاروق 1913	18 مارس	الجزائر	عمر بن قدور	أسبوعي	1000	أهلي	1921/3/26	عربية
23 - ذو الفقار	5 أكتوبر	الجزائر	عمر راسم	أسبوعي	1000	أهلي	1914/6/28	عربية
24 - النجيع 1913	1913	الجزائر	-	-	-	-	-	عربية

(تابع)

إسم الجريدة	تاريخ صدورها	مكان صدورها	أسماء المشرفين	نوعها	عدد السحب	الاتجاه السياسي	تاريخ اختفائها	لغة الجريدة
25 - العريد	28 أوت	الجزائر	أقلال	أسبوعي	-	أهلي	1913/9/18	عربية
26 - لي تواوريان	20 فبراير	الجزائر	-	-	-	أهلي	-	
27 - الاقدام 1919	7 مارس	الجزائر	دندن وحاج عمار	أسبوعي	300	أهلي	1923/10/6	فرنسية
28 - افريقيا	1 جوان	الجزائر	بودي	نصف شهري	-	أحباب الأهالي	-	فرنسية
29 - النجاح	1919	قسنطينة	الهاشمي	أسبوعي	-	حكومي	1956	عربية
30 - لافنير الجيريان مستقبل الجزائري	29 أفريل	الجزائر	صوالح	أسبوعي	1500	أهلي	1920/12/23	مزدوجة
31 - الحديق	192 [illegible]	الجزائر	عمر بن قدور	مرتين كل أسبوع	-	أهلي	1922/3/27	عربية
32 لافنير دو لاجيري (مستقبل الجزائر)	7 جانفي	الجزائر	صوالح	مرتين كل أسبوعي	1500	أهلي	1921/2/4	مزدوجة
33 النصيح	8 جويلية	الجزائر	صوالح	أسبوعي	-	أهلي	2210/27	مزدوجة
34 - لافوادي هامبل (صوت الضعفاء)	مايو	وهران	فاسي	شهري	-	أهلي	-	فرنسية
35 - لسان الدين 1924	2 جانفي	الجزائر	بن دمراد	أسبوعي	2000	الزوايا	-	عربية
36 - التقدم	25 مايو	الجزائر	بن تهامي	نصف شهري	2500	أهلي	-	مزدوجة

(تابع)

إسم الجريدة	تاريخ صدورها	مكان صدورها	أسماء المشرفين	نوعها	عدد السحب	الاتجاه السياسي	تاريخ اختفائها	لغة الجريدة
37 - المنتقد 1925	2 جويلية	قسنطينة	ابن باديس	أسبوعي	-	إصلاحي	1925/10/29	عربية
38 - الجزائر	جويلية	الجزائر	الزاهري	أسبوعي	-	أهلي	-	عربية
39 - الشهاب	12 نوفمبر	قسنطينة	ابن باديس	أسبوعي	2000	إصلاحي	أوت 1929	عربية
40 - صدى الصحراء	ديسمبر	بسكرة	عابد العقبي	أسبوعي	-	أهلي	1934/10/12	عربية
41 - الحق 1926	مايو	بسكرة	علي العقبي	أسبوعي	-	أهلي	1926/6/18	عربية
42 - البلاغ الجزائري	ديسمبر	مستغانم	بن تونس	أسبوعي	1500	الزوايا	1932/3/11	عربية
43 - لي تري دينيون 1927	15 جويلية	وهران	بش ترزي	أسبوعي	-	أهلي	1 مايو1929	فرنسية
44 - لاتريبين الجيريان	25 نوفمبر	الجزائر	أسيلمان	أسبوعي	2000	أحباب الأهالي	أفريل 1931	فرنسية
45 - الإصلاح	1927	بسكرة	الطيب العقبي	أسبوعي	-	أهلي	1939	عربية
46 - البرق	1927	قسنطينة	محمد رحموني	-	-	أهلي	1927	عربية
47 - لالجيري نوفيل	1927	الجزائر	قايد حمود	أسبوعي	-	أهلي	1928	فرنسية
48 - وادي ميزاب	1926	الجزائر	أبو اليقظان	أسبوعي	-	أهلي	1929	عربية

(تابع)

إسم الجريدة	تاريخ صدورها	مكان صدورها	أسماء المشرفين	نوعها	عدد السحب	الاتجاه السياسي	تاريخ اختفائها	لغة الجريدة
49 - لافوا اندیجان 1929	13 جوان	قسنطينة	زناتي	أسبوعي	-	أهلي	1931/12/24	مزدوجة
50 - الأمة 1930	أكتوبر	باريس	مصالي الحاج	شهري	3000	وطني	1939	فرنسية
51 - المغرب	26 مايو	الجزائر	تعمونت عيسى	أسبوعي	2000	إصلاحي	1931/3/26	عربية
52 - لانبتير (الحضنة)	1930	مسيلة	سفار والعربي	؟	؟	؟	؟	مزدوجة
53 - الاقدام 1931	19 مارس	الجزائر	صادق دندن	أسبوعي	1500	اندماجي	1935	فرنسية
54 - النور	15 ديسمبر	الجزائر	أبو اليقظان	أسبوعي	2000	اصلاحي	1933/5/2	عربية
55 - التلميذ	نوفمبر	الجزائر	علي زاوش	شهري	-	إتحاد الطلبة	-	عربية
56 - المبصر الافريقي	19 سبتمبر	قسنطينة	خبابش	نصف شهري	-	مختص اقتصاد	-	مزدوجة
57 - المرصاد	27 ديسمبر	الجزائر	محمد عبابسة	أسبوعي	3000	إصلاحي	1933/11/3	عربية
58 - الإخلاص 1932	14 ديسمبر	الجزائر	مولود الحافظي	أسبوعي	2000	ديني	1933/12/6	عربية
59 - الفجر	5 جانفي	وهران	الزين بن ثابت	أسبوعي	-	إندماجي	1932/7/30	فرنسية
60 - المعيار	18 ديسمبر	الجزائر	مولود الحافظي	نصف شهري	2000	هزلي	1933/4/23	عربية

(تابع)

إسم الجريدة	تاريخ صدورها	مكان صدورها	أسماء المشرفين	نوعها	عدد السحب	الاتجاه السياسي	تاريخ اختفائها	لغة الجريدة
61 - الأمة 1933	8 سبتمبر	الجزائر	أبو اليقظان	أسبوعي	2000	إصلاحي	1938/6/6	عربية
62 - البستان	27 أفريل	الجزائر	تعمونت عيسى	نصف شهري	2000	هزلي	1933/7/11	عربية
63 - الجحيم	30 مارس	الجزائر	أوقانة ويوغلاري	أسبوعي	-	هزلي	1933/5/17	عربية
64 - الحارس	3 أوت	الجزائر	غريب	أسبوعي	1500	حكومية	4 أعداد	عربية
65 - الذكرى	1933	قسنطينة	ابن باديس	-	-	جمعية العلماء	عددان	عربية
66 - الصراط	11 سبتمبر	قسنطينة	ابن باديس	؟	-	جمعية العلماء	1934	عربية
67 - الشريعة	17 جويلية	قسنطينة	ع. ابن باديس	أسبوعي	7 أعداد	جمعية العلماء	1933/8/28	عربية
68 - النبراس	21 جويلية	الجزائر	أبو اليقظان	أسبوعي	2000	إصلاحي	3 أعداد	فرنسية
69 - ليكو انديجان	5 أوت	قسنطينة	مولود بن باديس	أسبوعي	64 عدد	اندماجي	1934/12/26	فرنسية
70 - الحياة 1933	1 أفريل	الجزائر	عدون باسعيد	أسبوعي	2000	إصلاحي	أفريل 1934	عربية
71 - المترونسي	29 جوان	الجزائر	جوزيف رنطار	شهري	500	إدماجي	؟	فرنسية
72 - السنة	مارس	قسنطينة	ابن باديس	أسبوعي	-	جمعية العلماء	جويلية 1933	عربية

(تابع)

إسم الجريدة	تاريخ صدورها	مكان صدورها	أسماء المشرفين	نوعها	عدد السحب	الاتجاه السياسي	تاريخ اختفائها	لغة الجريدة
73 - الشبات	24 نوفبر	الجزائر	عبابسة	أسبوعي	3000	إصلاحي	1935	عربية
74 - لافوا دي بوبل	15 سبتبر	الجزائر	علي بن أحمد	أسبوعي	-	إصلاحي	1935	فرنسية
75 - أبو العجائب	24 مايو	قسنطينة	أحمد بوشمال	أسبوعي	؟	هزلي	1934/6/26	عربية
76 - الحق	19 أفريل	الجزائر	حطاب خليف	أسبوعي	2000	إندماجي	-	فرنسية
77 - المستقبل	5 جانفي	الجزائر	م. الاشرف	أسبوعي	2000	وطني	عددان	فرنسية
78 - لوكري انديجان	8 أفريل	وهران	حاج أحسن باشترزي	أسبوعي	-	إنتخابية	-	فرنسية
79 - لاديفانس	26 جانفي	الجزائر	الامين العمودي	أسبوعي	2000	إصلاحي	1939/8/10	فرنسية
80 - لاجستيس	31 أكتوبر	الجزائر	بن حورة	نصف شهري	1000	إندماجي	1938/4/9	فرنسية
81 - لافريتي	31 ديسمبر 1935	بجاية	علي نواري	أسبوعي	-	إنتخابي	1935	فرنسية
82 - البصائر 1935	27 ديسمبر	الجزائر	الطيب العقبي	أسبوعي	4000	جمعية العلماء	أفريل 1956	عربية
83 - الفضيلة	1935	الجزائر	موسى خداوي	-	-	جمعية العلماء	عددان	عربية
84 - لانطونط	29 أوت	قسنطينة	كوس وعباس	أسبوعي	2000	إندماجي	1942/01/29	فرنسية

(تابع)

إسم الجريدة	تاريخ صدورها	مكان صدورها	أسماء المشرفين	نوعها	عدد السحب	الاتجاه السياسي	تاريخ اختفائها	لغة الجريدة
85 - ايكود لابراس	21 نوفبر	الجزائر	كيانجير	أسبوعي	2000	حكومية		فرنسية
86 - سيدي هنبي 1936	1936	الجزائر	ياكو محمد الطاهر	نصف شهري	-	هزلي	1938	عربية
87 - الليالي	8 فبراير	الجزائر	علي بن سعيد	نصف شهري	2000	إصلاحي	1937	عربية
88 - لسان الدين	1936	الجزائر	محمد محي الدين	نصف شهري		الزوايا	1939/2/20	عربية
89 - لورابيل	1936	قسنطينة	؟	أسبوعي	؟	؟	؟	فرنسية
90 - الشعب 1937	27 أوت	الجزائر	مصالي	-	1000	حزب الشعب	عددان	عربية
91 - المغرب العربي	مايو	وهران	بوكوشة	أسبوعي	-	إصلاحي	1937	عربية
92 - الميدان	جوان	قسنطينة	الوزراني	أسبوعي	-	إندماجي	1938/3/6	عربية
93 - الروح	أكتوبر	الجزائر	أبو العلاء	نصف شهري	-	مستقل	؟	عربية
94 - الفرقان 1938	جويلية	الجزائر	أبو اليقظان	أسبوعي	-	إصلاحي	1938/7/18	عربية
95 - المنجنيق	30 أوت	الجزائر	الحنفية	نصف شهري	-	هزلي	1939/1/10	؟
96 - الرشاد	16 مايو	الجزائر	القاسمي	أسبوعي	-	الزوايا	1939	عربية

(تابع)

إسم الجريدة	تاريخ صدورها	مكان صدورها	أسماء المشرفين	نوعها	عدد السحب	الاتجاه السياسي	تاريخ اختفائها	لغة الجريدة
97 - الوفـاق	مارس	وهران	سعيد الزاهري	أسبوعي - يومي	4000	إصلاحي	1939	عربية
98 - ألجي ريبيليكان	6 أكتوبر	الجزائر	؟	يومي	؟	إشتراكي	-	فرنسية
99 - الإصـلاح 1939	28 ديسمبر	الجزائر	الطيب العقبي	نصف شهري	4000	إصلاحي	1940	عربية
100 - ليبرلمان الجيريان	1 أفريل	سري	حزب الشعب	-	-	وطني	1939/9/26	فرنسية
101 - صوت الأحرار 1913	جوان	سري	حزب الشعب	-	-	وطني	جانفي 1944	عربية
102 - النصـر	1 جوان	قسنطينة	بيوض	شهري	2000	حكومي	؟	عربية
103 - لاكسيون الجيريان 1944	مارس	الجزائر	؟	سري	-	وطني	؟	فرنسية
104 - ليكاليتي (المساواة)	15 ديسمبر	الجزائر	فرحات عباس	أسبوعي	-	حزب البيان	1948/2/6	فرنسية
105 - ليجان الجيريان	فبراير	الجزائر	-	-	-	-	-	فرنسية
106 - ليترافيور الجيريان	1944	الجزائر	قايدي أحمد	أسبوعي	-	إتجاه العمال	1938//8/18	فرنسية
107 - ليبوبل الجريان 1945	1 أفريل	باريس	أحمد بلوط	نصف شهري	-	وطني	1949	فرنسية
108 - الجزائر الجديدة 1946	نوفمبر	الجزائر	-	-	-	الحزب الشيوعي	-	عربية

(تابع)

إسم الجريدة	تاريخ صدورها	مكان صدورها	أسماء المشرفين	نوعها	عدد السحب	الاتجاه السياسي	تاريخ اختفائها	لغة الجريدة
109 - المرشد	ديسمبر	مستغانم	بن تونس	أسبوعي	-	زوايا	-	مزدوجة
110 - السلام	1 سبتمبر	الجزائر	حمزة أبو بكر	نصف شهري	2500	ثقافي	1947	فرنسية
111 - لاخيري نوفل1946	1 جويلية	الجزائر	عزر أرزقان	شهري	25000	الحزب الشيوعي	سبتمبر 1955	فرنسية
112 - ليكوريي الجيرين	1 جانفي	الجزائر	أنجيلي	أسبوعي	-	فرنسي حر	-	فرنسية
113 - لاناسيون الجيريان	جوان	سري	حزب الشعب	-	-	وطني	-	فرنسية
114 - العبقرية 1947	ماي	تلمسان	بن منصور	شهري	؟	إصلاحي	3 أعداد	عربية
115 - المغرب العربي	13 جوان	الجزائر	سعيد الزاهري	أسبوعي	2000	وطني	1949/5/7	مزدوجة
116 - إفريقيا الشمالية	1947	الجزائر	إسماعيل العربي	-	-	-	-	عربية
117 - لافواليبر	فبراير 1948	قسنطينة	زناتي	أسبوعي	-	إندماجي	1952	فرنسية
118 - الشعب 1948	3 جانفي	؟	بن ديحة	؟	10000	؟	؟	عربية
119 - السلام الافريقي	مارس	الجزائر	حمزة أبو بكر	نصف شهري	25000	ثقافي	1950	فرنسية
120 - صوت المسجد	أكتوبر	الجزائر	العاصمي	شهري	3000	ديني - حكومي	-	عربية

(تابع)

إسم الجريدة	تاريخ صدورها	مكان صدورها	أسماء المشرفين	نوعها	عدد السحب	الاتجاه السياسي	تاريخ اختفائها	لغة الجريدة
121 - الوطن	23 فبراير	الجزائر	فرحات عباس	أسبوعي	4000	وطني معتدل	؟	عربية
122 - ليطوال الجيريان	أفريل	باريس	مولاي أحمد	نصف شهري	-	وطني	-	فرنسية
123 - لاريبيليك الجيريان	27 فبراير	الجزائر	فرحات عباس	أسبوعي	10000	وطني معتدل	جوان 1955	فرنسية
124 - الشعلة	15 ديسمبر	قسنطينة	رضاضا حوحو	أسبوعي	؟	هزلي	53 عدد	عربية
125 - لالجيري ليبر	18 أوت	باريس	أحمد مزغنة	نصف شهري	20000	حزب الشعب	54/10/28	فرنسية
126 - الداعي 1950	26 سبتمبر	الجزائر	جابر بوبكر	نصف شهري	1.250	-	-	مزدوجة
127 - الحياة	مايو	الجزائر	القسيري	-	-	الكشافة الإسلامية	1955	مزدوجة
128 - عصا موسى	1950	الجزائر	بن عبد الرحمان	؟	؟	؟	؟	عربية
129 - ليكاي الجيريان	1950	باريس	؟	كل شهرين	؟	وطني	؟	فرنسية
130 - كونبونس	1950	الجزائر	مندور ميبوني	كل شهرين	-	فرنسي حر	أوت 1951	فرنسية
131 - المنار 1951	29 مارس	الجزائر	محمود بوزوزو	نصف شهري	5000	وطني	1954	عربية
132 - القبس 1952	1952	الجزائر	-	-	-	جمعية العلماء	-	عربية

(تابع)

إسم الجريدة	تاريخ صدورها	مكان صدورها	أسماء المشرفين	نوعها	عدد السحب	الاتجاه السياسي	تاريخ اختفائها	لغة الجريدة
133 - اللهواء	1952	الجزائر	-	شهري	-	-	-	عربية
134 - شباب الموحدين	1952	الجزائر	؟	؟	؟	؟	؟	عربية
135 - الشباب المسلم	2 جوان 1952	الجزائر	ع. سفازي	نصف شهري	6000	جمعية العلماء	1954	فرنسية
136 - ليزاميدي إسلام	نوفمبر	مستغانم	بن تونس	شهري	500	طرقي	1960	فرنسية
137 - الشباب الجزائري	1953	الجزائر	؟	-	-	حزب البيان	-	فرنسية
138 - صوت الجزائر	21 نوفمبر	الجزائر	فروخي	أسبوعي	11000	ح.ا.م.د. وطني	ديسمبر 1954	فرنسية
139 - شباب الإسلام	1953	الجزائر	كيوان	-	-	حزب الشعب	-	فرنسية
140 - ليدرابودي لونيون	أفريل	الجزائر	كرابة	-	-	الشيوعي	عدد واحد	فرنسية
141 - ليتيديون الجيريان (الطالب الجزائري)	نوفمبر	الجزائر	إتحاد الطلبة	-	-	نقابي	عدد واحد	فرنسية
142 - ليبروغري	مارس	الجزائر	صادق هجريس	كل شهرين	-	شيوعي	1954	فرنسية
143 - صوت الشعب	سبتمبر	باريس	مولاي مرباح	أسبوعي	-	-	1954/10/30	عربية
144 - لوباتريوت	1954	الجزائر	بوضياف	سري	-	وطني ثوري	1954	فرنسية

(تابع)

إسم الجريدة	تاريخ صدورها	مكان صدورها	أسماء المشرفين	نوعها	عدد السحب	الاتجاه السياسي	تاريخ اختفائها	لغة الجريدة
145 أفريان أوريان	جانفي	الجزائر	؟	شهري	؟	؟	؟	مزدوجة
146 كونسيانس مغربين	مارس	الجزائر	مندوز	.		فرنسي حر	جويلية 1956	فرنسية
147 لاناسيون ألجيريان	سبتمبر	الجزائر	حسين الأحول	أسبوعي		ح.ا.م.د مركزي	1954	فرنسية
148 لوريفاي إسلاميك	جانفي	الجزائر	توري	أسبوعي		؟	1955	فرنسية
149 ألجيري داور 1955	18 يوليو	الجزائر	عمار أزقان	نصف شهري	؟	؟	عددان	فرنسية
150 كومينوتي ألجيريان	1 أكتوبر	الجزائر	البيركامو	نصف شهري	5000	تقدمي	1956/8/17	فرنسية
151 - لافوا دوبوبل	1955	سري	الحركة المصالية	-	-	منافس للجبهة	1958	فرنسية
152 المغرب العربي 1956	17 مارس	الجزائر	سعيد الزاهري	أسبوعي	-	وطني مستقل	1956/5/18	عربية
153 المجاهد	جوان	الجزائر	جبهة التحرير	سري	-	ثوري	1962	مزدوجة
154 - المقاومة الجزائرية	1956	سري	جبهة التحرير	سري	-	ثوري	1957	مزدوجة
155 - العامل الجزائري	6 أفريل	الجزائر	عيسات إدير	أسبوعي	-	نقابي وطني	1962	مزدوجة
156 - ليبوار ألجيري	9 جوان	الجزائر	كوني	نصف شهري	6000	فرنسي حر	1959/9/28	فرنسية
157 - الاقتصاد الجزائري	18 أكتوبر	الجزائر	سعيد أزقان	-	-	اتحاد التجار	1956	مزدوجة

الفصل الثاني : دراسات جزئية

1 - الصحافة الثقافية في الجزائر[1]

ليس من السهل تحديد مفهوم الصحافة الثقافية فهو في الحقيقة مفهوم حديث ينطبق على نوع من الصحف تشبه في شكلها الكتاب سواء كان مضمونها أدبياً أو فكرياً أو علمياً . وهذا المفهوم لم يصبح منتشراً في العالم العربي وفي الجزائر المسلمة إلا بعد الحرب العالمية الأولى ، اما قبل فأن هذا النوع لم يكن قائماً بذاته إلا نادراً وانما كانت توجد الصحف بصفة عامة وهذه الصحف كانت تخصص عدداً من صفحاتها للأخبار الثقافية والدراسات العلمية قد تقل هذه الصفحات وقد تكثر ، وكانت الصحف التي تصدر باللغة العربية في الجزائر تميل بالطبع - وربما مكرهة - الى الاكثار من هذه الصفحات حتى أن تصير مجلات ثقافية كما وقع لمجلة «الشهاب» مثلاً ، ومن المعلوم أن الصحافة الاستعمارية المكتوبة باللغة الفرنسية عرفت نوع المجلة الثقافية منذ القرن التاسع عشر كما هو الشأن في فرنسا نفسها ولكن ليس المقصود من مقالنا هذا الحديث عن الصحافة الاستعمارية لأنه لا يسعنا المجال لذلك ، وانما يكفي أن نشير الى أن وجود هذه الصحافة في الجزائر كان فرصة للتعرف على نماذج مختلفة من الصحافة الثقافية ، وقد دفع بالبعض الى الاقتداء بها وأحياناً المشاركة فيها .

ويجب أن نشير من جهة أخرى الى أن الصحافة العربية الشرقية بما فيها التونيسية لم تعرف انطلاقة كبيرة ومكثفة ومتنوعة إلا في بداية القرن العشرين ولذا كان وجودها بالجزائر ندراً ، زيادة على أن السلطات الاستعمارية كانت

(1) نشرت هذه الدراسة في مجلة «المجلة الجزائرية للإتصال» مارس 1988 - الجزائر .

تحرس على أن لا يكون الكثير منها بين أيدي النـاس ، فـالتعرف على الصحـافـة الثقافية العربية كان ، اذا من الأمور الصعبة على الجزائريين .

ومهما يكن فأننا نستطيع أن نقول أن بداية الصحافة الثقـافيـة في الجزائر كان مع بـدايـة القرن العشرين ، شـأنهـا في ذلـك شـأن الصحـافـة الأخرى السيـاسيـة والاخبارية ، ولقد ساعد على وجود هذه الصحافة عوامل مختلفة نذكر منهـا إثنين على سبيل المثـال لا الحصر ، وهمـا دور جونـار ، وهو والي عـام في الجـزائر ودور جريدة الأخبار باللغة الفرنسية .

دور جونار : من المعلوم أن جونـار كان يوصف من طرف المعمرين بكونـه «عربيـاً» وكانـوا ينتقـدون ميلـه للعرب الجـزائريين وتشجيعـه للثقـافـة العربيـة الإسلامية ، ويجب أن نلاحظ ان هذا الانتقاد وان كان صحيحـاً نوعـاً مـا ، فـان جونار نفسه كان يفسره بانه كان يخدم أولاً وقبل كل شيء مصلحـة فرنسـا ، يجب اذا التأكد من أن جونار لا تهمه الثقافة العربية والإسلاميـة وان تشجيعـه لهـا انما كان يراه كضرورة حتميـة لبقـاء فرنسـا في الجـزائر خـلافـاً لمـا كان يراه المعمرون وأنصار الاندماج .

ونظرية جونار هي ان سياسته العربية الإسلاميـة تـدخل الطمأنينـة في قلوب المسلمين وتبعـدهم عن العنف والثورة ، وهكـذا رأينـاه ينـدفع - بحـذر - في هـذا الاتجاه ، فيتقرب الى العلماء المسلمين وينشط التدريس باللغة العربية ويحافظ على الأسلوب المعماري العربي كما تشاهد بذلك بنـايـة البريـد المركزي في قلب العـاصمة بالجزائر وغيرها من البنـايات وغير ذلك من المبادرات التي قام بها هذا الوالي العام والتي أثارت تخوفات الغلاة من المعمرين .

وداخل هذه السياسة العامة تندرج كذلك الصحافـة بصفـة عـامـة والصحـافـة الثقافية خاصة ، وبالفعل في عهد جونار انطلقت الصحافة الأهلية الجزائريـة سواء كانت مكتوبة بالعربية أو بالفرنسية ووجدت تشجيعاً وحماية من طرف السلطات الاستعمارية خلافاً لما كان من بعد وعرفت نوعاً مـا الازدهـار ، قبل ان عرفتـه من بعد ، فكان موقف جونار اذا عاملاً قوياً في ظهور الصحافة الثقافيـة وكان اصـدار جريدة الأخبار باللغة الفرنسية ، في وقته وبإعانة مالية منه مثالاً للاقتداء .

دور جريـدة الأخبـار : وبـالفعل فـإن ظهور هـذه الجريـدة مقترن بعهـد

جونار في الجزائر في سنة 1902 ، ولم تخف هذه الجريدة علاقتها بجونار وتحمسها لسياسته العربية الإسلامية التي كانت تعرف في ذلك الوقت بسياسة المشاركة ، يعني اشراك المسلمين في سياسة التعمير (أو الاستعمار) وكان يدير هذه الجريدة رجل فرنسي متفتح اسمه بروكاند معروف بشجاعته المعنوية والفكرية والذي استطاع بمواقفه وبجريدته أن يهيمن على الفكر السياسي الجزائري الناشيء عند النخبة الجزائرية (المكونة بالعربية والفرنسية) وكان مخلصاً لجونار وسياسته وفتح صفحات جريدته لشرح هذه السياسة والدفاع عنها ، بل أنشأ أعمدة مخصصة لشرح مبادئ الإسلام والتعريف بالحضارة العربية من جميع أوجهها ، وجند لذلك أقلاماً ، أصبحت اليوم معروفة عند الجزائريين خصوصاً ، مثل إليزابيت ابيرار والدكتور مادرو مترجم ألف ليلة وليلة ، وكذلك أقلاماً جزائرية مثل محمد بن رحال الذي كانت تجمعه ببروكاند صداقة كبيرة الى درجة ان وقوف السلطات الاستعمارية دون نجاحه في إنتخابات المجالس الولائية في سنة 1927 ، كانت بمثابة صدمة كبيرة جعلت بروكاند يقنط ويشك في بقاء فرنسا بالجزائر وقد عبر عن ذلك في جريدته الأخبار ، ولا ننسى كذلك أن بروكاند هو الذي جاء بعمر بن قدور الجزائري واسند إليه رئاسة تحرير القسم العربي من جريدته في سنة 1907 .

وكانت هذه الجريدة تصدر بإنتظام كل أسبوع وكان لها رواج كبير في الأوساط الإسلامية وكانت مقالاتها تنقل الى الجرائد الأهلية الأخرى التي بدأت تصدر كما أشرنا الى ذلك ، فكانت لهذه الجريدة من المنشطين الأساسيين في الوسط الإسلامية ومن العوامل المشجعة لاحياء التراث العربي الإسلامي تحت المراقبة الفرنسية بالطبع وكانت تنوه بالصحف الجزائرية التي تخوض هذا الميدان .

فوجود جونار بالجزائر وظهور جريدة الأخبار في هذه الظروف مهد الطريق لبروز الصحافة الثافية في الجزائر ومن الممكن أن نعتبر جريدة الأخبار كجريدة ثقافية لما تحتوي عليه من صفحات ثقافية ولكن امتنعنا عن ذلك لأن الاتجاه العام للجريدة كان سياسياً واخبارياً كما امتنعنا ان نعتبر صحفاً أخرى كانت تصدر قبل الأخبار كجرائد ثقافية لأن اتجاهها كذلك كان سياسياً مثل جريدة «المبشر» التي بدأت تصدر في سنة 1848 والتي كانت تنشر مقالات ثقافية وقصائد شعرية

وكان يكتب فيها محمد بن مصطفى ابن خوجة والحفناوي بن الشيخ وكذلك جريدة الصدا التي كانت تصدر بباريس ابتداء من سنة 1876 وكانت تنشر صفحات ثقافية وكان يكتب فيها علماء جزائريون مثل الشيخ البدوي والشيخ المجاوي وغيرهما ، فهذه كلها لم تكن صحفا ثقافية وانما كانت صحفاً سياسية واننا نعتبر ان الصحف الثقافية حسب التعريف الذي اعطيناه في البداية يبدأ ظهورها مع بداية القرن العشرين تحت تأثير العوامل التي أشرنا إليها ، وكان تطورها من بعد بطيئاً ومن الممكن أن نقسمه الى مراحل ثلاثة .

فالمرحلة الأولى : تبدأ سنة 1900 وتنتهي مع بداية الحرب العالمية الأولى ، وهذه المرحلة هي مرحلة التكوين بحيث كان الطابع الصحافي يغلب على الاشكال الأخرى ، وكان يعسر التميز بين الصحيفة الثقافية والصحيفة السياسية وكانت الصحف التي تصدر باللغة العربية هي التي كان يطغى عليها الطابع الثقافي في حين لا نستطيع أن نذكر ولو صحيفة ثقافية واحدة باللغة الفرنسية رغم كثرتها كما انه يصعب ادراج صحافة عمر راسم وصحيفة عمر بن قدور في هذا النوع من الصحف لمزجها السياسة بالثقافة وعليه فان هذه المرحلة تمتاز بقلة الصحف الثقافية ولقد وجدنا اثنتين فقط سوف نتحدث عنهما من بعد وهما «المغرب» و«الاحياء» .

والمرحلة الثانية : تمتد الى الحرب العالمية الثانية ، وظهرت فيها ما يسمى بالمجلة الثقافية وتعددت الصحف الثقافية التي استمرت تصدر على شكل الصحف الثقافية مع مزجها الثقافة بالسياسة ، وبدأت تظهر المجلات الثقافية باللغة الفرنسية وسوف نتحدث عن هذه المرحلة في فرصة أخرى ويكفي ان نذكر بالأخص مجلتين لهما ميزة خاصة في هذه المرحلة وهي جودتها ورواجها وهما «الشهاب» بالعربية و«صوت المساكين» باللغة الفرنسية .

والمرحلة الثالثة : تنتهي باندلاع الثورة ولعل ما يميزها أكثر هو اختفاء المجلة الثقافية باللغة العربية ما عدى الدينية منها وكثرة المجلات الثقافية باللغة الفرنسية وتنوعها مع التفنن في اشكالها وتركيز مضمونها على الثقافة التاريخية وعلى التحليلات السياسية والاجتماعية وفي هذا الصدد يلاحظ ظهور المجلات الثقافية الأولى التي تساند الحركة الوطنية التي تطالب باستقلال الجزائر مثل «الضمير المغربي» .

وبصفة إجمالية فإن نوع المجلة الثقافية لم يعرف رواجاً كبيراً في الجزائر مثل ما عرفته الصحف الأخرى نظراً للوضع السياسي الذي يعتبر عقبة كبيرة تعرقل هذا الرواج ونظراً كذلك لأولوية الكفاح السياسي ولقد أعطت الثورة المسلحة أهمية ملحوظة للنشاط الثقافي ، ونشرت مجلات غير دورية ومجلات أخرى مصورة تعبيراً صادقاً للكفاح المسلح .

ورغم ضعف هذا النوع من الصحف الذي لم يجد الى يومنا هذا انطلاقة ينتظرها الجميع فإننا سنحاول ان نقدم نماذج كل مرحلة من المراحل الثلاثة التي ذكرناها ، وفيما يخص المرحلة الأولى فإننا نقدم الصحيفتين اللتين أشرنا إليهما سابقاً وهما «المغرب» و«الاحياء» .

المغرب : وهي الجريدة الأولى التي تصدر كلية بالعربية الفصحى ، نعم كانت هناك جريدة «المبشر» ولكن «المبشر» العربية ليست إلا نسخة عن المبشر الرسمية باللغة الفرنسية وزيادة على هذا فإن المبشر كانت لسان حال الحكومة الفرنسية والناطق الرسمي «للوالي العام» بالجزائر ، اما المغرب فهي ملك خاص يتصرف فيها صاحبها كما يشاء ، اننا نذكر هذه التفرقة نظراً لأهميتها ولكن ليست هي في الحقيقة إلا صورة مزيفة للواقع الجزائري آنذاك وهي ان مثل هذه الصحف لا تصدر إلا بموافقة الوالي العام ان لم نقل بايحاء منه ، ثم فهي ، وان كانت خاصة ، تأخذ تمويلها بكيفية أو أخرى من الولاية العامة التي توجهها .

ويملك هذه الصحيفة فرنسي كان معروفاً بنشاطه في ميدان النشر وخصوصاً نشر التراث العربي الإسلامي وهو فانطانا صاحب المطبعة العربية المعروفة باسمه ولعلها أول مطبعة تطبع بالعربية في الجزائر ، ولقد طبعت في ذلك الوقت (بداية القرن العشرين) أكثر من خمسين كتاباً عربياً مصحوباً أحياناً بترجمة اللغة العربية الى الفرنسية ، ويرجع عهد انشائها الى سنة 1867 في وقت حكم نابليون الثالث وكانت تعرف بالمطبعة الشرقية .

ولقد صدرت المغرب يوم الجمعة 12 محرم 1321هـ الموافق 10 أفريل 1903م ، وكانت تسمى نفسها بأنها جريدة سياسية اقتصادية علمية أدبية تجارية ، والذي يهمنا نحن هو ان هذه الجريدة علمية أدبية وهذا المصطلح كان يستعمل في ذلك الوقت للدلالة على أن الجريدة ثقافية أو ان اهتمامها الأساسي منصب على الميدان

الثقافي أكثر من غيره وفي العهد الأول من الجريدة فإن الافتتاحية التي كتبها صاحب الجريدة تتوجه الى القراء وتشرح الأسباب التي أدت الى اصدارها فتقول انه «ولا توجد جريدة عربية في الجزائر ما عدى الجريدة الرسمية التي تنحصر فيما تصدره الحكومة من الأوامر التي لا تهم مطالعتها إلا طائفة معلومة من أفراد الرعية» .. وتقول «ان هذا الخلل ينبغي سده» وانه «يجب مشاركة الفراد الأمة الإسلامية في الوجدان وفي كثير من العقليات والمعتقدات» ولهذا تتوجه الى «كتاب أهليين خاصة ظنا منها أنهم أولى من غيرهم بمخاطبة اخوانهم وارشادهم ....» .

وتشرح الجريدة الغاية من تأسيسها في النقط التالية :

- السعي في التأليف بين الأهالي من سكان هذا الوطن وبين الأمة الفرنسية .
- الفحص في الإصلاحات اللازمة لترقى الأمة الإسلامية .
- استلفات أنظار الهيئة الحاكمة نحو حاجياتها .
- كشف الغطاء عن الحقائق السياسية والاقتصادية .
- نشر الأخبار المتعلقة بالأقطار الإسلامية والمسائل الاقتصادية والعلمية والأدبية .
- الاعتناء بإشهار مؤلفات مشاهير علماء الإسلام .
- ونستطيع أن نستخرج من هذه القائمة ثلاث ملاحظات :

1 - الهدف الأساسي من اصدار هذه الجريدة هو سياسي وهو استعمال الشعور الديني والثقافة الإسلامية للتقرب من المسلمين الجزائريين .

2 - استعمال كلمة الأمة الإسلامية له أبعاد سياسية مرتبطة بالدور الذي كانت فرنسا تريد أن تلعبه في العالم الإسلامي في ذلك الوقت .

3 - احياء التراث الإسلامي هو كذلك مرتبط من ناحية أخرى بالأبعاد التجارية التي تسعى ورائها مطبعة «فانطانا» .

وتحقيقاً لهذه الخطة فإن صاحب الجريدة أعلن عن موافقة عدد من العلماء الجزائريين للمشاركة في التحرير ونشر قائمة تحتوي على 18 اسماً متبوعاً بوظيفة صاحبها نوردها هنا للفائدة العامة .

1 - علي بن الحاج موسى امام سيدي عبد الرحمن .

2 - عبد القادر المجاوي مدرس بمدرسة الجزائر .

3 - السعيد بن أحمدبن زكري مدرس بمدرسة الجزائر .

4 - عبد الحليم بن سماية مدرس بمدرسة الجزائر .

5 - عمر بن بريهمات مدرس بمدرسة الجزائر .

6 - علي العمالي مدرس بمدرسة الجزائر .

7 - محمد بن شنب مدرس بمدرسة الجزائر .

8 - محمد بن مصطفى بن خوجة مدرس بجامع سفير .

9 - خطيب بن مصطفى باشا مدرس بجامع سيدي رمضان .

10 - خطيب عمر بن أحمد مدرس بالجامع الأعظم .

11 - محمد ولد معمر صوالح المدرس ببوزريعة .

12 - مصطفى بن الحاج موسى النائب المالي .

13 - محمد بن صيام النائب المالي .

14 - علي بوضربة الطبيب بالجزائر .

15 - الحبيب بن قطاط جمعية التجار بالجزائر .

16 - مصطفى ولد عيسى ترجمان بإدارة الأملاك .

17 - حمود شعلال موظف بإدارة العمالة .

18 - مصطفى بن أحمد الشرشالي محرر بالجريدة الرسمية .

هذه القائمة تعطى لنا صورة حية عن النخبة المثقفة التي كانت موجودة في بداية القرن العشرين في مدينة الجزائر وكلهم مزودون بثقافة عربية عالية وعند البعض منهم نجد كذلك ثقافة فرنسية عالية . ومما يلاحظ ان التدريس كان موجوداً بالمساجد زيادة على اقامته بالمدارس كما يلاحظ كذلك ان هذه الوظائف كلها ترتبط بكيفية أو أخرى بالسلطات الفرنسية .

ومما لاشك فيه أن لقاء هؤلاء العلماء في هيئة تحرير كان من شأنه ان يعطي للجريدة طابعاً ثقافياً ذا قيمة كبيرة ، وبالفعل فإن هذه الجريدة بدأت تنشر مقالات أدبية وعلمية واقتصادية مختلفة تتحدث عن مواضيع شتى مثلاً : «التجارة والمسلمون» للحبيب بن قطاط و«مشاهير العرب الذين ترسل بهم الأمثال» لعبد القادر المجاوي وكانت بعض المقالات تنشر بتسلسل فمقال المجاوي مثلاً نشر خلال 8 أعداد ونشرت عدداً كبيراً من القصائد لمحمد بن شنب كما أن الجريدة كانت تنشر

الأخبار الثقافية وخصوصاً النشاط الثقافي بتونس والمغرب والدولة العثمانية .

وفي العدد التاسع من الجريدة بدأ يظهر اتجاه سياسي خالص بحيث بدأت المقالات الثقافية تقل ولكن لا تختفي بحيث حافظت الجريدة على طابعها الثقافي ثم تكونت فيها هيئة تحرير متكونة من خمسة أعضاء فقط وهم علي بوضربة ومحمد بن مصطفى وعبد القادر المجاوي وعمر بن بريهمات ومصطفى الشرشالي ، وأصبح للجريدة مراسلون أدباء وعلماء بالقطر الجزائري مثل ابن الموهوب محمد المولود من قسنطينة .

وبما أن المغرب كانت تصدر مرتين في الأسبوع يومي الثلاثاء والجمعة وبما أن دوامها لم يكن إلا ثلاثة أشهر وثمانية عشر يومياً ، فانه لم يظهر منها إلا اثنان وثلاثون عدداً وقد توقفت بالفعل في 28 من شهر جويلية سنة 1903 وهي سنة ظهورها وقد نشرت الجريدة في عددها الأخير بلاغاً الى قرائها تخبرهم بأنها تتوقف عن الصدور وانها تشكر المشتركين وانها سوف ترجع لهم ثمن اشتراكاتهم المتبقية ولا تذكر الجريدة أسباب توقفها ولم نعثر على اشارة في مكان آخر تساعدنا على تفسير ذلك ويحتمل ان يكون ذلك ناتجاً عن تخلي العلماء والأدباء المذكورين عن المشاركة كما أنه ليست لدينا معلومات عن رواج هذه الجريدة في الجزائر ولا ندري هل استطاعت ان تسمع صوتها خارج مدينة الجزائر وقسنطينة ، والشيء الذي نعرفه فقط انها قدمت لمحمد عبده عند زيارته الى الجزائر واثنى هذا الأخير على الجهود التي بذلها محررو الجريدة .

«الاحياء» : هي المجلة الأولى التي تصدر باللغة العربية مضموناً وشكلاً لأنها تستعمل الحجم الصغير الذي تستعمله المجلات الحديثة وهو بالنسبة لمجلتنا 15×20 بالغلاف الملون والفهرست على الصفحة الأولى ، ومضموناً لأنها لا تمزج المقالات والأخبار السياسية بالمقالات الثقافية بل هي لا تنشر بتاتاً المقالات السياسية وتقول عن نفسها أنها مجلة عربية أدبية علمية وجاء في الافتتاحية من العدد الأولى .. **«أما بعد فانه لما ثبت بالمشاهدة والعيان في جميع أقطار الإسلام خصوصاً مصر وتونس والشام نفع أبناء أوطانهم وتنوير أفكارهم انما كان بإستعمال الجرائد الأدبية والمجلات العلمية خدمة للغة**

العربية التي هي لغة الأدب والبيان لغة البلاغة التي عرفها القرآن لغة العلم والدين .. فبادرنا لابراز هاته المجلة على وجه حسن وأسلوب مستحسن رغبة في الثواب ونفعاً للطلاب» .

عندما نقرأ هذه الجمل المصاغة بلغة عربية سلية والمليئة بشعور فياض بالعطف والمحبة يبادرنا الى الذهن سؤال واحد : كيف كان يمكن اصدار مجلة مثل هذه في بداية القرن العشرين أو بكيفية أخرى هل ليس هناك شيء وراء هذه المجلة يختلف عن الثواب الديني الذي تشير إليه المجلة ، الجواب على هذا السؤال يتجلى بعد التعرف على صاحبة الجريدة .

إن صاحب هذه الجريدة امرأة فرنسية مستشرقة اسمها كريمة ديريو ، وكانت تقول أنها مسلمة واتخذت اسماً لها عربياً تحسن اللغة العربية التي درستها في المدرسة العليا للأدب (كلية الآداب) بالجزائر وتحصلت على ديبلوم من هذه المدرسة وعلى جائزة من الدرجة الأولى ويصادف وجودها بالجزائر رغبة الوالي العام جونار في استعمال الكفاءات الفرنسية في خدمة سياسته الجديدة المحبة للمسلمين فأوحى إليها بالمبادرة باصدار مجلة عربية تجمع النخبة الجزائرية المثقفة بالعربية وتفتح لهم صفحات المجلة للقيام بالنشاط الثقافي كما فعلت من قبل جريدة المغرب وتقول ديريو في العدد الأول من المجلة «... وليس يوجد من ينشر حكم (اللغة العربي) بعاصمتنا وان كان فيها علماء أجلاء ونحارير فضلاء ولهم الباع الطويل في هذا الميدان فهم لم ينحو نحوه وكان ما كان ...» ولعل هذه الاشارة تؤكد لنا ما قلناه عن تخلي العلماء عن جريدة المغرب ، فكلفت ديريو اذا بمحاولة أخرى وبأسلوب جديد وهو الابتعاد عن تغطية النشاط السياسي والدفاع عن اللغة العربية والدين الإسلامي كما سنراه من بعد ولكن في ظروف تشبه الظروف التي ظهرت فيها جريدة المغرب وهي ان التوجيه السياسي يخضع ويندرج في سياسة جونار وان ملكية المجلة تكون فرنسية محضة موزعة بين ديريو وفانطانا صاحب المطبعة وشخص آخر يحسن هو كذلك اللغة العربية ويلعب فيها بعد دوراً ملحوظاً في تكوين الصحافة الجزائرية الإسلامية واسمه لوي بودي بحيث كان الوكيل المتصرف في مجلة الاحياء وخلافاً لما كان في جريدة المغرب فان الاشراف على التحرير أسند لديريو على ان تجند حولها النخبة الجزائرية المثقفة باللغة العربية ولكن يبدو أن

هذه المهمة لم تكلل بالنجاح ولم يلب نداء الاحياء إلا عدد قليل من العلماء لا نعرف عنهم اليوم شيء يذكر مثل علواني الذي اسندت إليه فيما بعد رئاسة التحرير والذي كتب سلسلة من المقالات عن تاريخ الإسلام أو الحاج صالح وزهري علي وادريس الحرشي ومحمد سلطان وهي أسماء ليس لها نشاط ثقافي أو لم نعثر عليه الى يومنا هذا واستمرت صاحبة المجلة في جهودها طيلة ثلاثة أشهر استطاعت فيه أن تصدر سبعة أعداد لأن المجلة كانت نصف شهرية ثم توقفت المجلة وغادرت ديريو الجزائر والتحقت بالوظائف الديبلوماسية الفرنسية في الشرق ، وهكذا نستطيع أن نقول ان مجلة الاحياء ليست هي إلا محاولة أخرى من الوالي العام جونار للتقرب من المسلمين الجزائريين واشعار هؤلاء بأن سياسة فرنسا في الجزائر ليست موجهة ضد الحضارة العربية الإسلامية بل هدفها احياءها ولعل فشل المجلة ارغم المشرفين على هذه السياسة ان يتجهوا مباشرة الى العلماء الجزائريين بدون وسطاء فرنسيين ويكلفونهم باصدار مجلات وجرائد باسمهم وذلك ما وقع ابتداء من 1907 مع ظهور «كوكب افريقيا» لمحمود كحول .

ومجلة الاحياء صدرت بأول محرم 1325هـ الموافق لـ 14 فبراير 1907م وتوقفت في 14 ماي 1907 ، وكان شعارها التقدم والأخوة وهما كلمتان تلخصان سياسة جونار وكان هدفها احياء اللغة العربية في الجزائر وبعث الحضارة الإسلامية ولندرك حقيقة هذه السياسة ينبغي أن نذكر ان السياسة الاستعمارية في الجزائر اخذت منعرجاً خطيراً جداً بعد ثورة المقراني وسقوط نابليون الثالث بحيث مرت ثلاثون سنة من القتل والتشريد ومحاربة جميع المقومات الأساسية للشعب الجزائري وخصوصاً لغته ودينه بجميع الوسائل ثم يأتي جونار الى الجزائر الا ليبدل هذه السياسة بسياسة أخرى أقل قساوة وعندما نقرأ مقالات الاحياء ندرك الحالة التعسة التي وصل إليها الشعب الجزائري في لغته ودينه مع بداية القرن العشرين فقد كتبت ديريو في العدد الخامس من المجلة مقالاً بعنوان «اللغة العربية» تقول فيه ذهبت الاعوام ومرت السنون واخواننا أهالي الجزائر في غفلة وتفريط عن حفظ لغتهم العربية التي أصبحت في تناقض وتقهقر غريبين حتى صار العارفون بها والكاتبون يعدون على الأصابع في هاته المملكة الواسعة الأطراف

التي أهلها كانوا ولم يزالوا على شيء من الذكاء والاستعداد للأخذ من كل فن طرف ، وهي محاولة لا ترضي الغيورين عن هاته اللغة التي شربت البلاغة ...

ان هذا الكلام مدهش حقاً وتنسى ديريو ان تتطرق الى أسباب هذه الحالة بل هي كأنها ترجع السبب كله على الجزائريين فتقول في خاتمة المقال «فهل ينهض الجزائريون الى تدارك أمرهم في لغتهم التي هي سياج دينهم ونقطة دائرة مجدهم ولا ريب في أن الحكومة تضطر اذ ذاك الى معاونتهم وتنشيطهم كما اضطرت الحكومة التونسية الى ذلك أو يرومون ان يبقوا في زوايا التأخر ..» انه كلام جديد في بداية هذا القرن ومما لا شك فيه أن نغمته بقى يتردد بها بعض من المسلمين زماناً طويلاً حتى بداية الثورة ، كما كانوا يرددون نغمة أخرى تتعلق بالنهضة الإسلامية وعبرت عنها كذلك ديريو في مقال لها نشر في العدد الرابع تحت عنوان «النهضة الإسلامية والغاية التي ترمي إليها» تقول : «فالأمة التي تحافظ على مركزها وتهمل واجباتها الاجتماعية ويتقلص ظل العلم من ديارها تنحط من شامخ عزها الى حيث المذلة والهوان ...» وبعد أن عرفت النهضة الإسلامية بأنها نهضة علم تساءلت عن غاية هذه النهضة «هل هي تعصب وانتقام من أوروبا أم حركة اصلاح وعلم وتهذيب» فتجيب «الحاصل ان الإسلام ليس كما وصفه ارنست رنان ولا كما قال عليه المسيو هانوتوبل هو دين سماحة خال من التعصب المذموم ينبغي لفرنسا أن تخطب ود أهله وتذود عنهم خصوصاً في الظروف الحاضرة التي يتظاهر لهم فيها بعض الدول بالمودة والحماية ...» وهذه الأفكار هي التي نادى بها من بعد عمر راسم وعمر بن قدور واحتمت بها بعد الثلاثينات جمعية العلماء المسلمين .

2 - عمر بن قدور الجزائري في جريدة الأخبار[1]

ولد عمر بن قدور بالجزائر العاصمة وذهب وهو شاب الى المشرق لطلب العلم ، فتعلم بتونس ثم بمصر واعتنق مهنة الصحافة وانضم الى أسرة جريدة اللواء المصرية التي كان يديرها الزعيم الوطني المصري مصطفى كال وتعرف بهذا الأخير وربطت بينهما صلات المودة والوطنية وعند وفاة مصطفى كال رثاه عمر بن قدور بقصيدة رائعة زادت في شهرة الصحافي غير أن عمر بن قدور لم يلبث أن رجع الى الجزائر وكان ذلك سنة 1908 . ومن الراجح أن يكون مدير جريدة الأخبار هو الذي ألح عليه بالرجوع بعد أن عرض عليه رئاسة تحرير القسم العربي من جريدته ، وبالفعل فبمجرد وصول عمر بن قدور الى الجزائر تولى رئاسة تحرير الأخبار واستطاع بقدرته الصحافية أن يرفع من شأنها وكان ذلك أول نشاطه الصحافي في الجزائر .

لقد تنوع هذا النشاط فيا بعد فقد حاول مع عمر راسم أن ينشأ جريدة **الجزائر** ولكن بدون نجاح ثم أنشأ جريدة **الفاروق** ووفق في ذلك - زيادة على عمله بالأخبار -- وعند اندلاع الحرب العالمية الأولى نفي من العاصمة غير أنه رجع إليها بعد إنتهاء الحرب وأنشأ جريدة **الصديق** وأدار هذه الجريدة عدة أسابيع ثم غادرها ليصدر من جديد جريدة **الفاروق** واستمر فيها قليلاً ثم انعزل وتصوف حتى وافته المنية .

رغم كثرة هذا النشاط وتنوعه فاننا نعتقد أن العمل الذي قام به في **الأخبار** يعتبر رئيسياً وذا أهمية كبرى ونريد اليوم أن نخصص له بشيء من الاختصار هذه الأسطر .

---

(1) مقال نشر في مجلة «الثقافة» .

ظهر اسم عمر بن قدور الجزائري على صفحات جريدة **الأخبار** لأول مرة في العدد 13520 من هذه الجريدة بتاريخ 5 أفريل 1908 ، بصفته رئيساً لتحريرها في القسم العربي . وكانت جريدة **الأخبار** - وهي تصدر باللغة الفرنسية أصلاً - الجريدة الوحيدة في الجزائر التي بدأت تخصص منذ سنة 1904 ورقتين من صفحاتها للتحرير بالعربي . وكان لا يوجد بالجزائر جريدة باللغة العربية بعد أن أخفقت جريدة المغرب سنة 1903 فمرت اذا سنوات عديدة (من 1903 الى 1907) دون أن تكون صحافة تصدر بالعربية في الجزائر إلا هاتان الورقتان اللتان كانت الأخبار تحررهما باللغة العربية ، وكان أسلوبها يغلب عليه الضعف وكانت جل المقالات تترجم من القسم الفرنسي ، الشيء الذي جعلها بدون تأثير على القراء مع قلة هؤلاء . وكان رجاء مدير الجريدة الفرنسي بروكاند أن ينهض عمر بن قدور بالقسم العربي حتى يجعله في المستوى اللائق بالجريدة ويجعله كذلك يقوى على منافسة الصحافة العربية التي بدأت تنشأ بظهور جريدة **«كوكب افريقيا»** .

وكان عمر بن قدور شديد التحمس لمهمته الجديدة وكان يعلق آمالاً كبيرة على أن يلعب دوراً هاما في النهضة الثقافية الإسلامية في الجزائر ، وكان شديد الفرح برجوعه الى الجزائر وقد عبر عن هذه العواطف بقوة في مقاله الأول بالجريدة فقال : «ها قد جئنا الى عاصمتنا ومسقط رأسنا تلك الأرض التي غذتنا برزقها وألقت على كهولنا حقوقاً لا يجوز لنا أن نلقيها ونجعلها كالعدم كي نحقق رجاء وطنيتنا ونجل قدرها ومجدها العظيم . ها قد جئنا لندخل بجريدة الأخبار في دور جديد من التقدم والنظام ...» .

انها الفرحة الكبرى والاستعداد الكامل من طرف هذا الشاب الغيور ، ومما يحسن التنبيه إليه هنا هو أن عمر ابن قدور يعتبر أول من نطق بكلمة «الوطنية» على صفحات الجرائد في الجزائر فلأول مرة تنشر جريدة «استعمارية» كلمة الوطنية مشيرة بها الى الأمة الجزائرية وكان هذا الأمر واضحاً في مقال ابن قدور - فعنوانه ليس فيه لبس - وعباراته هي : «مبدؤنا : بقوة الوطنية نتقدم» . ويقصد الوطنية هنا خدمة الجزائر واعتبارها أمة واحدة منفصلة عن فرنسا : «جئنا الآن ندافع عن الحقوق ونظهر شكوى الأمة الجزائرية ونخدم الإنسانية ونسير على

المنهج الحقيقي المستقيم ، لم يدر بخلدنا قط أن سعينا هذا له علاقة خصوصية بالغرض الخصوصي بل ليس إلا الخدمة العمومية التي تنال بها الأمة الفرنسية القسط الأعظم من المنفعة والخير ، فالمبدأ الذي يجب علينا أن نحميه ونقوم بخدمته ونجعله أساساً متيناً لأعمالنا هو «الوطنية وكفى بها قوة اذ بمثلها تتقدم الأمم وتسدد الهمم» . ورغم ما في هذا الكلام من سياسة وتلطف تجاه السلطات الاستعمارية واشارة الى مصلحة الأمة الفرنسية ، فهو صريح من ناحية الشعور الوطني ، وحتى لا يبقى أي شك في هذا الشعور يختتم عمر بن قدور مقاله بصيحة قوية : «فلتحيا الجزائر وليعش كل حر !» .

وقد استمر عمر بن قدور في مقالاته المنشورة على صفحات الأخبار يتكلم عن الوطنية ويشرح الأسباب التي بها يتقدم الوطن ولم يزل يوجه النصائح وينشط الهمم نحو نهضة كاملة بالوطن فنجده مثلاً يكتب في العدد الصادر بـ 14 جوان 1908 : «فليؤسس الجزائريون جمعية لاحياء العواطف والعقول وتنمية المعارف في أذهان أبنائهم ويحيوا ذكر الغني السخي وليلغوا اسم الغني البخيل ونحن الكفيلون لهم بانه سيكون لقطرنا شأن بعد حين ويقف الجزائري بعد هذا الجهاد في مدة قليلة على ذروة المجد والسعادة ..» .

ولقد أثارت هذه المواقف اهتمام القراء والمواطنين وبدأت هذه الأفكار تتسرب بين الناس حتى أصبحت جريدة **الأخبار** تمثل حقاً النزعة الوطنية في الجزائر وقد أشار عمر بن قدور الى هذا الاهتمام فقال في العدد الصادر بتاريخ 2 أوت 1908 : «من اليوم الذي قمنا فيه بتحرير القسم العربي من هذه الجريدة ونحن نتلقى من الكتاب والقراء عبارات الشكر والثناء على الخطة التي انتهجناها من تبجيل مقام الوطنية وهو الأمر الذي لم ينتبه إليه محرر قبلنا وليس في فكرنا فخر ولا فخفخة بازاء هذا العمل بل لا نعده إلا واجباً قضيناه ..» .

غير أن هذا الحماس بدأ يهدأ شيئاً ما عندما اصطدم عمر بن قدور بالواقع الاستعماري وشعر أن الطريق الذي سلكه وعر ، فثارت غريزته ولم يقو على المكوث داخل جريدة **الأخبار** وهي تنهج في قسمها الفرنسي سياسة المشاركة حتى غادرها في شهر أكتوبر 1908 وقد قالت جريدة **الأخبار** بهذا الصدد في العدد الصادر يوم فاتح نوفمبر 1908 : «نفيد قراء الجريدة بأن منشيء أعمدة

العربية بها السيد عمر بن قدور الجزائري تخلى عن عمله وتباعد عن خدمته لأسباب منعته من ذلك ..» .

ونلاحظ في هذا الخبر شيئاً من الأسف على مغادرة عمر بن قدور للجريدة ومما لاشك فيه أن هذا الأسف صادر من طرف مدير الأخبار الذي كان ينتظر من عمر بن قدور مساعدة قوية في رفع مستوى جريدته ، ونرى أنه ينسب إليه إنشاء القسم العربي من جريدته مع أن هذا القسم كان موجوداً قبل مجيء عمر بن قدور ، مما يدل على مكانة الرجل عند صاحب الجريدة .

ونلاحظ أيضاً أن الأسباب لم يذكرها صاحب الجريدة ومما لاشك فيه أن وطنية عمر بن قدور هي التي صرفته عن الجريدة ، فاننا رأيناه في هذه الفترة القصيرة ينشط كثيراً لا في مقالاته فحسب بل حتى عملياً فرأيناه يوبخ عمر راسم على مشاركته في جمعية مسرحية ويدعوه الى القيام بتأسيس جمعيات اقتصادية وثقافية لرفع شأن المسلمين ، في حين أن هذا الشأن قد تعرض لنقد شديد من طرف جريدة «كوكب افريقيا» بقلم محمود كحول وكانت هذه الجريدة شبه رسمية قريبة جداً من السلطات الاستعمارية وكان الرد الأخير لعمر بن قدور صدر بالأخبار المؤرخ بـ 15 جوان 1908 مشيراً الى أنه سوف لن يرد على كحول في المستقبل . وواصل اتصالاته مع عمر راسم وكان لا يعرفه من قبل وساعده على تأسيس جريدة «الجزائر» .

ابتعد اذا عمر بن قدور عن جريدة الأخبار مدة طويلة استغلها في التأليف . ولم يعد الى الجريدة الا في شهر يوليو من سنة 1910 وقد أخبرت الجريدة بهذه العودة فقالت في عددها المؤرخ بـ 24 يوليو 1910 : «أيها القراء الكرام لقد أفاد الله على هذه الجريدة أن تعود الى خطتها الأولى الوطنية التي نزحها عنها أحد خدمتها» وقد حمل هذا العدد اسم عمر بن قدور كرئيس لتحريرها في القسم العربي من جديد ووعد هذا الأخير انه لم يحد عن خطته الوطنية .

غير أنه لم يبين هذه الخطة ولعله يكتب هذه الكلمة لآخر مرة إذ لم نعد نجدها في الأعداد التي جاءت من بعد بل أكثر من هذا أصبح عمر بن قدور معتدلاً يتحدث عن الأمة الجزائرية المسلمة ويقول أنها انحرفت عن طريق الدين

وأنه يجب أن ترجع الى التعاليم الدينية والى القيم الصحيحة ويتحدث عن الأمة الجزائرية وحالتها السيئة وانحطاطها وعدم تضامن أبنائها وصار يفكر في وضع خطة للنهوض بهذه الأمة اقتصادياً وثقافياً وهذه الخطة ليست إلا نفس الخطة التي كانت تدعو إليها الأخبار باللغة الفرنسية والتي كانت تعرف في ذلك الوقت بسياسة «المشاركة» .

ونرى عمر بن قدور يلجأ في هذه الفترة الى الوعظ ويتساءل عن أحسن وسيلة للنهوض بالأمة فيقول مثلاً : «كيف يستطيع الناصح القاء نصيحته وكيف يسع للواعظ بدل موعظته والأمة محاولة العروة مخذولة الكلمة منفكة الساعد ، عديمة المساعد ؟» (الأخبار 11 ديسمبر 1910) وهذا تشاؤم واضح في حالة الأمة وقد ردده الاستعمار ليشل العزائم ، غير أن عمر بن قدور لم يرضخ للضغوط بل صار يفكر ويهتدي الى الوسيلة الناجعة فيقول مجيباً عن سؤاله في نفس العدد من الجريدة : «يصح ذلك بتبديل روايات العبر على مسرح النصح ومفسح الحوادث والترويض المختلف النوع المتباين الوضع وتكون كلها مؤسسة على التربية التهذيبية والأصول العمرانية فبهذه الوسيلة تفهم الأمة مكارم الأخلاق التي تنقذها من ورطة سقوطها» .

وهكذا يرى عمر بن قدور أن النهوض بالأمة لابد أن يكون على طريقة الإرشاد والتعليم والتربية التهذيبية ، وهي الطريقة اتي سلكتها جمعية العلماء عشرين سنة من بعد . ويرى هذا الكاتب أن التربية التهذيبية هي كل شيء وهي أساس النهضة ولا تكون هذه النهضة بغيرها وبهذا فهو يرى أن السياسة والمطالبة بالحقوق لا تفيد شيئاً اذا لم تكن مسبوقة بالتهذيب «.. اذا كان الجذب والانهاض من جهة واحدة وبلا علاج تهذيبي فان الأمة هنا تسرع الى الخمول أكثر منه الى النهوض» . وكأنما يعبر عمر بن قدور خلال موقفه هذا بعدائه للفئة السياسية الجزائرية الناشئة المعروفة «بالشباب الجزائري» والتي كانت تطالب بالحقوق السياسية دون أن تعتني بالتربية التهذيبية وقد تجادل معهم مراراً وانتقد موقفهم بشدة .

وهكذا نجد عمر بن قدور يدخل في صراع مع جزائريين مسلمين والغريب – وهو الرجل الذي نادى بالوطنية وعرف الحركات الوطنية في الشرق – انه

يأخذ هؤلاء «المتفرنسين» على ميلهم للسياسة وللخوض في أركانها الملتوية ويدعو المسلمين الى تجنب هذا الميدان والاعتناء بالشؤون الاقتصادية والثقافية والدينية فقط .

والحقيقة أن هذا التطور في موقف عمر بن قدور يبدو كأنه حتمي بمجرد وجوده في جريدة الأخبار وهي لسان حال الاتجاه الذي ينادي **بالمشاركة** l'association وهو المذهب الذي يعترف بالشخصية الإسلامية للمسلمين الجزائريين ، وكان هذا المذهب لا يرى حرجاً من كلمة الوطنية ما دامت تكتب بالعربية ولا تتعارض بمصالح فرنسا . أما في هذه الفترة المعينة من تاريخ الجزائر والتي تبدأ من سنة 1911 فان تحولات كثيرة بدأت تظهر وتضغط على موقف أنصار «المشاركة» ومن هذه التحولات نذكر شيئين أساسيين وهما :

أولاً : ظهور هده الطائفة من الجزائريين «الشباب الجزائري» التي صارت تطالب بالحقوق السياسية وبادماج المسلمين الجزائريين بالفرنسيين فكان عمر بن قدور يخاف من عواقب هذا الادماج ويرى أنه يؤدي لا محالة الى الانحلال بالأمة الجزائرية فلم يجد بدأ من أن يحاربهم وينتقد مواقفهم السياسية ويدعوهم أن لا يتخذوا اي موقف سياسي حتى لا يقعوا فيما لا تحمد عقباه وهو رأي أملته عليه الظروف التي كان يعيشها .

ثانياً : تغيير الوالي الفرنسي بالجزائر ويعد ذهاب جونار من هذا المنصب كنكسة بالنسبة لأنصار سياسة المشاركة خصوصاً وأن الرجل الذي خلفه «لوطو» لم يكن يرى في هذه السياسة ضماناً للوجود الفرنسي في الجزائر فأظهر ميله للمعمرين وغلق بابه أمام أنصار «المشاركة» فاغتاض من ذلك مدير جريدة الأخبار وأبدى اسفه عن هذا التغيير في سياسة فرنسا بالجزائر وقد خلق هذا التحول خشية في نفس عمر بن قدور فعدل عن الحديث عن الوطنية ومال بدوره الى الوعظ والإرشاد لكي لا يصطدم بالسلطات الاستعمارية .

وقد ظهر هذا الاعتدال وهذا الاحتياط في موقف عمر بن قدور في قضية التجنيد العسكري الذي أرادت السلطات الفرنسية أن تفرضه على الجزائريين في سنة 1912 ، والمعلوم أن الحكومة الفرنسية قامت بحملة كبيرة لاقناع المسلمين الجزائريين بضرورة تجنيدهم في الجيش الفرنسي نظراً لمصلحتهم ومصلحة فرنسا كما

يزعمون مع تأييد «الشباب الجزائري» خلال صفحاتهم الإسلام والراشدي خاصة وكانت هذه الطائفة تدعم المشروع الفرنسي متخذة اياه كمطية للمطالبة بالحقوق السياسية وكانت تساوم في ذلك وتقول : «نعطيكم وتعطونا الحقوق السياسية» وكانت جماعة أخرى من المسلمين ومن جملتهم عمر راسم ومحمد رحال تعارض مشروع التجنيد وكان لسان حالها جريدة الحق التي كانت تصدر باللغة الفرنسية في وهران فقامت تفند هذا المشروع وتفضح موقف «الشباب الجزائري» ، وكانت ترى في هجرة المسلمين الجزائر بين الى المشرق كمعارضة شعبية للمشروع الفرنسي .

وقد استمر هذا الهيجان فتر. طويلة وامتد الى جميع انحاء الجزائر والغريب في هذا كله أن عمر بن قدور لم يبين موقفه فهو أولاً لم يخصص للمشكل الا بعض الأسطر وثانياً لم يبد معارضة صريحة له وشأنه في ذلك شأن جريدة الأخبار بالفرنسية وقد ظهر هذا الموقف في جريدة الفاروق كذلك وهذا لم يعن أن عمر بن قدور كان مؤيداً للمشروع ولكنه يعني أنه مر على مرحلة الحيرة والتشكك جعلته يميل شيئاً فشيئاً الى نوع من التصوف والخضوع لمشيئة الله كما أشرنا لذلك .

رغم هذه الصعوبة في النضال الوطني فان عمر بن قدور استمر في مشاركته لتحرير جريدة الأخبار بل زيادة على ذلك أنشأ جريدة الفاروق وقبيل اندلاع الحرب العالمية أظهر ميله للعثمانيين حلفاء ألمانيا عدوة فرنسا الشيء الذي أثار غضب السلطات الاستعمارية . وعند اندلاع الحرب انتقل جريدة **الأخبار** الى فرنسا وصارت تطبع هناك بغير قسمها العربي وبقي عمر بن قدور في الجزائر ثم أنزلت عليه تهمة «التعامل مع العدو» ونفي من العاصمة وأجبر على مغادرتها مشياً على الاقدام حتى مدينة الأغواط[1] .

وبعد انتهاء الحرب العالمية خرج عمر بن قدور من النفي ورجع الى العاصمة غير أنه لم يلتحق بجريدة **الأخبار** التي استمرت تصدر بدون قسمها العربي .

وهكذا تنتهي هذه التجربة الفذة التي عاشها هذا الرجل الذي أراد أن يكرس حياته في خدمة الأمة الجزائرية من خلال الصحافة . وإن كانت محاولته في نشر مفهوم الوطنية لم تلق نجاحاً ولا تحقيقاً يذكر فان نشاطه الصحافي أدخل أسلوباً

---

(1) إستناداً الى ما رواه الأستاذ توفيق المدني .

جديداً جعله يبتعد عما كانت ترمي إليه جهود السلطات الإستعمارية بإنشاء «كوكب افريقيا» فبفضل منهجه الصحافي عرفت الصحافة الجزائرية أن تدخل في معارضة الاستعمار دون مجابهة سطوته وأن تنشر - دون حجز - مفاهيم جديدة حول تعاليم الدين الحنيف وأن تدعو بلا تهيب الى المحافظة على الشخصية الجزائرية بالتعليم والتهذيب ولا نبالغ اذا قلنا في الختام أن هذا كله مهد الطريق لما قامت به جمعية العلماء المسلمين ثلاثين سنة من بعد .

3 - ظاهرة الصحافة في الشرق الجزائري[1]

إخواني أخواتي :

أريد أن أحدثكم عن دور مدينة بسكرة والشرق الجزائري بصفة عامة في تطوير الصحافة الجزائرية وخصوصاً المكتوبة منها باللغة العربية .

ولعله من الجرعة بمكان الخوض في مثل هذا الموضوع أمام جمهور قد يكون البعض منهم عاش هذا الدور وشارك في تطويره ، والحقيقة أنني آمل أن استفيد منكم بملاحظاتكم ومناقشاتكم أكثر مما أفيدكم وهذا التبادل العلمي هو الهدف الذي يرمي إليه هذا التجمع في فائدة البحث العلمي واثراء جوانب مختلفة من تاريخ الجزائر .

وإنني أركز حديثي على نقطتين :

1 - ظاهرة الصحافة في الجزائر .

2 - دور بسكرة والشرق الجزائري من هذه الظاهرة .

1 - **ظاهرة الصحافة :** من المعلوم أن الصحافة ظاهرة جاء بها الاستعمار الى الجزائر ، وعندما بدأت تنتشر في الأوساط الإسلامية الجزائرية ، كان الفرنسيون هم الذين كانوا يحركونها ، وكانوا يقصدون بذلك اقناع المسلمين الجزائريين على أن أحسن وسيلة يستعملونها للدفاع عن حقوقهم هي وسيلة الصحافة وأن هذه الوسيلة تفيدهم أكثر ما تفيدهم الأسلحة الفتاكة التي لا تطرح المشكل أو المشاكل وانما تزيد في تعقيدها ، ومن الجدير بالذكر أن أول جريدة ظهرت ، خاملة هذه الرسالة هي جريدة المنتخب التي بدأت تصدر سنة 1882 بمدينة قسنطينة ، يعني الشرق الجزائري .

(1) ألقي هذا العرض بمناسبة انعقاد الأيام الدراسية حول الفتوحات الإسلامية من 25 الى 27 نوفمبر 1987 بمدينة سيدي عقبة .

وهذه الجريدة كانت تتكلم باسم المسلمين ولكنها كانت في الحقيقة مسيرة من طرف جماعة من الفرنسيين الأحرار بموافقة جماعة من المسلمين ليس لهم ميل للكتابة لا للصحافة ، ولقد وجدت هذه الجريدة معارضة شديدة من طرف المستعمرين بحيث أنها لم تعش طويلاً واختفت بعد سنة واحدة من الظهور ، وكانت هذه الجريدة تكتب بالفرنسية وتنشر الصفحة الأخيرة منها باللغة العربية وهي في الحقيقة ترجمة للمقالات الهامة المنشورة بالفرنسية .

والملاحظة التي أريد أن أثبتها بذكري لهذا الحدث الصحافي التاريخي هو أن الشرق الجزائري هو الذي احتضن أول جريدة بدأت تهتم بشؤون المسلمين وتطرح مشاكلهم بصفة علانية ، ولكن يجب أن نعلم وهو هام كذلك أن هذه الظاهرة ليست من مبادرة المسلمين وانما فرضت عليهم ، ولسنا ندري لأي سبب ؟ المفروض أن تكون مدينة الجزائر أحسن استعداداً لتقبل هذه الظاهرة ! ولعل اختيار مدينة قسنطينة له علاقة بما عرفته هذه المنطقة من ثورات وخصوصاً ثورة 1871 وما تبعتها من التعسف وانتهاك لحرمات في الأموال والأشخاص وما انجر عن ذلك من حوادث دموية وتكوين فرق مسلحة للمقاومة .

فظهور هذه الجريدة بهذه المدينة اذا كان ظرفياً ، والرسالة التي كانت تحملها - التخلي عن العنف - كانت مناسبة لهذا الظرف .

وانني اعتقد - إخواني وأخواتي - ان الصحافة الجزائرية الإسلامية التي ظهرت من بعد - حتى قبيل الحرب العالمية الثانية كانت مرتبطة بهذه الرسالة الظرفية التي جاءت بها جريدة المنتخب سنة 1882 ، فالنشاط الصحفي أصبح مقروناً بمفهوم الحوار السلمي - وكان هذا هو طابعها المميز .

غير أن الصحافة الإسلامية وان كانت تمتاز في جملتها بطبعها السلمي نوعت كثيراً رسالتها وقامت بمعركة ثقافية في جميع جوانبها وأصبحت الصحافة سلاحاً سلمياً يهدد أركان الاستعمار ويجبره ان تتخذ اجراءات ضدها لتحدد من نفوذه المتزايد .

كيف وقع هذا التطور ؟ انني أجيب عن هذا السؤال من الناحية اللغوية حتى يمكنني أن أدخل الى النقطة الثانية من هذا العرض وهي دور بسكرة ونواحيها في تطوير الصحافة الجزائرية .

لقد بدأت الصحف التي تظهر في الجزائر - كما رأيناه مع جريدة **المنخب** - تكتب باللغة الفرنسية مع ترجمة لآخر الصفحة - أحياناً باللغة العربية ، فظهرت جريدة **الحق** في عنابة وظهرت جريدة **المصباح** في وهران باللغة الفرنسية رغم أنهما تحملان أسماء عربية ولم تظهر أول صحيفة باللغة العربية إلا في سنة 1907 مع اصدار جريدة **كوكب افريقيا** وان كانت جريدة **المغرب** ظهرت من قبل ولم تدم - ثم بعد ذلك بدأت تظهر صحف باللغة العربية مثل **ذو الفقار والفاروق** بجانب عدد كبير من الصحف باللغة الفرنسية وكل هذه الجرائد - سواء كانت بالعربية أو بالفرنسية - كانت متمركزة في مدينة الجزائر وحتى وان ظهرت في غير هذه المدينة - مثل جريدة الإسلام التي ظهرت بمدينة عنابة - فانها سرعان ما تغير مركزها لتستقر بمدينة الجزائر .

فالملاحظة التي نستخرجها من هذا العرض الموجز لظهور الصحافة الإسلامية في الجزائر هو تنقالها من الشرق الجزائري الى مدينة الجزائر ، فكانت هذه المدينة مركز اشعاع لجميع الصحف الكبرى التي ظهرت في الربع الأول من القرن العشرين ، نظراً لكون مدينة الجزائر تستقطب النخبة المثقفة الجزائرية وتلعب دور العاصمة السياسية والاقتصادية .

والملاحظة الثانية هي أن اللغة العربية تستعمل نادراً فحسب الاحصائيات التي قمنا بها نجد أنه ظهرت قبل سنة 1914 - 21 جريدة باللغة الفرنسية أصلاً - تضاف إليها أحياناً صفحة باللغة العربية في حين لم تظهر في نفس الفترة إلا سبعة صحف باللغة العربية بما فيها الصحف التي كانت تصدرها الولاية العامة ، مثل **المبشر** أو **النصيح** .

والحقيقة أن هذه الظاهرة منطقية بالنسبة للاستعمار فمحاربة اللغة العربية كانت ضمن خطته السياسية وإصدار الصحف باللغة العربية كان ينظر إليه كخط سياسي وكعمل لا يجب تشجيعه ، ولقد وجدنا هذا الموقف حتى عند بعض الفرنسيين الأحرار مثل بارو كاند الذي كان يعتبر من أحباب الأهالي المسلمين ، ولقد صرح في جريدته أنه يعارض انشاء الصحف باللغة العربية مستقلة بل يجب أن تكون لاحقة بالصحف الفرنسية وهكذا نجده هو يلحق بجريدته **الأخبار** المعروفة صفحتين بالعربية ويسند رئاسة تحريرها الى عمر بن قدور الجزائري .

ولكن هذه الظاهرة الغريبة بالنسبة للمسلمين الجزائريين تبناها عدد كبير من المسلمين الجزائريين بحيث نجد أكبر الصحف التي أصدرها المسلمون الجزائيون في هذه الفترة - مثل **الحق العنابية والحق الوهرانية أو الإسلام أو الراشدي أو الاقدام** ، انما تصدر باللغة الفرنسية أصلاً .

ولا يفسر هذا الموقف إلا بما ذكرناه في بداية هذا العرض كون الصحافة سلاحاً سلمياً لطرح المشاكل ولا تطرح هذه المشاكل إلا باللغة التي يفهمها الاستعمار والتي يفرضها يعني اللغة الفرنسية فاللغة الفرنسية أصبحت - بفضل الصحافة - لغة الحوار السياسي ولغة طرح المشاكل ولغة الكفاح السياسي وأصبحت اللغة العربية لغة مهجورة معزولة تبتعد شيئاً فشيئاً عن الحياة ، تستعمل في التعبد واسترجاع ذكريات الماضي مثل ما نجده عند عمر راسم وعمر بن قدور الجزائري وغيرهما من الصحفيين حتى بعد الحرب العالمية الأولى وبداية الاربعينات من القرن العشرين .

2 - **دورة بسكرة** : وكانت هذه الظاهرة سائدة في الجزائر يعززها القانون الفرنسي الذي كان يعتبر اللغة العربية أجنبية في بلادها وكانت تتخذها السلطات الاستعمارية ذريعة لقمع الصحافة التي تصدر باللغة العربية .

وفي بداية العشرينات بعد الحرب العالمية الأولى - كانت الصحف باللغة العربية في الجزائر ضعيفة وكأنها شيء لا يذكر وبدأت الصحف باللغة العربية تختنق حتى في مدينة الجزائر .

وفي هذه الظروف نجد رد الفعل يأتي من الشرق الجزائري ونرى مدينة بسكرة تقوم بنوع من النهضة تترك أثرها في تطوير الصحافة العربية .

أولاً : من الناحية الاحصائية نجد أن عدد الصحف التي تصدر باللغة العربية فيها يفوق عدد الصحف التي تصدر بالفرنسية فمن سنة 1919 الى سنة 1930 صدرت في القطر الجزائري 14 صفحة باللغة العربية في حين لم يصدر من الصحف باللغة الفرنسية إلا 11 صحيفة ، بالمقارنة من الفترة السابقة نجد أن الاتجاه اللغوي ينقلب لصالح العربية وتبدأ تظهر نوع من المقاومة اللغوية ونوع من العناد يجعل الصحافيين الناطقين باللغة العربية يصمدون امام الهجمات التي توجهها السلطات الاستعمارية ضد الصحافة العربية ، حيث نجد الصحف العربية تنشأ

وتظهر بموت سابقاتها ، ولا يبقى فراغ وأحياناً تتفرع الصفحة الواحدة الى صفحتين لأسباب معينة حتى لا تموت .

ثانياً : نجد - من الناحية الاحصائية دائماً - أن انشاء الصحف بدأ يتمركز من جديد بالشرق الجزائري ، بحيث ظهرت (8) صحيفة في الشرق الجزائري في الفترة بين 1919 و1930 منها خمسة في مدينة قسنطينة وثلاثة في مدينة بسكرة وهذه الجرائد جلها باللغة العربية .

وهكذا أصبحت مدينة قسنطينة تحتل المرتبة الثانية بعد مدينة الجزائر وتحتل مدينة بسكرة المرتبة الثالثة رغم صغر هذه المدينة .

وأصبحت مدينتا قسنطينة وبسكرة تستوعبان جل النشاط الصحفي باللغة العربية وتكونان مركز اشعاع يغمر جميع القطر الجزائري .

والحقيقة ان هذا الدور يرجع سببه الى تواجد بعض الشخصيات البارزة في هاتين المدينتين فبالنسبة لقسنطينة هناك شخصية عبد الحميد بن باديس الذي أنشأ جريدة **المنتقد** ثم بعدها جريدة **الشهاب** في سنة 1925 ، اما بالنسبة لمدينة بسكرة ، فهناك شخصيات عديدة لعبت دوراً كبيراً في انشاء الصحف باللغة العربية (ولم تظهر بمدينة بسكرة إلا صحيفة باللغة الفرنسية خلافاً لما هو الشأن بالمدن الأخرى) .

ومن هذه الشخصيات يرجع الفضل ربما الى أحمد العابد العقبي الذي أصدر أول جريدة في بسكرة **صدى الصحراء** في شهر ديسمبر 1925م .

والحقيقة أن ظروف إصدار هذه الجريدة تبقى غامضة ولعل المناسبة مواتية اليوم لطرح بعض التساؤلات حتى نستطيع أن ندقق دور هذه الجريدة .

من المحقق ان هذه الجريدة كانت تدعو للاصلاح الديني وللقيام بنهضة علمية وأدبية وكان شعارها «العمل على درأ المفسدة قبل جلب المصلحة» ، مثل ما كانت تدعو إليه جريدة **المنتقد** وجريدة **الشهاب** ، ومن المحقق كذلك ان هذه الجريدة بدأت تصدر عشرين يوماً تقريباً بعد صدور جريدة الشهاب في قسنطينة وأن جل المحررين فيها كانوا محررين في جريدة **المنتقد** ثم في جريدة **الشهاب** .

ولعل الاكثار من إصدار صحف ذات اتجاه واحد إصلاحي يقوى هذا

الاتجاه ، ولكنه في نفس الوقت يجعل هذا السلاح الصحفي ضعيفاً لأن الاكثار منه يخلق في نفس الوقت تنافساً بين صحف ذات الاتجاه الواحد ويغلق أمامها أبواب المداخيل وتصير مهددة بالزوال وذلك ما وقع لجريدة **الشهاب** حتى أنقذها الشيخ عبد الحميد بن باديس من ماله الخاص ، وهو ما وقع كذلك لجريدة **صدى الصحراء** وجعل الصراع يظهر بين أحمد بن العابد العقبي وهو مدير الجريدة وعلى موسى بن عمار العقبي وهو المتصرف في الجريدة وصاحب تمويلها بغير شك ، بحيث نرى جريدة **صدى الصحراء** تختفي بعد عددين من ظهور هذا الصراع ، ونرى علي موسى العقبي يصدر جريدة أخرى باسم **الحق** ، ولكن هذه الجريدة لم تعمر طويلاً ولم نعثر لها في المكتبة الوطنية بباريس إلا على 15 عدداً آخر عدد منها يحمل تاريخ 18 سبتمبر 1926 (ويذكر د. محمد ناصر أن الأعداد التي صدرت من هذه الجريدة يبلغ الثلاثين ولكنه لا يعطي لنا تاريخ هذه الأعداد) .

وهكذا - إذا - نرى في مدينة بسكرة نهضة صحفية تشتعل في سنة 1926 وتوازي النهضة التي ظهرت كذلك في مدينة قسنطينة ، لكن في مدينة بسكرة ينقصها النفس الطويل نظراً للسبب الذي ذكرناه آنفاً والذي يجعل أصحاب هذه الجرائد يحيدون عن اتجاههم الاصلاحي المبدأي فنرى مثلاً أحمد بن العابد يستأنف اصدار جريدة **صدى الصحراء** في سنة 1934 ويقترب من السلطات الاستعمارية ويقف موقفها .

وفي سنة 1927 نرى شخصيات أخرى من بسكرة تحيي النشاط الصحفي ، إذ يصدر الشيخ الطيب العقبي جريدة تحمل اسم **الإصلاح** ولها اتجاه إصلاحي ديني على منوال جريدة **الشهاب** التي بقيت تصدر باستمرار في مدينة قسنطينة .

وجريدة **الإصلاح** بدأت تصدر في شهر سبتمبر 1927 واختفت من مدينة بسكرة في شهر سبتمبر 1930 أي بعد ثلاث سنوات من صدورها لم يظهر منها إلا 15 عدداً رغم أنها تشير الى صدورها مرتين في الشهر ، وهذا يدل على أنها بدورها عانت مثل سابقتها **صدى الصحراء** ، مشاكل مادية ومالية جعلتها تظهر بصفة متقطعة ، تختفي أكثر ما تظهر ثم تتوقف ، ولا تستأنف نشاطها إلا في سنة 1939 ولكن بمدينة الجزائر .

وهكذا نرى أن مدينة بسكرة عرفت نهضة صحافية جديرة بالاهتمام ما بين سنة 1925م و1930 أهم مميزاتها أنها ارجعت للغة العربية حيويتها وأعطت للصحافة العربية دفعاً قوياً ، جعلها تتبوأ مكانة معتبرة فيا بعد بمدينة الجزائر بجانب الصحافة الجزائرية المكتوبة بالفرنسية للقيام بالحوار السلمي .

4 - مساهمة الصحافة في كتابة التاريخ[1]

سيداتي ساداتي :

لقد عودنا المركز الوطني للدراسات التاريخية بهذا اللقاء العلمي المبارك وانني أشكره على ذلك كما اتمنى أن يستمر وأن يكون لقاؤنا اليوم مثمراً ومفيداً لنا جميعاً .

ويدور موضوعنا اليوم حول الصحافة المكتوبة ومساهمة هذه الصحافة في كتابة تاريخ الجزائر خاصة ، وفي الحقيقة فان علاقة الصحافة بالتاريخ وطيدة ومتينة وهذا الارتباط الوثيق قد يحدث بعض الأوهام والالتباس ويدعونا بالتالي الى النظر فيها والى تحليلها وتوضيح بعض الملامح منها ، وهذا العرض الذي أقدمه أمامكم اليوم يتضمن قسمين في القسم الأولى أحاول أن أتعرف على الصحافة العصرية ودورها في المجتمع وبالأخص على الصحافة العربية . وفي القسم الثاني أقدم لكم بعض الملاحظات عن علاقة الصحافة الجزائرية بتاريخ الجزائر قبل الثورة (ثورة فاتح نوفمبر 1954) .

ان التعريف البديهي الذي نصف به الصحافة عادة أنها سجل للاحداث وأنها مصدر من مصادر إلهامه التي يعتمد عليها المؤرخ وبالفعل لقد لعبت الصحافة الأوروبية هذا الدور بصفة تكاد تكون مطلقة حتى القرن التاسع عشر ، عندما كانت الصحافة مرتبطة بالسلطة السياسية ولكن ابتداء من النصف الثاني من القرن التاسع عشر بدأت الصحافة الغربية تأخذ بعداً آخر وتصبح ظاهرة اجتماعية ووسيلة اتصال ، بمعنى أنها تنقل الأخبار وتنقل المعلومات الجديدة من مصدرها الى عامة الناس وتنشرها بينهم حتى تقوى قدراتهم في اتخاذ القرارات في جميع

(1) ألقيت هذه المحاضرة في المركز الوطني للدراسات التاريخية بالجزائر في 3 مايو 1986 .

الميادين سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية ، وهي بهذا مرآة تنعكس فيها الحياة الاجتماعية بجميع جوانبها .

وأخذ هذا الدور الجديد دور الاتصال ينمو ويزداد ويغطي الدور التقليدي الذي أشرنا إليه سابقاً عن كونها هي تسجيل للأحداث .

فالصحافة العصرية اذا هي قبل كل شيء وسيلة إتصال ودورها في هذا أكبر من دور المدرسة أو من دور الأحزاب السياسية لأنها لا تتجه الى فئة معينة من المجتمع ولكن الى جميع الناس مما أدّى الى تسميتها وسيلة جماهيرية .

وأريد أن أؤكد على هذه الميزة التي تمتاز بها الصحافة العصرية الحديثة وأقول من جهة أخرى أن الصحافة التي لا تقوم بالدور الأساسي (يعني الاتصال) فهي صحافة وثائقية يقتصر دورها على تسجيل الأحداث ولا تعبر بكيفية علمية عن الحياة في المجتمع .

وعندما ننظر الى الصحافة العربية ونتمعن فيها نرى أنها مقصرة نوعاً ما في دورها الأساسي وأنها تكتفي في غالب الأحيان بدورها الوثائقي بمعنى أن علاقتها بالتاريخ مازالت على صورتها التقليدية أم أنها تسجل الأحداث على أنها موجهة وليست نابعة من المجتمع .

وإنني أبدي بهذه الملاحظة لأطرح المشكل أمام الباحثين أما الإشكالية الأخرى فهي ظاهرة يعرفها الجميع ولكن لا يعتني بها الباحثون والدارسون ولها أهمية بالنسبة لعلاقة التاريخ بالصحافة بحيث أن هذه العلاقة لم تحدث في العالم العربي إلا في وقت متأخر يرجع عهده بالتقريب الى بداية القرن العشرين . فهذه العلاقة كانت غير موجودة قبل هذا التاريخ لأنه بالطبع لم تكن الصحافة موجودة في العالم العربي قبل هذا التاريخ .

ومن المعلوم أن مؤرخي الصحافة العربية يرون أن جريدة «الوقائع» المصرية التي صدرت سنة 1828 بعد حملة نابليون أول جريدة عربية تصدر في العالم العربي ولقد مر القرن التاسع عشر كله دون أن تستطيع هذه الصحافة أن تنطلق بقوة رغم وجود بعض الصحف الكبرى مثل «الجوانب» أو «العروة الوثقى» أو «الأهرام» بل بقيت تتعثر وتنقطع مراراً ولم تعرف الانطلاقة الحقيقية إلا في بداية القرن العشرين .

والجدير بالذكر أن العالم العربي عرف بعض الأنواع الصحفية التي يجري العمل بها اليوم في الميدان الصحفي ، فنوع الرحلة مثلاً المعروف كثيراً عند الأدباء والمؤرخين هو نوع من الربورتاج الصحفي أو التحقيق الذي يقوم به الصحافيون اليوم .

ولقد عرف العالم العربي هذا النوع من الإنتاج الفكري منذ عهد بعيد ونجده قد ازدهر خصوصاً في المغرب العربي مع ابن بطوطة وابن جبير واستمرت ممارسته في الجزائر مثلاً حتى عهد الاستعمار .

وليست الرحلة في الحقيقة كما ذكرت إلا ربورتاجاً أو تحقيقاً دقيقاً حول بلد أو حادثة لما يتضمنه من المعلومات الغزيرة التي ينقلها صاحب الرحلة ويسجلها مثل ما يفعل اليوم الصحافيون المقتدرون .

ونستطيع أن نضيف الى الرحلة نوعاً آخر وهو ما يسمى بالتاريخ السلطاني يعني تسجيل الأحداث التي تقوم بها السلطة السياسية فهو من هذه الناحية يشبه ما يسمى عند الصحافيين اليوم بتغطية الأحداث وقد امتازت الصحافة التقليدية في أوروبا بأنها جمعت هذين النوعين فيما يسمى عندهم بالصحيفة .

وفي العالم العربي فان هذه الصحيفة لم تظهر قبل القرن التاسع عشر رغم وجود النوعين الذين ذكرتهما ، الرحلة والتاريخ السلطاني إلا بعد احتكاك العرب بالغرب بكيفية أو أخرى .

وليست هذه إلا مجرد ملاحظة بدون اغتباط ولا تأسف ، وعدم وجود الصحافة العربية قبل القرن التاسع عشر يجعلها تنعدم كمصدر أو كوثيقة يستعملها المؤرخ وبالتالي فان العلاقة بين الصحافة والتاريخ غير موجودة في العالم العربي قبل القرن التاسع عشر ، وفي اعتقادي يرجع السبب في هذا الى أمرين :

1) عدم وجود الطباعة في العالم العربي حتى بداية القرن التاسع عشر ونحن نعلم أن الكتب كانت تنسخ وأن حرفة النسخ كانت مزدهرة غير أن هذه الطريقة كانت لا تتلاءم مع الصحافة التي تحتاج الى السرعة والاكثار من النسخ . فالنسخ ليس هو الطبع . ولكن عدم وجود المطبعة لا يبرر في الحقيقة عدم وجود الصحافة كما أنه لا يفسر هذه الظاهرة بكيفية مرضية !

2) ان الطريقة التي كان يتم بها الاتصال عند المسلمين تعتمد خصوصاً على

الاتصال الشفوي والمباشر سواء في المسجد أو في السوق أو في غير ذلك في مختلف ميادين الحياة وهذا يرجع الى الطبيعة التي بدأت تنتشر بها الحضارة الإسلامية من رواية الحديث النبوي ورواية الشعر والفصاحة الخطابية الى غير ذلك ، مما جعل الاتصال يبقى على هذه الطبيعة الشفوية رغم ازدهار حرفة النسخ ولم تظهر الضرورة الى احداث اتصال مكتوب منظم في المجتمع مثل ما دعت الضرورة التجارية والمالية إليه في الغرب .

هذه بعض الفرضيات تحتاج بغير شك الى دعم علمي أوسع ولكن رغم ذلك فهي تعطي تفسيراً لهذه الظاهرة التي أطرحها أمامكم .

وهذه الظاهرة عرفتها الجزائر كذلك وفي الحقيقة فان علاقة الصحافة بالتاريخ الجزائري مرت على أربع مراحل .

المرحلة الأولى هي المرحلة التي لم تكن فيها الصحافة الجزائرية موجودة وترجع الى بداية التاريخ بالطبع وتستمر حتى سنة 1882 وهي السنة التي ظهرت فيها جريدة المنتخب في قسنطينة وهي أول جريدة بدأت تهتم بشؤون المسلمين بصفة غير رسمية واستثني كما ذكرت الصحافة الاستعمارية بما فيها جريدة «المبشر» فاقتران الصحافة بالتاريخ يبدأ اذا مع سنة 1882 . ولكن بعد هذه السنة . تمر مرحلة ثانية تمتد حتى سنة 1907 . فهي تشمل حوالي 25 سنة من تاريخنا ولم تظهر فيها الا خمس جرائد جزائرية وهذه الجرائد الخمسة لم تعش في جملتها إلا خمس سنوات فهذه الصحف لا تغطى حوادث سياسية واجتماعية وغيرها وقعت في هذه الفترة ، فمساهمتها في عنابة التاريخ اذا ضئيلة تكاد لا تذكر .

والمؤرخون الجزائريون يعلمون أن الفترة الأكثر غموضاً من تاريخنا في عهد الاستعمار هي الفترة التي تمتد من نهاية مقاومة الأمير عبد القادر في سنة 1848 حتى نهاية القرن التاسع عشر وخصوصاً ما بين 1870 و1900 ، ففي هذه الفترة ليست لنا وثائق جزائرية اللهم إلا بعض القصائد الشعرية الملحونة أو بعض الروايات التي وصلت إلينا بالتواتر وهي قليلة جداً وكذلك بعد سنة 1900 فان الوثائق الجزائرية قليلة جداً رغم وجود هذه الصحف الخمسة التي ذكرتها . فالحوادث التي وقعت قرب مليانة وبومدفع وحمام ريغة سنة 1901 - 1902 لا تذكرها جريدة المغرب التي بدأت تصدر سنة 1903 ولا جريدة المصباح التي

بدأت تصدر سنة 1904 وليست لنا وثائق حول هذه الأحداث إلا الوثائق الاستعمارية أو التي وضعت تحت مراقبة الاستعمار كالمقالات التي نشرتها جريدة الأخبار التي بدأت تصدر سنة 1902 كما ذكرت .

وزيادة على هذا فان هذه الصحف الخمسة تتخذ موقفها من الأحداث حسبما تقتضيه المصلحة الاستعمارية أو الوجود الفرنسي في الجزائر فلننظر مثلاً الى جريدة الحق التي بدأت تصدر بمدينة عنابة سنة 1893 وهي أول جريدة يشرف عليها المسلمون الجزائريون ويحرر فيها بالفرنسية الجزائريون تحت ادارة قائد العيون ورئاسة التحرير لعمر سمار ، فهذه الجريدة بدأت تظهر في فترة تكونت فيها عدة فرق ثورية أخذت تحارب الاستعمار وتهدد منشآته في جميع انحاء الجزائر ومن بين هذه الفرق فرقة كان يقودها أرزقي البشير . وعندما نتصفح جريدة الحق نجدها تبدي عداوتها لهذه الأحداث بأسلوب أشد قساوة من أسلوب الصحافة الاستعمارية ونجدها تبتهج وتهلل عندما أبيدت فرقة أرزقي البشير ، فقد تتبعت هذه الأحداث ووجدت أن الصحف الاستعمارية كانت أحسن تغطية لهذه الأحداث من جريدة الحق ، وبعد هذه الفترة الطويلة تأتي المرحلة الثالثة وهي المرحلة التي تبتدئ بسنة 1907 وتنطلق فيها الصحافة الجزائرية مع ظهور عدة صحف بحيث لا تخلو سنة ولا يمر شهر وتقريباً في كل أسبوع تظهر فيه صحيفة جزائرية أو اثنتان أو أكثر وقد شاهدنا مثلاً في سنة 1911 ظهور 13 صحيفة جزائرية في نفس الوقت .

فهي اذا انطلاقة لا بأس بها واستمرت هذه الانطلاقة بصفة أقل كثافة في بعض الأحيان حتى سنة 1954 رغم القمع المسلط عليها من طرف السلطات الاستعمارية .

ففي هذه الفترة وهي تشمل أكثر من خمسين سنة لعبت الصحافة الجزائرية دوراً هاماً في تغطية الأحداث السياسية وفي تكوين الفكر السياسي الجزائري ، هنا يجب أن نفرق .

فحتى الحرب العالمية الثانية يمكن القول بأن الصحافة الجزائرية كانت ذا اتجاه واحد ، سياسياً فانها كانت تقسم بالولاء للوجود الفرنسي بكيفية تختلف حسب الأهواء والمزاج وكانت مسالمة وتطالب ببعض الحقوق وتكشف عن بعض الحقائق البشعة التي كان يقوم بها الاستعمار ضد الشعب الجزائري .

وكانت تبدو الصحف التي كان يصدرها نجم شمال افريقيا وحزب الشعب بعده ، غريبة ومعزولة ومعكرة لهذا الجوّ الملئ بالوئام والوفاق .

ولكن في الحقيقة فان بروز هذه الصحافة الوطنية بعد سنة 1930 مع ظهور جريدة الأمة بالفرنسية وتوزيعها سرياً ، جعل من هذه المرحلة الأخيرة مرحلة تحول كبير في التفكير وفي الشعور الوطني وفي المواقف وفي بروز الشعب كقوة سياسية عوض النخبة التي بدأ نجمها في الأفول ، ولقد عبرت الصحافة الجزائرية في هذه المرحلة بصدق عن هذا الصراع وعن هذا التحول وهي مساهمة جديرة بالاهتمام ، اعتقد أن الاعتناء بها مازال لم يتبلور ولم يأخذ القوة الكافية ليعطي لهذه الفترة الصورة الحقيقية .

ولكن هذا التطور الذي عرفتها الصحافة الجزائرية يجعلنا ننتقل الى النقطة الثالثة وهي التغطية الصحفية للأحداث السياسية وهنا يتحتم علينا أن نفرق بين الصحافة بالفرنسية والصحافة المكتوبة بالعربية ، فان الصحافة الجزائرية المكتوبة بالعربية تختلف عن الصحف المكتوبة بالفرنسية ، فالأولى لا تغطي الأحداث السياسية إلا قليلاً والثانية لها مضمون سياسي بالدرجة الأولى ويمكن أن نعتبرها سجلا للأحداث وهي التي ينطبق عليها ما كنت أقوله آنفا من أنها ساعدت في تكوين الفكر السياسي .

وهذه الظاهرة نشاهدها مع بداية الصحافة الجزائرية ، فالصحف الأولى التي بدأت تظهر كانت مكتوبة بالفرنسية أو كانت مزدوجة مثل الحق العنابية أو المصباح الوهرانية أو جريدة الإسلام وغير ذلك وكلها كانت تعتني بالشؤون السياسية وتخصص جل مساحتها للاخبار والتعاليق السياسية في حين أن الصحف المكتوبة بالعربية مثل المغرب أو الاحياء أو الفاروق أو ذو الفقار كانت تخصص جل صفحاتها لمواضيع دينية أو أدبية ولا نجد فيها الا مساحة صغيرة مخصصة للاخبار السياسية وفي الغالب تكون هذه الأخبار أخباراً للشؤون الخارجية .

وقد استمرت هذه الحالة حتى بعد الحرب العالمية الأولى ، فجريدة الأمير خالد «الاقدام» كانت مزدوجة والاساس فيها هو القسم المكتوب بالفرنسية وجريدة «الدفاع» التي كان يصدرها الأمين العمودي بسالفرنسية كانت أكثر تعبيراً عن المواقف السياسية من جريدة الأمة بالعربية التي كان يصدرها أبو اليقظان وأكثر

تعبيراً كذلك من جريدة البصائر التي كانت تصدرها جمعية العلماء المسلمين في نفس الوقت وإذا أخذنا مثلاً العدد من الشهاب المؤرخ بـ 3 جوان 1935 نجد أنه يتضمن 72 صفحة منها 44 للقضايا الدينية والأدبية و16 للسياسة الداخلية الجزائرية (خاصة بالإنتخابات البلدية) و12 صفحة للسياسة الخارجية .

وكذلك اذا أخذنا جريدة البصائر مثلاً في عددها المؤرخ بـ 1938/11/11 العدد يحتوي على 8 صفحات ، فيها نصف صفحة للأخبار المتعلقة بالجمعيات الإسلامية مثل الكشافة ونصف صفحة أخرى لأخبار العالم الإسلامي .

وهذه النسبة من الأخبار السياسية ضئيلة وهي خط جميع الصحف الأخرى المكتوبة بالعربية واستمرت على هذا النمط حتى اندلاع الثورة واذا أخذنا الصحيفة التي تسمى نفسها صحيفة اخبارية مثل كوكب افريقيا أو جريدة النجاح فهي في هذه الحالة تشبه الصحف الاستعمارية بحيث نجد فيها النشاط الذي تقوم به السلطات الاستعمارية ولا نجد فيها شيئاً عن حالة المسلمين أو عن نشاطهم السياسي .

وقد يرجع السبب في هذه الظاهرة الى عدة عوامل منها العامل الداخلي يعني الخطة التي تنتهجها لنفسها الجريدة وهي في الغالب الابتعاد عن السياسة والالتزام بالوعظ والارشاد سواء كانت الجريدة ملكاً لصاحبها مثل الفاروق لعمر بن قدور الجزائري أو الأمة لابي اليقظان أو كانت الجريدة تابعة لجمعية معينة مثل جريدة لسان الدين أو الرشاد التابعة للزاوية العلوية أو البصائر التابعة لجمعية العلماء .

فإذا أخذنا مثلاً جريدة الفاروق ففي عددها الأول نجد عمر بن قدور الجزائري يتهجم على السياسة ويعتبرها مصيبة كبيرة ويلعن جميع الذين يشتغلون بالسياسة ويصف السياسيين بأنهم كذابون وجبناء .

والجانب الثاني في هذه الظاهرة هو التأويل الذي كانت تقوم به السلطات الاستعمارية في تطبيق قانون حرية الصحافة الذي صدر في فرنسا سنة 1881 . وكان هذا القانون يعامل الصحف الأجنبية بكيفية تختلف عن معاملته للصحافة الفرنسية .

فالصحافة الأجنبية كان يمكن وقفها بقرار من وزير الداخلية في حين أن الصحف الفرنسية لا يمكن ذلك إلا بحكم قضائي ، وبما أن اللغة العربية كانت

تعتبر لغة أجنبية في الجزائر فان الصحف العربية كانت تعتبر بالتالي أجنبية ويكفي لوقفها قرار من وزير الداخلية ويتخذ هذا القرار بناء على طلب من الوالي العام في الجزائر وقد استغلت السلطات الاستعمارية هذا التأويل للقانون الفرنسي وسيطرت به على الصحافة العربية في الجزائر وقد وصل بها الأمر الى أن أوقفت الجريدة قبل اتخاذ القرار انطلاقاً من برقية ترسل الى الجزائر بهذا الشأن ، وقد بدأت هذه السلسلة من الاجراءات في سنة 1925 عندما أوقفت جريدة المنتقد التي كان يصدرها الشيخ عبد الحميد بن باديس . وكانت هذه الجريدة امتنعت من أن تغطي النشاط السياسي في الجزائر وأن تدلي برأيها في هذا النشاط ولكنها اعتنت واهتمت بالثورة الريفية وخصصت لها شروحاً واسعة وكان هذا كافيا في وقفها .

وقد طبق هذا القانون بهذه الكيفية التعسفية من سنة 1925 الى سنة 1934 - 1935 بحيث أصبحت الصحف العربية لا تقوى على رفع رأسها وأصبحت تذعن للأمر الواقع وتبتعد عن السياسة كما ذكرت خلافاً لما عرفته الصحف المكتوبة بالفرنسية وهكذا أخذت الصحف باللغة العربية صبغة دينية أو أدبية أكثر منها سياسية خلافاً للصحف باللغة الفرنسية .

هذه هي الحدود التي أرى من الواجب ذكرها عندما نتحدث عن مساهمة الصحافة في كتابة تاريخ الجزائر ويبدو لي نظراً لهذه الحدود أن هذه المساهمة ضعيفة نوعاً ما .

فنظرة الصحافي للأحداث تختلف عن النظرة التي يرى بها المؤرخ . فالصحافي يتعلق بالتفاصيل ويريد أن يحيط بالأحداث من جميع جوانبها حتى يستطيع أن ينقلها الى القارئ بصفة كاملة في حين أن المؤرخ لا يتعلق بالحدث إلا اذا كان حلقة تربط بين الأحداث السابقة واللاحقة وتفسرها .

إن المتمعن في الصحافة الجزائرية التي لا تنتمي الى نجم شمال افريقيا وحزب الشعب الجزائري مثلاً لا يستطيع أن يفهم أسباب وأبعاد الثورة الجزائرية التي اندلعت في فاتح نوفمبر 1954 بل تبدو هذه الثورة كحدث لا مبرر له .

في حين أن المتمعن في الصحافة الجزائرية التي تنتمي الى نجم افريقيا والى حزب

الشعب الجزائري يتساءل كيف لم تندلع الثورة قبل فاتح نوفمبر 1954 لأنها كانت تدعو الى هذه الثورة ابتداءً من سنة 1930 .

فالوجود الفرنسي على ترابنا يعتبر لا محالة عثرة في مسيرة الشعب الجزائري والمؤرخ لهذه المسيرة يحاول أن يربط بين 5 يوليو 1830 و5 يوليو 1962 والأحداث التي تربط بين هتين النقطتين هي الأحداث التي عبر فيها الشعب عن غضبه وعن ارادته في التحرر وانني أشك في أن تكون الصحافة الجزائرية المسالمة في موعد مع هذه الأحداث ، والله أعلم .

5 - مساهمة الإعلام في بناء وحدة المغرب العربي الكبير(1)

عندما ندرس الوثائق التي تهتم بتاريخ المغرب العربي قبل الاستقلال يعني في فترة الاحتلال الفرنسي ، نجد أن الصحافة تمثل الوثيقة التي عبرت عن ضرورة الوحدة أكثر من غيرها ، في حين نجد مثلاً الأحزاب السياسية تذكر هذه الوحدة بالمناسبات فقط ، الصحافة كانت تعيش هذه الرغبة بصفة مستمرة ومتكررة حتى أنها روجتها لدى الجماهير وجعلت منها طحوحاً تسمو إليه جميع الشخصيات والهيئات والتنظيمات السياسية وغيرها .

واعتقد أن هذه الظاهرة موجودة في جميع البلدان المغربية والباحث قد يجدها في صحف ليبيا وتونس والمغرب ، ولكن في هذا العرض الوجيز الذي أقدمه لكم سوف أتطرق الى الصحافة الجزائرية فقط ، نظراً لضيق الوقت من جهة وقلة المعلومات التي تتوفر لدي في الوقت الحاضر .

وسأحاول أن أقدم وصفاً اجمالياً قامت به الصحافة في تحقيق الوحدة المغربية .

ففي الجزائر ، أو أن أردتم من الوجهة الجزائرية لأن بعض المظاهر وان كانت جزائرية فهي مشتركة كما سأبينه فيما بعد ، ففي الجزائر اذا نجد ان الاهتمام بوحدة المغرب من طرف الصحافة قد أخذ أنواعاً مختلفة من ناحية الشكل ومن ناحية العمل المشترك وأخيراً من ناحية المضمون .

1 - من ناحية الشكل أو استعمال الرموز التي توحي بضرورة الوحدة فان الصحيفة الأولى التي ظهرت في الجزائر باللغة العربية كانت تحمل اسم «المغرب» ،

---

(1) ألقي هذا العرض بمناسبة الندوة التي أقامتها جامعة الجزائر حول «بناء الوحدة المغربية» يومي 17 و18 جوان 1986 .

وهي جريدة ظهرت سنة 1903 بمدينة الجزائر وكان يديرها فرنسي مستشرق اسمه فانطانا ويتولى تحرير الجريدة هيئة من العلماء والمدرسين الجزائريين وهذه الهيئة هي التي تشرف على مضمون الجريدة بحيث كانت ذات صبغة ثقافية تهتم خصوصاً بالثقافة العربية الإسلامية والجريدة لا تفسر لماذا أعطت لنفسها اسم المغرب ولكنها كانت تخصص أعمدتها لأخبار المغرب وتونس ، واختيار اسم المغرب في مستهل القرن العشرين قد يعتبر من هؤلاء العلماء المشرفين على جريدة كرغبة في تحقيق الوحدة .

وكثيراً ما وجدنا هذا الرمز الشكلي يستعمل هكذا في الصحافة الجزائرية فيكفي أن نشير الى أنه ظهرت ثلاث صحف بالعربية تحمل اسم المغرب زيادة على التي أشرنا إليها آنفاً وهي جريدة «المغرب» التي أصدرها بمدينة الجزائر في سنة 1930 عيسى تعمونت مع أبي اليقظان وفي جريدة «المغرب العربي» التي أصدرها بمدينة وهران في ماي 1937 حمزة بوكوشة وفي جريدة «المغرب العربي» كذلك التي أصدرها بمدينة الجزائر في جوان 1947 الشيخ السعيد الزاهري وقد توقفت هذه الأخيرة سنة 1949 ثم استأنفت نشاطها في سنة 1956 .

زيادة على المجلة التي كان يصدرها اسماعيل العربي تحت اسم افريقيا الشمالية ، فتكون في الجملة 6 صحف صدرت في فترة متفرقة ترمز من الناحية الشكلية الى المغرب مثل ما نجده بالنسبة لكلمة الأمة في الصحافة الجزائرية بالعربية أو بالفرنسية .

وربما هناك ملاحظة هامشية وهي أن هذه الظاهرة الشكلية قد ينحصر وجودها في الجزائر فقط دون البلدان المغربية الأخرى حسب ما لدي من المعلومات وهذا يرجع الى الوضع السياسي المتميز عن غيره في الجزائر ، ولكن هذا يبعدنا عن موضوعنا .

2 – اما من ناحية العمل المشترك فانه قد ظهر في ميادين مختلفة مثلاً في ميدان القدرات والتكوين الصحفي ، كما أنه ظهر في المساهمة في التحرير أو في ميدان الطبع والتوزيع وفي جميع هذه الميادين الصحفية يطلعنا التاريخ على أن المغاربة تعاونوا لنشر كلمة الحق وللتغلب على العراقيل والصعوبات التي كانوا يجدونها أمامهم ، ووحدوا جهودهم وحققوا انتصارات ...

فقبل الحرب العالمية الأولى ، انطلاقاً من مستهل القرن العشرين ، نجد أن الجزائريين والتونسيين ينتقلون من الجزائر الى تونس ومن تونس الى الجزائر للقيام بعملهم الصحافي في أحسن الظروف .

فهذا عمر بن قدور الجزائري يبذل نشاطاً كبيراً في الصحافة التونسية قبل أن ينتقل الى الجزائر ليقوم بالتحرير في جريدة الأخبار وهذا محمد عز الدين القلال وهو تونسي يلجأ الى الجزائر ليصدر جريدة عربية باسم «البريد الجزائري» وقد صدر العدد الأول منها في 28 أوت 1913 يعني في نفس السنة التي أصدر فيها عمر بن قدور الجزائري جريدته «الفاروق» مما يدل على توافر الجهود المشتركة الجزائرية والتونسية للقيام بنهضة صحفية في الجزائر .

كما أن هذا العمل المشترك تواصل بعد الحرب العالمية الأولى فنجد مثلاً الشيخ أطفيش الجزائري يصدر جريدة الزهرة في تونس وتوزع هذه الجريدة في الجزائر وتنال شهرة في الأوساط العلمية ، وهذا الشيخ توفيق المدني يسلك نوعاً ما الطريق الذي سلكه عمر بن قدور الجزائري فينتقل من تونس - رغماً عنه - الى الجزائر ويقوم بنشاط صحفي ملحوظ في جريدة البصائر .

وفي ميدان الطبع فان مدينة تونس بما كان يتوفر فيها من الوسائل المطبعية بالعربية كانت ملجأ للصحافة الجزائرية العربية التي تجد صعوبة لقلة المطابع من جهة ورقابة السلطات الاستعمارية من جهة أخرى ، ولقد كانت الصحف التي تصدر بقسنطينة وبسكرة تطبع بتونس وتوزع بالجزائر ولربما أحسن مثال لذلك هو جريدة «وادي ميزاب» التي كان يصدرها أبو اليقظان فكانت تطبع بتونس وتنقل الى الجزائر لتوزع في مختلف مدنها .

واذا تطرقنا الى مضمون هذه الصحافة فاننا نجد الصحف الجزائرية تهتم كثيراً بالقضية التونسية والمغربية خصوصاً بعد الحرب العالمية الثانية مما مكنها من أن يكون لها صيت في هذين القطرين الشقيقين ، فكانت جريدة البصائر وجريدة المنار رائجتين في السوق المغربية حتى جعلت السلطات الاستعمارية تمنعها من الدخول الى البلدين ولقد جاء في العدد 8 من جريدة المنار المؤرخ في 31 أوت 1951 «جاءتنا رسائل من متعهدي المنار بالمغرب الأقصى تفيد أن السلطة قد أصدرت الأمر بمنع هذه الجريدة بالقطر الشقيق» وهذا يدل على أن هذه الجريدة

كانت كثيرة الانتشار في المغرب الأقصى وان المغاربة كانوا يجدون فيها تعبيراً صادقاً لشعورهم الوطني وهي بهذا قامت بتقوية الروابط الأخوية التي تجمع أبناء المغرب العربي .

ولعله يكفينا أن نذكر في أخر هذا الحوصلة للنشاط الصحفي المشترك في المغرب ما وجده الجزائريون أثناء الثورة التحريرية في تونس والمغرب من التسهيلات في الميدان الاعلامي فلقد كانت جريدة المقاومة الجزائرية تطبع بتونس وتطوان كما أن جريدة المجاهد كذلك كانت تطبع بالمغرب وبتونس زيادة على أن اذاعة «صوت الجزائر» التابعة لجبهة التحرير الوطني كانت تبث من مدينة ناضور شمال المغرب الأقصى .

هذه بعض الأمثلة خلال خمسين سنة من الكفاح المشترك ضد الاستعمار والتي ظهرت فيها الصحافة كمنبر قوي لعب دوراً كبيراً في تقوية الشعور الأخوي بوحدة المصير .

ولقد كان هذا العمل المشترك قد تعدى هذا الجانب الشكلي الى المساهمة الفعلية في الكفاح الصحفي .

فاذا تصفحنا جريدة المنار التي تحدثت عنها والتي صدرت كما تعلمون في فترة ما بين 1951 و 1954 وهي الفترة التي تفجرت فيها الأزمة المغربية والتونسية في علاقاتها مع الاستعمار والتي أدت الى استقلال البلدين ، اذا تصفحنا هذه الجريدة نجد أنها اهتمت بقضية القطرين اهتمامها بالقضية الجزائرية بل اذا أخذنا العدد الثاني من الجريدة نجد أنها خصصت ما يربو عن ثلاثة أرباع من مساحتها للقضية المغربية مع نشر صورة كبيرة للملك محمد الخامس وهذا العدد يتضمن رسالة الملك التي يبين فيها موقفه المؤيد لحزب الاستقلال والضغوط الاستعمارية عليه ليتخلى عن موقفه . ونشر هذه الرسالة في مثل هذه الظروف يعتبر جرأة سياسية ومساهمة قوية في مناصرة القضية المغربية .

وهذا الموقف يذكرنا بموقف جريدة المنتقد التي كان يصدرها الشيخ عبد الحميد بن باديس سنة 1925 وكانت في هذه السنة تدور الحرب في المغرب العربي بقيادة الأمير عبد الكريم الخطابي ، وأيدت جريدة المنتقد كفاح الأمير وساندت

مطلبه بالاستقلال مما جعل الوالي العام الفرنسي فيوليت يصدر أمراً بوقف جريدة المنتقد .

ولم تقتصر جريدة المنار على مناصرتها للقضية المغربية فهي قامت بنفس الحملة مع القضية التونسية بمجمل أربع مقالات وصورة بهذه العناوين «يوم تونس» «دروس من التجربة التونسية» «وأطوار القضية التونسية» «تضامن الجزائر مع الشعب التونسي» وجاء في المقال الأول «يوم تونس يوم التضامن الإسلامي في المحنة ، تضامن من الدفاع عن الكرامة المهانة ...» واستمر هذا الموقف وهذه اللهجة في أعداد كثيرة من الجريدة بحيث أصبح قراؤها يتتبعون حوادث تونس والمغرب عن كثب ويعرفون معرفة جيدة ما يجري في البلدين الشقيقين .

وانه لأمثلة قليلة أوردناها للاستشهاد على ظاهرة عامة ، نجدها في الصحافة الجزائرية منذ نشأتها الأولى إذ لا تخلو جريدة ولا مجلة من ركن صغير أو كبير يخصص لأخبار المغرب وتونس .

وهذا يجعلنا نقول أن الصحافة الجزائرية في الماضي قامت بدورها كاملاً في نشر الوعي بضرورة الوحدة وقامت كذلك بوضع الأسس الصحيحة لتشييد هذا البناء بناء متقناً إذ ساهمت بكيفية فعالة في التقرب بين الشعوب المغربية واطلاع هذه الشعوب على الحقائق المغربية .

هذا واذا رجعنا الى واقعنا اليوم بعد أن تحصلنا على الاستقلال ودخلنا في طور النو نجد أننا كدنا نضيع هذا الرصيد الذي جمعناه في المدة الاستعمارية . ونجد أن صحافتنا واعلامنا لا تعير اهتماماً كبيراً بوحدة المغرب .

والوحدة المغربية فكرة تحتاج في يومنا هذا أكثر من الماضي الى ترويج لدى الجماهير ، والاعلام بما أنه من وسائل الاتصال قد يقوم بهذه المهمة أحسن قيام ، فهو أولاً يعرف بشعوب المغرب العربي ويخلق جو التعارف والإخاء ، ويمكن وضع برنامج وخطة تسهل من مهمة الاعلام وتجعله يلعب نفس الدور الذي لعبه قبل الاستقلال .

وهنا نقطتان بودي أن أشير إليهما في ختام هذا العرض الوجيز تكون كقاعدة لهذا البرنامج .

1 – تواجد الصحف المغربية في الأقطار الشقيقة ضرورة ملحة حتى يتعرف

كل شعب على ما يجري عند شقيقه ، ويجب أن يكون توزيع هذه الصحف الوطنية حتى يتمكن ترويج فكرة الوحدة وتنضج مع مشاكل البناء والتشييد .

2) وضع برامج التبادل في الإذاعة والتلفزة واستعمال هذه الوسائل الإعلامية الفعالة في نشر الثقافة المغربية والكشف عن طموحات الأقطار المغربية .

وليس هناك شك في كون الإعلام من أحسن الوسائل - أكثر من الكتاب والمدرسة - وكذلك أحسن من الأحزاب السياسية في خلق جو ملاءم لظهور وحدة حقيقية دائمة عند الشعوب المغربية .

6 - الإعلام الجزائري أثناء الثورة التحريرية[1]

ان حديثي يتناول الاعلام الجزائري أثناء الثورة التحريرية وسوف أتطرق لهذا الموضوع من الناحية التاريخية التحليلية . وكما يظهر فان الفترة التي يشملها الموضوع قصيرة فهي أقل من ثمانية أعوام ولكنها غنية بالأحداث لأنها تندرج في العمل الثوري ككل ولأنها أيضاً عرفت ظهور اعلام جديد له أسلوبه وميزاته الخاصة . وحتى أحيط بالموضوع سأتعرض بصفة موجزة الى ثلاثة نقاط :

1) نظرة مختصرة حول الاعلام الجزائري قبل الثورة .
2) مكانة الاعلام في الثورة والسياسة الاعلامية للثورة .
3) مضمون هذا الاعلام وتجربة المجاهد .

•

1 - نظرة وجيزة عن الاعلام قبل الثورة :

إن الاعلام قبل الثورة في الجزائر كان يقتصر على الصحافة المكتوبة وخصوصاً على تلك التي كان يديرها المسلمون الجزائريون والتي كانت تصدر باللغة العربية أو باللغة الفرنسية .

من المعلوم أن الجزائر قبل 1830 لم تكن تعرف الصحافة المكتوبة بل العالم العربي كله لم يكن يعرفها قبل هذا التاريخ ولم تنطلق الصحافة العربية إلا في الأواخر من النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، ففي تونس مثلاً لم تصدر جريدة إلا في سنة 1860 وهي جريدة «الرائد التونسي» التي أنشأها أحمد فارس الشدياق .

---

(1) محاضرة ألقيت أثناء ندوة اتحاد الصحافيين الجزائريين التي انعقدت بالجزائر في مايو 1983 .

ومع الاحتلال الفرنسي ، فقد كانت الجزائر تعرف الصحافة المكتوبة مبكراً بمبادرة من السلطات الاستعمارية ، وأما المسلمون فانهم لم يصدروا الجريدة الأولى تحت اشرافهم إلا في سنة 1893 عندما ظهرت جريدة «الحق» باللغة الفرنسية في عنابة ، ولم تعرف هذه الصحافة الناشئة الانطلاقة الحقيقية إلا بعد سنة 1907 مع ظهور «كوكب افريقيا» .

ولكن ظهور الصحافة الجزائرية متأثر بالظروف التي ظهرت فيها أو التي أدت الى ظهورها . وهذه الظروف مرتبطة بثورة 1871 وبفشلها لأن فشل هذه الثورة كان بداية لعهد من القمع والتشريد والقتل الحسي والمعنوي قلّ أن تكون الجزائر قد عرفته من قبل . ولقد استمرت هذه السياسة الابادية في الجزائر حتى نهاية القرن التاسع عشر ولم يجد الشعب الجزائري أثناءه ملجأ لما أصابه إلا السكوت والصبر وأحياناً العنف غير المنظم .

وفي هذه الظروف الأليمة قامت جماعة من الفرنسيين - نستطيع أن نسميهم بالأحرار - على رأسهم بعض الوزراء والشخصيات السياسية الأخرى بتأسيس جمعية لحماية المسلمين ، تدعو الى وقف سياسة القمع واقامة حوار مع المسلمين وحجتهم في ذلك هي التحليل الآتي الذي تقدموا به «ان سكوت الجزائريين وقيامهم بثورات انتحارية لا يخدم في الحقيقة مصالح فرنسا ، وان الوجود الفرنسي لا يمكن أن يستمر ويدوم في الجزائر إلا اذا وجد معه حوار الجزائريين المسلمين» .

وانطلاقاً من هذا التحليل ، قامت هذه الجمعية بانشاء جريدة تدعو الى الحوار وهي جريدة «المنتخب» التي صدرت في قسنطينة في سنة 1882 وكانت هذه الجريدة تتكلم باسم المسلمين وتقول أنها جريدة مسلمة وكانت تطلب من المسلمين أن لا يستعملوا العنف وأن لا يقوموا بالثورات وأن يستعملوا الكلام والكتابة لتقديم مطالبهم وأن الصحافة هي أحسن وسيلة لذلك وأن الحوار هو الوحيد الذي يرجع بالخير للمسلمين ولفرنسا معاً .

والمعروف أن هذه الجريدة وجدت مساندة فعالة من طرف بعض الأعيان المسلمين مثل حميدة بن باديس وعائلة ابن بريهمات . غير أن هذه الجريدة لم تعمر طويلاً إذ أرغمت على التوقف ولكن الفكرة التي جاءت بها وهي اقامة الحوار

وعدم استعمال العنف لم تمت مع اختفائها بل تبلورت فيما بعد وأصبحت سياسة ومذهباً يؤمن به بعض الولاة الذين عينتهم فرنسا على الجزائر مثل «جونار» ، كما كانت تؤمن بها كذلك جماعة كبيرة من المثقفين الجزائريين ، سواء كانت ثقافتهم عربية أو فرنسية وأخذت هذه الجماعة تقوى وتزداد حتى سنة 1954 ونستطيع أن نقول أن الصحافة الجزائرية التي ظهرت من 1882 حتى غاية 1956 والتي كتبت بالعربية أو بالفرنسية كانت - في أغلبيتها - وليدة هذه الفكرة التي نادت بها جريدة «المنتخب» المبنية على اقامة الحوار مع السلطات الفرنسية الاستعمارية .

ولقد ظهرت في الجزائر صحافة أخرى لا تؤمن بالحوار وكانت تدعو الى المقاومة والكفاح المسلح ، وكانت أول جريدة من هذا النوع صدرت بباريس سنة 1930 باسم «الأمة» باللغة الفرنسية وتحت اشراف نجم شمال افريقيا . وتطور هذا النوع الثاني من الصحافة الجزائرية بعد ظهور حركة أحباب البيان والحرية سنة 1943 .

وكان الصراع قائماً بين النوعين من الصحافة . وعندما اندلعت الثورة التحريرية في فاتح نوفمبر 1954 ، كان الجو الاعلامي في الجزائر مشبعاً بهذا الصراع . كيف واجهته الثورة ؟

2 - مكانة الإعلام في الثورة :

ان المبدأ الأساسي للثورة ، هو أن الكلام الذي لا ينطلق من موقف القوة لا يفيد شيئاً وأن السلاح هو الطريق الأنجع لاسترجاع الحق المغتصب ، وبما أن الصحافة كلام مكتوب وأن الاعلام في ذلك الوقت يعتمد خصوصاً على الصحافة ، فانه كان من المتوقع أن لا تعطي الثورة للاعلام اهتماماً كبيراً ، غير أن الواقع فرض عكس ذلك والواقع هو أنه كان يوجد في الجزائر اعلام ضد الثورة ومعارض لسياستها وحاجز في سيرها . فهناك اعلام استعماري معزز الأركان بصحفه اليومية وإذاعته وهناك هذه الصحافة الإسلامية التي قلنا أنها كانت تؤمن بالحوار ، وبذلك فهي سند موضوعي للاستعمار . وهذا الاعلام حقيقة ملموسة تفرض على جبهة التحرير الوطني وهي القائمة بالثورة أن تواجهه وأن تأخذ موقفاً منه .

ومن حسن الحظ أن السلطات الاستعمارية أوقفت في فاتح نوفمبر 1954

الصحافة التي كانت تنطق باسم حركة انتصار الحريات الديمقراطية بنزعتيها «المصالية» و«المركزية» ظناً من السلطات أن هذه الحركة أو ما هو رسمي منها هي التي قامت بالثورة . فزوال هذه الصحافة بهذه الكيفية فعل ايجابي بالنسبة للثورة لأن هذه الصحافة وان كانت قد بدأت تميل نوعاً ما الى الحوار فهي صحافة وطنية ثورية في ماهيتها . واختفاؤها تعزيز لموقف جبهة التحرير الوطني التي لم يبق أمامها إلا صحافة الحوار والصحافة الاستعمارية .

ففيما يخص صحافة الحوار ، فان الجبهة حاولت أن ترغمها على التوقف حتى لا يجد الاستعمار من يتحاور معه وحتى يعود من جديد الجوّ الذي عرفه الشعب الجزائري بعد ثورة 1871 يعني انقطاع تام بين السلطات الاستعمارية والشعب الجزائري . غير أن هذه المهمة كانت صعبة لسبب أساسي وهو أنه بعد فاتح نوفمبر 1954 ظهر لهذه الصحافة (صحافة الحوار) والأحزاب التي وراءها أن تنشط أكثر ظناً منها أن الفرصة مواتية لاقامة حوار حقيقي مع السلطات الفرنسية كحزب «البيان» بجريدته «**الجمهورية الجزائرية**» وجمعية العلماء وراء جريدة **البصائر** والحزب الشيوعي بجريدته **الحرية** ، فهذه الأحزاب وهذه الصحف كانت تحاول أن تستغل أحداث الثورة في فائدة هذا الحوار الذي كثيراً ما آمنت به .

بل أكثر من هذا فقد قامت شخصيات جزائرية أخرى باصدار جرائد جديدة لتنال حظها من الحوار وتستعمل أحداث الثورة ، ومن تلك الشخصيات عمار أزرقان الذي أصدر بتاريخ 18 يوليو 1955 جريدة تسمى بـ l'Algerie d'abord وظهر منها عددان عبر فيها عن «الوجود الجزائري» وهو المقصود بعنوان الجريدة وعن ضرورة الحوار لابراز هذا الوجود ولتفادي الأحداث الدامية . ولعل هذا الموقف كان من الممكن في نظره أن يجعله يلعب دور الوسيط ويستغل الأحداث كما حدث في سنة 1945 واتصلت به الجبهة واستطاعت أن تقنعه أن مثل هذا الموقف أصبح لا يفيد شيئاً .

ومن هذه الشخصيات كذلك موقف السعيد الزاهري الذي بدا له أن يحي جريدته «المغرب العربي» القديمة وقد صدر العدد الأول من الطبعة الجديدة بتاريخ 17 مارس 1956 وظهر منها 7 أعداد وحاول فيها الزاهري أن يرفع شعار الوحدة في صفوف الوطنيين أو بالأحرى الاعتراف بالنزعة المصالية بعدأن فات

الأوان ومثل هذا الشعار لا يفيد بالطبع في مثل هذه الظروف إلا موقف الاستعمار لأن الجبهة أعلنت من قبل أن لا وحدة ولا اتحاد إلا وراءها ، وقد طلبت منه الجبهة أن يكف عن مثل هذا الكلام وأن يوقف جريدته ، فلم يمتثل فنفذ فيه حكم الإعدام وتوقفت جريدته وكان آخر عدد منها بتاريخ 19 ماي 1956 .

ولعل لهذا الحدث صدى عميق إذ فهم الجميع أن ليس هناك حوار ممكن مع السلطات الاستعمارية ، وأن ليس هناك من يستطيع الحديث بسام الجزائر وشعبها إلا جبهة التحرير الوطني ، وهكذا في بداية سنة 1956 وقبل شهر جوان 1956 توقفت جميع الصحف التي كانت تؤمن بالحوار : **الجمهورية الجزائرية** بجانفي 1956 (آخر عدد موجود بمحفوظات الولاية بالجزائر يحمل تاريخ 1955/12/16 رقم 66) **البصائر** بـ 6 أفريل 1956 (عدد 361) وكانت السلطات الاستعمارية أوقفت من قبل جرائد الحزب الشيوعي بسبتمبر 1955 ، وحتى جريدة النجاح التي كانت شيئاً لا يذكر في ذلك الوقت ، توقفت في سنة 1956 .

وهكذا قبل صيف 1956 تمت عزلة الاستعمار الفرنسي بالجزائر ، ولم يكن هناك من يريد أن يتحاور معه والتّف الشعب الجزائري كله حول جبهة التحرير الوطني . وبقيت المهمة الثانية وهي مواجهة الصحافة الاستعمارية . والمعلوم أن الاعلام الاستعماري كان قوياً بوسائله المختلفة وكان هذا الاعلام يحاول تحقيق هدف معين ، في المرحلة الأولى أراد أن يظهر الجبهة بمظهر الضعف ويشرح أن ما قامت به الجبهة سوف يعود عليها بالوبال ثم لما استفحل الأمر ولم يفد مثل هذا الكلام ، أراد أن يشوه سمعة الجبهة وأن يظهرها في مظهر بشع وأخذ ينسب إليها القتل والتعدي واراقة الدماء والقيام بالهدم إلخ ..

وكان هذا المنهج وهذه الطريقة من الممكن ان تعزز موقف الاستعمار خصوصاً في السنة الأولى من الثورة مع جميع الصعوبات التي وجدتها الثورة ونظراً لموقف أحباب الحوار كما رأيناه من قبل . فلم يبق حينئذ بد لجبهة التحرير الوطني إلا محاربة هذا الاعلام وعرقلة الصحف الاستعمارية في توزيعها وعقاب من يقرؤها وتحريض الجماهير على أن لا تستمع الى الاذاعة الاستعمارية ، ولكن سرعان ما تبين أن هذا الموقف سلبي وأنه لا يساعد الثورة . إذ تبين أن التشويه والتزييف الذي

كانت تقوم به الصحافة الاستعمارية مبني على الغلو والمغالطة والكذب فان المواطنين يستطيعون أن يميزوا بين الحق والباطل وأن يتعرفوا ويطلعوا بأنفسهم على الحقائق والوقائع ما دام يشاهدونها بأنفسهم ، بل أكثر من هذا فان هذه الصحافة بما أنها تكتب عن الوقائع والأحداث التي تقوم بها الثورة فهي بذلك تنشرها بين الناس وتخبر الناس بها في جميع أنحاء الوطن وبهذه الطريقة يعلمون أن الثورة مستمرة وأنها قوية وأنها تقوى كل يوم أكثر .

وبما أن الوسائل الإعلامية التي تملكها الجبهة كانت ضعيفة في الأشهر الأولى من الثورة (الاتصال الشخصي والمناشير فقط) فان الصحافة الاستعمارية بدت وكأنها أحسن وسيلة تستعملها الجبهة لأخبار الناس بما يجري ولأشعار النواحي المختلفة التي يوجد بها الثوار بالنشاط التي تقوم به . ونظراً لهذه الظروف قررت الجبهة أن لا تبالي بالصحافة الاستعمارية ما دامت تستفيد منها أكثر مما تتضرر ، بل زيادة عن ذلك راحت تشجع صحافة الأحرار الفرنسيين مثل l'Algerie espoir للكاثوليكيين أو صحافة الأستاذ ماندوز .

ولكن هذا الموقف لايكفي . إذ رغم ما فيه من السند فان المبادرة تبقى بيد الاستعماريين ، فلابد اذا من إنشاء جهاز إعلامي يفند أكاذيب هذه الصحافة ويشرح موقف الجبهة .

وهكذا أنشأت الجبهة الوسائل الاعلامية المعروفة :

1) المقاومة الجزائرية بطبعاتها الثلاثة : باريس ، تطوان ، تونس 1956 .

2) المجاهد داخل البلاد سنة 1956 ، ثم في الخارج في تطوان ، ثم تونس 1957 .

3) الاذاعة الثورية بناظور المغرب 1957 .

4) وكالة الأنباء بتونس 1961 .

زيادة على هذا فانها أنشأت كذلك وسائل الاتصال الأخرى وهي السينما والمسرح والغناء والشعر والقصة ولا ننسى أن نذكر المحافظ السياسي وهو عين الثورة ولسانها وهو حجر الزاوية في جميع النشاط الاعلامي .

3 - تجربة المجاهد :

سأحاول أن أشرح هذه التجربة من الجواب عن الأسئلة التالية : متى ظهرت

جريدة المجاهد ؟ كيف تطورت ؟ كيف كان العمل فيها ؟ ما هو منهجها ؟

1) متى ظهرت ؟ يجب أن نشير أولاً الى أن المجاهد والمقاومة الجزائرية تعتبران الوثيقة الوحيدة الرسمية للثورة التي هي بين أيدينا اليوم لكتابة التاريخ ويؤسف على أنها اهملت من طرف الباحثين ، ونشير كذلك الى أنه لا توجد مثل هذه الوثيقة قبل سنة 1956 بمعنى أن الكتابة في تاريخ الثورة كثيراً ما يعتمد فيها الباحث على وثائق باسم الجبهة وهي صاحبة الثورة . ولعل هذا هو السبب في تزييف حقائق الثورة من فاتح نوفمبر 1954 الى جوان 1956 .

ففي جوان 1956 اذا صدرت جريدة المجاهد حسب ما جاء في المقدمة التي وضعت لمجموعة المجاهد التي طبعت بيوغوسلافيا سنة 1962 مع الاشارة الى النقاط التالية :

1 . المجاهد في عددها الأول لا تذكر تاريخ صدورها ، رغم أنها تتحدث عن أحداث وقعت قبل شهر جوان لابعده ولكن هذا لا يعني شيء لأنه – نظراً لظروف الطبع والعمل في العاصمة – فانه من الممكن أن يمر وقت طويل بين تحضير مواد الجريدة وطبعها وتوزيعها .

2 . المقاومة الجزائرية التي تصدر بتطوان تذكر في عددها الثالث صدور العدد الأول من المجاهد والعدد الثالث من المقاومة الجزائرية لا يذكر هو بدوره تاريخ صدوره ولكنه يتكلم عن أحداث وقعت في شهر يوليو ، فاذا يكون هذا العدد قد صدر في أواخر شهر جويلية وأوائل أوت .

وعلى هذا قد يكون صدور العدد الأول من المجاهد في شهر جوان أو يوليو وهي المدة التي اختفت فيها صحافة الحوار كما رأيناه من جهة ، ومن جهة أخرى هي المدة التي ابتدأ فيها التحضير الى مؤتمر 20 أوت 1956 ، يعني أن صدور المجاهد يصادف تحولاً كبيراً في مسار الثورة وفي استراتيجية الجبهة .

2) كيف تطورت جريدة المجاهد : من ناحية الشكل مرت المجاهد على ثلاثة مراحل تمتاز كل مرحلة بظروفها الخاصة .

أ . عندما كانت في الجزائر – يعني من العدد الأولى الى العدد السابع وهو لم يظهر – كانت تطبع على الرونيو Ronéo . ومعنى هذا أنها كانت تصدر في شكل كرّاسة وهي أشبه الى منشور منها الى صحيفة ، وفي هذه المرحلة لم يكن لها محل

قار وتوزيع المادة (المواضيع) وجمعها كان صعباً وأصعب منه طبعها وتوزيعها ، فالعملية كانت خطيرة جداً لأنها عملية تستلزم المكوث طويلاً في مكان واحد بالمدينة وهذا يتنافى مع النشاط الثوري ، ولأنها كذلك عملية تخلق حولها تنقلات كثيرة ممكن أن تثير انتباه العدو واكتشاف العملية وبالتالي الأخطار بالمناضلين القائمين بها . ورغم هذه الظروف المتنافية مع اصدار جريدة ، فان المجاهد استطاعت أن تصدر ستة مرات بالعاصمة تحت الاشراف المباشر لأعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ .

ب . المرحلة الثانية : هي وجود المجاهد بتطوان ، وكان هذا بعد خروج أعضاء اللجنة للتنسيق والتنفيذ والعمل من الجزائر والتقاءهم بتطوان في صيف 1957 وقرارهم بوقف جريدة المقاومة الجزائرية واصدار المجاهد فقط التي أصبحت لسان حال جبهة التحرير الوطني وصارت تطبع في مطبعة اسبانية على الطريقة البسط à plat وأصبح لها شكل الجريدة . وكانت تطبع كمية منه توزع خارج الجزائر وكمية أخرى (حوالي 5000 نسخة) تطبع على ورق شفاف وتدخل الى الجزائر على طريق الحدود .

غير أن الظروف التي كانت تعرفها تطوان في ذلك الوقت - وان كانت ملجأ محمياً نوعاً ما من النفوذ الفرنسي وتدخل اليد الحمراء نظراً لكونها كانت تحت السيطرة الاسبانية - هذه الظروف لم تكن مواتية لتحقيق طموحات قادة الجبهة والمسؤولين على جريدة المجاهد ولذا اختاروا مدينة تونس - لتفتحها على الخارج - مقر اقامتهم وبالتالي مقر الجريدة ، وهكذا لم يمكث المجاهد بتطوان إلا بضعة أشهر ظهرت فيها الأعداد 8 و9 و10 .

جـ . المرحلة الثالثة : وهي المرحلة التي عرفتها المجاهد بتونس من نوفمبر 1957 حتى الاستقلال والظروف التي كانت تصدر فيها ظروف عادية مادياً وتقنياً بحيث كان لها مقر معروف من الجميع سواء من الجزائريين أو من الأجانب وصارت تطبع على الروتاتيف Rotative مع الصحف التونسية والمغربية بمقابل تعويض مالي .

وكان لها طبعتان : الأولى بتونس والثانية بتطوان ثم بالرباط والطبعة الأصلية تتم بتونس ثم تبعث نسخة مصحوبة بالفلون Flan على طريقة الجو ليعاد

طبعها بالمغرب . وقد فطن الاستعمار لهذه العملية وعندما انتقلت الطبعة الثانية من تطوان الى الرباط وأصبح الفلون يصل مباشرة من تونس الى الرباط مروراً بمدينة الجزائر استطاعت السلطات الاستعمارية أن تزيف بعض الأعداد من الطبعة الثانية ولكن هذا لم يمنعها من مواصلة نشاطها .

ووجود المجاهد بتونس أعطى لها صدى كبيراً في الأوساط السياسية والاعلامية في العالم . وكانت تحاول أن تصدر بانتظام كل نصف شهر ، غير أنها كثيراً ما تتعطل بحيث صدر منها 91 عدد لفترة 69 شهراً يعني بمعدل عدد واحد في 23 يوماً .

3) **كيف كان العمل بالمجاهد :** كانت المجاهد تصدر في طبعة بالعربية وأخرى بالفرنسية وكانت الطبعة الأساسية الأصلية بالفرنسية ، وكان يشرف على الجريدة بطبعتيها العربية والفرنسية مسؤول هو رضا مالك من أولها بتطوان الى الاستقلال وكان على رأس كل طبعة مسؤول عن التحرير ، وكان المسؤول عن القسم الفرنسي فرانز فانون حتى مرضه ووفاته والمسؤول عن القسم العربي محمد الميلي ثم مروش . وكانت هيئة التحرير في كل قسم لا تتجاوز خمسة أعضاء بما فيهم المخرج .

ولكن كانت توجد مشاركة «خارجية» من النوعين : الأولى أن قادة الجبهة كانوا يشرفون فعلياً على الجريدة بالتوجيه السياسي أو بالكتابة والثانية أن تغطيه أحداث الثورة في داخل البلاد ونشاط الجبهة في الخارج كان يقوم به المناضلون القائمون بهذا النشاط بحيث يصبحون في نفس الوقت مراسلين للجريدة ، وهكذا استطاعت أن تكون حقيقة لسان حال الثورة وأن تنطق باسمها وأن تغطي جميع أحداثها وأن تكون المرجع الأساسي لمعرفة موقف الجبهة بالنسبة للأوساط السياسية في العالم .

وبهذه الكيفية لم يكن للجريدة نشاط من النوع الاداري بل لم تكن لها البتة ادارة بالمعنى العادي للكلمة ولم يكن لها كذلك نشاط من النوع المالي بحيث استطاع جميع المناضلين العاملين بها أن يتفرغوا للتحرير والتحليل والشرح .

وكانت هيئة التحرير بقسميها تجتمع تحت اشراف المسؤول عن الجريدة لتحدد المواضيع التي يحتوي عليها العدد بالعربية وبالفرنسية ولتوزيعها على المحررين

ومن جهة أخرى كانت تجتمع فيئة تقريباً باستمرار لنقاش الأحداث السياسية وتحليلها وتتبع تطورها مما سمح لاعضائها أن يكون لهم إلمام واسع بأبعاد القضية الجزائرية وأن يكون لهم وحدة نظر ووحدة الرؤيا .

4 - أسلوبها :

ما هو منهجها الدعائي : يجب أن نشير هنا الى الفرق الموجود بين الدعوة والدعاية ، والمعلوم أن الدعاية كلمة عربية عصرية ترجم بها العرب معنى للكلمة التي ينطق بها بالفرنسية Propagande ولعله من حسن الصدف أنهم اختاروا كلمة الدعاية عوض كلمة الدعوة التي كانت موجودة من قبل لأن الدعوة ترمي الى تحقيق حق في حين أن الادعاء في الغالب تزييف للحق أو تقديمه في صورة غير حقيقية وقد تقوم الدعاية وليس وراءها حق وهذا ما عرفه الغرب بصفة عامة فالبلدان الرأسمالية ليس لها حق تدعو إليه لأنها تقوم بدعايات وبتشويه للحقائق أو بطمس الحق والحقوق ، في حين أن الدعوة تطلب أو ترشد الى حق مجهول أو مغتصب فالإسلام يدعو الى الحق وهو التوحيد وجبهة التحرير الوطني تدعو الى حق مهضوم وهو استقلال الجزائر ولكن زيادة على هذه الدعوة التي هي أساس كل شيء فان الجبهة اتخذت أسلوباً ذاتياً طبقته المجاهد في صفحاتها .

والأسلوب الدعائي حسب الباحثين الغربيين والمنهج الماركسي يبني على قواعد أساسية يمكن تلخيصها في نقطتين :

1) الاستمالة حتى نكتسب من نتوجه إليهم فينضمون إلينا .

2) التضخم واثارة شعور الالتحام والتضامن حتى تظهر بمظهر القوة ويظهر العدو بمظهر الضعف .

وهذه القواعد تطبق في اطار محدد وحول مواضيع عامة وهي هذه :

1) العدو يمثل خطراً على وجودنا .

2) نمثل وقاية منه .

3) العدو عرقلة في طريقنا .

4) كفاحنا يرمي الى ازالة هذه العرقلة .

5) العدو يتصف بجميع النقائص الأخلاقية .

6) معنا جميع الصفات الأخلاقية .

7) العدو مغلوب لا محالة .

8) النصر حليفنا بلا شك .

اذا طبقنا هذا الاطار على جريدة المجاهد ومضمون مقالاتها نجد أنها تنقسم الى قسمين كبيرين :

1) الاستعمار الفرنسي خطر على وجودنا . اغتصب وطننا بالقوة والنهب والقتل والابادة وهو يسلط علينا القمع ويمنعنا من الحياة .

وتدور المقالات الخاصة بهذه النقطة حول التاريخ للإتيان بالبرهان وحول وصف ما يقوم به الجيش الاستعماري في الجزائر من التقتيل والتشريد . وحول ابراز مظاهر الضعف في صفوف العدو (المعارضة/فرار الجنود الفرنسيين إلخ ..) .

2) جبهة التحرير الوطني قوية تواجه الاستعمار بنجاح وهذا الموضوع موجود في الجريدة باستمرار في البلاغات العسكرية التي تنشرها في جميع أعدادها . وقد يلاحظ أنها كانت تصف العمليات الواحدة بعد الأخرى ويوماً بعد يوم حسب ما يأتيها من الداخل ولقد تستغرق أحياناً هذه التغطية أكثر من صفحتين وفي نشر دلالة قاطعة على قوة الجبهة ونفوذ سلطتها في جميع أنحاء الوطن وعلى عجز العدو وفشله والحقيقة أن بعد 1960 أصبحت المجاهد لا تعطي اهتماماً كبيراً لهذه العمليات نظراً لتحقيق الهدف الأول منها نظراً لقيام الشعب كله بالمظاهرات .

والشعار الآخر الذي رفعته المجاهد في مقالاتها هو اظهار بطولة المجاهدين وتعظيم الشهداء منهم وتزكية الجهاد والفداء لتحرير الوطن .

كما أنها لم تنفك تشرح وتوضح أن النصر النهائي قريب وأن الاستقلال حقيقة نلمسها يومياً أكثر فأكثر .

هذه هي المواضيع التي تطرقت إليها المجاهد في أعدادها 91 وهذا هو أسلوبها في الوصف والشرح والتحليل وهذا ما جعل أنها لم تتعرض إلا قليلاً جداً الى الأحداث العالمية اللهم إلا اذا كان لها مساس بالقضية الجزائرية ، وهذا ما جعلها لا تتعرض كذلك إلا نادراً الى ما بعد الاستقلال لأن جميع الجهود موجهة لتحقيق هدف الاستقلال دون غيره .

وفي الختام نستطيع أن نقول أن جريدة المجاهد هي :

1) جريدة اخبارية لأنها كانت تخبر بوقائع الثورة .

2) جريدة سياسية لما كانت تقوم من شرح مواقف الجبهة .

3) جريدة دعائية لأنها كانت تدعو الى استرجاع حق مغتصب .

وهذه الصفات الثلاثة كانت لا تسمح لها بالطبع أن تكون موضوعية بل هي مع جميع المناضلين تقوم بنشاط نضالي يندرج ويتكيف حسب الظروف التي يفرضها الكفاح والحرب التحريرية .

القسم الثاني

تطور الإعلام الجزائري بعد الإستقلال

الفصل الأول : نظرة عامة

1 - تطور الصحافة الجزائرية بعد الإستقلال[1]

إن الفترة التي تفصلنا عن سنة 1962 ، وهي سنة استقلال الجزائر ، تعتبر فترة قصيرة ، وهي في الحقيقة لا ينظر إليها كفترة تاريخية قد انقضت ويمكن دراستها والحكم عليها بكل موضوعية ، وإنما هي فترة معاصرة يتعايش معها الدارس ولا يستطيع الحكم عليها بصفة نهائية وإنما يستطيع أن يقدم بعض التحليلات لبعض الجوانب من أحداثها التي يظن - حسب اجتهاده - أنها تكتسي أهمية ولها تأثير على مجرى الواقع . ولهذا يجب أن نشير في بداية هذه الدراسة للصحافة الجزائرية بعد الاستقلال الى أننا قمنا باختيار بعض الأحداث الصحفية دون الأخرى ظنا منا أنها تمثل أكثر من غيرها المراحل الأساسية التي عرفتها الصحافة الجزائرية منذ الاستقلال . كما أننا نشير الى أننا سوف نتناول الصحافة كظاهرة اجتماعية وسياسية في المجتمع الجزائري وسوف نقوم بتحليل عام لتطور هذه الظاهرة في علاقتها مع السلطة السياسية وفي علاقتها مع جمهورها ، ومعنى هذا أننا تعمدنا اهمال الرسالة الإعلامية والسياسية التي تحملها هذه الصحافة نظراً لضعف أهمية هذه الرسالة كما سنشرح ذلك فيما بعد .

واذا أردنا ان نقسم هذه الفترة - وطولها ستة وعشرون سنة - نجدها ثلاث مراحل تكون كل منها وحدة متكاملة رغم ان المرحلة الثالثة لم تتم بعد لأننا نعيش فيها اليوم . أما المرحلة الأولى فهي تبتدأ بالطبع مع الاستقلال (5 يوليو 1962) وتنتهي مع 19 جوان 1965 وهو تاريخ عرف تغييراً في النظام السياسي في

(1) نشرت هذه السلسة من المقالات في جريدة «الشعب» في شهري جوان وجويلية 1988 كل يوم خميس .

الجزائر من جهة وعرف من جهة أخرى حدثاً صحفياً هاماً وهو ظهور جريدة المجاهد اليومية باللغة الفرنسية ، وتنطلق المرحلة الثانية من هذا التاريخ لتنتهي سنة 1979 وهي السنة التي انعقد فيها المؤتمر الرابع لحزب جبهة التحرير الوطني الذي وافق لأول مرة على لائحة خاصة بالاعلام ، فانعقاد هذا المؤتمر يعتبر اذا في نفس الوقت حدثاً سياسياً وإعلامياً يفتح المجال للمرحلة الثالثة التي لم تنته بعد كما يبدو لي .

فهذه هي المراحل الثلاثة التي سوف أتعرض إليها بالتحليل ولكن قبل أن ابدأ بالمرحلة الأولى يجب أن أذكر أن هذه المرحلة لم تنطلق من الصفر تماماً ولكن هناك رصيد من التجربة الصحفية وجدته الجزائر عند استقلالها وقد شرحنا هذه التجربة في سلسلة من المقالات نشرتها جريدة «الشعب» في شهري فبراير ومارس 1988 ، ونؤكد مرة أخرى أن هذه التجربة ثرية ومتينة تتمثل في ممارسة قوية للصحافة المكتوبة وفي استعمالها كسلاح سياسي وإعلامي بجانب الأسلحة الأخرى التي استعملها الشعب الجزائري في كفاحه ضد الاستعمار الفرنسي وفي ثورته المظفرة لاسترجاع سيادته الوطنية ، ولكن هذه التجربة غير تامة لأنها لم تشمل جميع أنواع الصحافة العصرية كالصحافة اليومية مثلاً فلم تكن للجزائريين المسلمين يومية واحدة تنطق باسمهم قبل الاستقلال رغم أنهم كانوا يقرأون الصحف اليومية التي كانت كلها - تقريباً - استعمارية ، فهذا النوع من التجربة غير موجود عند الجزائريين مع الاستقلال وهو نقص كبير كان له تأثير قوي على المرحلة الأولى .

وزيادة على هذا النقص فانه كانت توجد في سنة 1962 عرقلة كبيرة في طريق الصحافة الجزائرية اليومية الناشئة وهذه العرقلة تتمثل في وجود صحافة يومية استعمارية قوية استمرت تصدر في الجزائر بعد الاستقلال تطبيقاً لاتفاقية «إيفيان» فهذه الصحافة الاستعمارية وإن كانت بدلت رسالتها الاستعمارية وعوضتها برسالة أخرى تعترف باستقلال الجزائر وبوجود أمة جزائرية غير الأمة الفرنسية ، وتقوم بتغطية تكاد تكون موضوعية لنشاط الحكومة الجزائرية المستقلة ولنشاط الجزائريين بصفة عامة ، فهي رغم هذا التغيير الهام ، كانت دائماً تمثل الوجود الفرنسي في الجزائر ، وبقيت كذلك متمسكة بما يجري بفرنسا وبتغطية النشاط السياسي الفرنسي .

وكان عدد هذه اليوميات يبلغ سنة 1962 خمس يوميات البعض منها يصدر بالجزائر العاصمة والبعض الآخر بمدينة وهران وواحدة بمدينة قسنطينة[1] .

وكانت هذه اليوميات تصدر عدد «يوم» الأحد الذي كان يوم عطلة وهو يشبه نوع «الماقزين» الذي كان لها رواج كبير واضافة الى هذا كانت توجد سبع صحف دورية بين الأسبوعيات والشهريات ، استعمارية بدأ صدورها قبل الاستقلال ، والكثير منها كان يصدر بالمدن الصغيرة مثل سطيف وتيهرت وغيرهما ، وكانت هذه الصحافة الاستعمارية تصدر باللغة الفرنسية ويملكها فرنسيون يحملون الجنسية الفرنسية ويسيرها كذلك صحافيون فرنسيون .

وكان لهذه الصحافة رواج كبير ، بحيث كانت اليوميات الخمسة تسحب ما يقرب من مائتين وخمسين ألف (250,000) نسخة ، وكانت الأغلبية الساحقة من قرائها جزائريين مسلمين ، لأن الفرنسيين الذين بقوا في الجزائر بعد الاستقلال لا يبلغون العشر من هذا العدد ، وكان الكثير من هؤلاء القراء ألفوا قراءة هذه الصحافة قبل الاستقلال بل قبل الثورة ، وكان الجديد من القراء تدربوا على قراءتها لكثرة وجودها في السوق ولقدرتها على حمل نوع من الرسالة الإعلامية .

وكانت هذه الصحافة الاستعمارية قوية تتبوأ مكان الفراغ الإعلامي الذي لا محالة حدث في الجزائر بعد الاستقلال نظراً لقلة التجربة الجزائرية في ميدان اليوميات كما أشرنا الى ذلك ونظراً للوضع القانوني والإعلامي كما شرحنا ذلك من قبل ويمكن ان نضيف ان الوضع القانوني للاعلام في الجزائر لم يتغير بعد الاستقلال فالحكومة الجزائرية لم تصدر قانوناً تشريعياً جديداً خاصا بالإعلام ، لا في الأيام الأولى من الاستقلال ولا في المرحلة الأولى كما حددناها في البداية ، بل صدر قانون في 31 ديسمبر 1962 ينص على «أنه يبقى العمل جارياً حسب التشريع الفرنسي السابق في جميع الميادين التي ليس فيها تعارض مع السيادة الوطنية» . وبما أن النشاط في الميدان الاعلامي لم يعتبر في البداية مساً بالسيادة الوطنية فان القوانين الإعلامية السابقة بقيت في حيز التطبيق وبالأخص قانون سنة 1881 والقوانين الاضافية التابعة له ، وكان هذا القانون يسمى بقانون «حرية

---

(1) لاديباش دالجيري (الجزائر) . الجي ريبوبليكان (الجزائر) . ليكو دوران . وأوران ريبوبليكان (وهران) . ولاديبش دي قسطنطين (قسنطينة) .

الصحافة» وينص على الحرية المطلقة في النشاط الصحافي وينص كذلك على الملكية الخاصة للصحافة المكتوبة . وما وجود الصحافة الاستعمارية إلا تطبيقاً لهذا القانون ، وهذه الحرية لا يتمتع بها الفرنسيون وحدهم ولكن كذلك الجزائريون المسلمون ، بحيث رأينا عدداً من الجزائريين يبادرون ، في الأشهر الأولى من الاستقلال ، بل نستطيع أن نقول في السنوات الأولى - حتى سنة 1966 كما سنشرحه فيما بعد - الى اصدار صحف تتمتع بالملكية الخاصة وكانوا يسيرونها حسب اتجاههم السياسي والايديولوجي ، ولكن في الغالب ، كانت هذه الصحف دورية نظراً لقلة تجربة الجزائريين في الصحافة اليومية مع الإشارة الى أن جريدة «الجي ريبوبليكان» اليومية ، استأنفت نشاطها الاعلامي في اليوم الأول من الاستقلال بصفتها جريدة خاصة تنتمي الى ايديولوجية يسارية ماركسية ويسيرها جزائريون من أصل فرنسي وإسلامي .

وكان هذا النشاط الصحفي مكثفاً نوعاً ما في المرحلة الأولى من دراستنا ، بحيث استطعنا ان نحصي خمسين صحيفة صدرت أو استمرت تصدر في هذه الفترة ، منها 12 صحيفة استعمارية ، ومنها اثنتان جزائريتان صدرتا قبل الاستقلال وهي «المجاهد» بالعربية والفرنسية ومنها 36 جزائرية صدرت كلها ما بين 5 يوليو 1962 و19 جوان 1965 يوجد من بينها ستة تابعة للملكية الخاصة .

هذا هو الإطار العام الذي انطلقت منه المرحلة وعلينا الآن أن نتعرف على الأحداث الإعلامية الهامة التي وقعت فيها وعلى مميزاتها الخاصة .

المرحلة الأولى 1962 - 1965 هيمنة الحزب والحكومة على الصحافة :

هذه الفترة قصيرة كما أشرنا الى ذلك من قبل ، فهي تمتد لأقل من ثلاثة سنوات وفي الحقيقة فهي لا تكفي لاحداث تطور كبير في خصائص الصحافة ، ولهذا فهي تعتبر كامتداد للفترة السابقة نجد فيها نفس النظام القانوني كما شرحنا ذلك ، ونفس النشاط الصحفي ، غير أن مضمون هذه الصحافة تغير بصفة جذرية بعد الاستقلال وأصبح هناك نوع من وتر واحد تتغنى به جميع الصحف وهو تشييد الجزائر المستقلة ، ولكن الحكومة الجزائرية كانت تنظر الى الصحافة بشيء من التخوف ممزوج بنية صارمة على أحداث تغيير كبير ، وانطلاقاً من هذه المعطيات فاننا نستطيع أن نستخرج بعض الأحداث نجعل منها محاور

أساسية تدور حولها دراستنا لهذه الفترة وهذه الأحداث هي ثلاثة : إنشاء يومية جزائرية ، القضاء على الصحافة الاستعمارية ، البحث عن حل لقضية «الجي ريبوبليكان» وهذه الأحداث الثلاثة تتلخص في فكرة واحدة وهي البحث عن طريق لهيمنة الحزب والحكومة على الصحافة المكتوبة ، قبل أن نتطرق الى هذه الأحداث الثلاثة يجب أن نشير الى أن الحكومة قد استطاعت ان تهيمن بسهولة على الوسائل الاعلامية الأخرى فالاذاعة والتلفزيون كانتا قبل الاستقلال تحت نظام الاحتكار الذي فرضته الحكومة الفرنسية ، فنقل هذا الاحتكار الى الحكومة الجزائرية وأصبحت الاذاعة والتلفزيون تحت تصرفها وتحت مراقبتها الاعلامية والثقافية ، أما وكالة الأنباء فانه لم تكن توجد أية وكالة بالجزائر إلا بعض المكاتب لمراسلي بعض الوكالات العالمية ، فبقي الحال كذلك الى تحويل مركز وكالة الأنباء الجزائرية التي تأسست أثناء الثورة بتونس الى الجزائر العاصمة وأصبحت تنشط كوكالة وطنية لها صلاحية الاحتكار كذلك .

أما الصحافة المكتوبة فبقيت حرة كما شرحنا ذلك من قبل وكان ينبغي على الحكومة الجزائرية أن تضع خطة تصل من خلالها الى فرض هيمنتها عليها كما فرضت هيمنتها على الوسائل الأخرى ، فانكب اذا اهتمامها كله على هذا الميدان .

1) إنشاء يوميات جزائرية : بعد 5 يوليو 1962 عرفت الجزائر فترة امتدت أكثر من شهرين دون وجود صحيفة يومية جزائرية محضة - اذا افترضنا أن «الجي ريبوبليكان» ليست لها صبغة جزائرية كاملة - ولم تصدر اليومية الجزائرية الأولى إلا في 19 سبتمبر 1962 ، واعطيت لهذه الجريدة اسم «الشعب» وكانت محررة باللغة الفرنسية ، وقد اتخذ قرار اصدارها من طرف المكتب السياسي لجبهة التحرير الوطني عندما كان موجوداً بمدينة تلمسان اثر الأزمة السياسية التي اندلعت في صيف 1962 فكلف المكتب السياسي حينئذ بعض المناضلين ومن بينهم صالح لوانشي بإصلاح مطبعة «ليكود الجي» الاستعمارية التي توقفت قبل الاستقلال وقامت جماعة من الارهابيين «لواس» بتحطيمها بواسطة قنبلة وضعت فيها ، فاستطاع هؤلاء المناضلون أن يصلحوا هذه المطبعة التي كانت ملكاً شاغراً وان يعيدوها الى ما كانت عليه من قبل جاهزة لطبع جريدة يومية عصرية ، فعين حينئذ صالح لوانشي كمسؤول للجريدة الجديدة وبمساعدة بعض

الصحافيين الجزائريين ظهر العدد الأول من يومية جزائرية ، والملاحظ أن هذه الجريدة لم تكلف أي استثمار جديد بل الوسائل العادية كانت موجودة كما أن الارادة النضالية كانت موجودة وكان ذلك يكفي لإصدار يومية عصرية ، وهذه الظاهرة تكررت بالنسبة لجميع اليوميات التي صدرت في هذه الفترة .

واستمرت تصدر هذه الجريدة بهذا الإسم «الشعب» مكتوباً باللغة العربية والفرنسية حتى شهر مارس 1963 . فتقرر حينئذ تغيير هذا الاسم وعوض بترجمته الفرنسية «لوبوبل» الذي استمر يصدر بهذا الإسم الجديد حتى جوان 1965 فغير حينئذ باسم «المجاهد» كما سنشرح ذلك من بعد .

وفي هذه الأثناء كانت السلطة الجزائرية تبحث عن اصدار يومية أخرى باللغة العربيّة ، غير أن الصعوبات كانت أكثر تعقيداً نظراً لقلة الوسائل المادية والبشرية ، فاليوميات الاستعمارية كانت تصدر كلها باللغة الفرنسية والصحف الأخرى الجزائرية كانت تطبع بالوسائل العتيقة بحيث لم تكن توجد في الجزائر عند الاستقلال «لينوتيب» تعمل باللغة العربية ، مما اضطر المسؤولين الى شراء عدد قليل من هذه الآلات - وهي التجهيزات القليلة التي تطلبت استثماراً ضعيفاً - والى تحويل مخزن الحروف لبعض الآلات الأخرى الموجودة من الفرنسية الى العربية .

ومن جهة أخرى فان عدد الصحافيين الجزائريين الذين كانت لهم خبرة بالصحافة المكتوبة - وخاصة باليوميات - كان قليلاً جداً ، والأغلبية الكبيرة منهم تركوا ميدان الصحافة وفضلوا العمل السياسي والاداري ، بحيث تكونت مشكلة وجود الصحافيين باللغة العربية ، أكثر ما ظهر بالنسبة للغة الفرنسية مما اضطر المسؤولين الى طلب اعانة من مصر ولبنان تمثل في الافادة لبعض الصحافيين الذين قاموا باصدار اليومية العربية الأولى في الجزائر تحت اشراف المناضل علي مفتاحي ، وهكذا ظهرت جريدة «الشعب» باللغة العربية في 11 ديسمبر 1962 ، وهذا ما يفسر سبب تأخيرها عن زميلتها باللغة الفرنسية .

وفي شهر مارس 1963 ظهرت يومية أخرى باللغة الفرنسية تحمل اسم «لاريبوبليك» (الجمهورية) بمدينة وهران ، وسبب ظهورها بهذه المدينة ظرفي خاص وذلك لأنه كانت تصدر بهذه المدينة جريدة تسمى «أوران ريبوبليكان» وكان لها اتجاه استعماري اشتراكي فقررت مع بداية الاستقلال مواصلة نشاطها

ولكنـه لم تمض بعض الأشهر حتى بـدأت تعرف بعض المشـاكل المترتبـة عن مغـادرة صحـافييهـا ، وفنيبهـا للجـزائر ، فتـوقفت حينئـذ عن الصـدور وأصبحت «ملكاً شاغراً» فقررت الحكومة الجزائرية الاستيلاء عليهـا واصدار يوميـة أخرى وهكـذا بدأت تظهر جريدة الجمهوريـة بـالفرنسيـة في 29 مـارس 1963 ، وهو كما نلاحـظ كذلك بدون استثمار جديد .

وفي شهر سبتمبر 1963 صدرت جريدة «النصر» بالفرنسية بمدينـة قسنطينـة في ظروف نشرحها فيما بعد ، ثم في شهر أفريل 1964 تأسست اليومية المسائيـة الأولى في الجزائر المستقلة وهي «الجي سي سوار» «الجزائر هذا المساء» وكانت تصدر باللغة الفرنسية في مطابع جريـدة «لوبوبل» التي كانت في الحقيقـة تتبع لمؤسسـة مستقلة تسمى «المطـابع الـوطنيـة الجـزائريـة» المكلفـة بتسيير جميـع المطـابـع المـوجـودة في الجزائر ، ولم يكن اصدار هـذه اليوميـة ظرفيـاً بل مسبـوقـاً بتحضير طـويـل من ناحية تكوين صحافيين باللغة الفرنسية ، فأقيمت ندوات طويلة المدى تكلف بها بعض المختصين من فرنسـا وحضرهـا عـدد من الجـزائريين الـذين كانت لهم تجربـة صحفية صغيرة أو كانت لهم شهـادات تخول لهم القيـام بـالنشـاط الصحفي ، وعنـد نهاية هذه الفترة التدريبية كلفت هذه النخبة المتخرجة بـاصـدار مسـائيـة وهكـذا صدرت «الجي سي سوار» بمدينة الجزائر في 14 أفريل 1964 .

وبظهور هذه المسائية أصبح عدد اليوميات التي أصدرتهـا الحكومـة الجزائريـة خمسة وهو عـدد يعبر عن الجهـد الكبير الـذي بـذلتـه السلطـات نظراً للصعوبـات المختلفة التي كانت موجودة ونظراً للجهد المبذول كذلـك بـالنسبـة للأنواع الأخرى من الصحـافـة التي لا يمكن ذكرهـا بـالتفصيـل ولكن تكفي الاشـارة الى اصـدار أسبوعيـة جـديـدة تحمل اسم «رفـوليسيـون أفريكان» (الثـورة الافريقيـة) بـاللغـة الفرنسيـة في 2 فبراير 1963 تحت اشراف المحـامي الفرنسي المعروف (فيرجيس انقليس) والى اصـدار مجلـة شهريـة تحمل اسم «الجيش» بـالفرنسيـة في يوليو 1963 وبـالعربيـة في مـارس 1964 والى اصدار عـدد آخر من المجلات المتخصصـة مثـل «الشبـاب» و«المعرفـة» و«نوفمبر» و«الثورة والعمل» وغيرهـا كما أنـه تجب الاشـارة الى صدور عدد من الصحف الأخرى التابعة للملكيـة الخـاصـة مثل جريـدة «الجماهير» التي أصدرها الكاتب طاهر وطار وغيرها ، كما أنه تجب الاشارة كذلك الى اختفـاء

بعض الصحف الأخرى نخص منها بالذكر جريدة «المجاهد» الأسبوعية باللغة الفرنسية التي توقفت في 27 جوان 1964 .

واضافة الى هذا العرض السريع لابد ان نخص بالذكر كذلك الجهد المبذول في سبيل تطوير وكالة الأنباء الجزائرية ، ففي أوت وسبتمبر 1963 اتخذت قرارات رئاسية تنظم هذه الوكالة بكيفية منطقية وتخول لها حق الاحتكار في توزيع المعلومات الاخبارية في جميع تراب الجمهورية الجزائرية . وفي 15 أفريل 1964 أصبحت هذه الوكالة تعمل باستمرار 24 ساعة في اليوم ، ولكن هذا النشاط كان يغطي في الحقيقة ضعفاً فاحشاً في نوعية الخبر ، بحيث كانت الوكالة تقتصر على تحرير الأخبار التي تبثها الوكالات العالمية وعلى ترجمتها وعلى نشر البلاغات التي تأتيها من الوزارات المختافة ، وبما أنها كانت تتمتع بحق الاحتكار في توزيع الأخبار فان اليوميات الجزائرية الجديدة كانت هي بدورها تكتفي بنقل الأخبار التي تأتيها من الوكالة بضعفها وسيئاتها ، بحيث أصبحت اليوميات الجزائرية متشابهة من جهة وضعيفة من جهة أخرى لا تحمل رسالة إعلامية ينتظرها منها القراء .

ونظراً لهذه الوضعية السيئة فان اليوميات الجزائرية الجديدة لم تجد رواجاً كبيراً في هذه الفترة فكان سحب جميع اليوميات لا يتجاوز ستين ألف (60,000) نسخة «الشعب» بالعربية كان يتراوح سحبها بين 10,000 و15,000 ألف نسخة في حين أن الشعب بالفرنسية وبعدها «لوبوبل» لم يتجاوز سحبها 25,000 ألف نسخة وزيادة على هذا فان المرتجعات كانت ضخمة تصل نسبتها أحياناً الى 60٪ و70٪ بالنسبة لبعض اليوميات ، بحيث نستطيع أن نقول أن عدد قراء جريدة «الشعب» باللغة العربية مثلاً لم يتجاوز خمسة آلاف في هذه الفترة[1] .

ويرجع السبب الرئيسي لهذا الضعف الى رداءة الرسالة الاعلامية كما أشرنا الى ذلك سابقاً ولكن هناك أسباب أخرى منها عدم وجود شبكة للتوزيع ملائمة ومنها خاصة وجود الصحافة الاستعمارية أو بالأحرى اليوميات التي كانت تصدر قبل الاستقلال والتي أصبحت منافساً قوياً لليوميات الجزائرية الناشئة ، مما جعلت السلطة الجزائرية تفكر جدياً بعدما انشأت اليوميات الوطنية الأولى في القضاء على هذه الصحافة الاستعمارية .

---

(1) لا توجد احصائيات رسمية للصحافة في هذه الفترة حتى داخل المؤسسات الاعلامية نفسها واعتمدنا هذه الأرقام عند بعض المسؤولين الذين قدموها لنا بكل تحفظ .

2 - **القضاء على الصحافة الاستعمارية** : بعد سنة واحدة من انشاء اليومية الأولى الجزائرية ، بدأت تفكر السلطة الجزائرية في القضاء على الصحافة الاستعمارية ، فالبديل كان موجوداً ، إذ توجد ثلاث يوميات وطنية ، ولم يبق الا ايجاد الصيغة أو بعبارة أخرى المبرر القانوني الذي لا يتعارض مع اتفاقيات «ايفيان» ، ولهذا اجتمع المكتب السياسي لجبهة التحرير الوطني يوم 17 سبتمبر 1963 وقرر تأميم اليوميات الثلاثة : «لاديباش دالجيري» «لاديباش دي قسطنطين» و«ليكو دوران» وصدرت اليوميات الوطنية في 18 سبتمبر بعناوين ضخمة في الصفحة الأولى تخبر بهذا القرار الهام . ويقول القرار أن هذه الصحافة تذكرنا بالعهد الاستعماري وان وجودها لا يتلاءم مع السيادة الوطنية رغم موقفها الحالي المعتدل ومع وجود صحافة وطنية ناشئة لا تقوى على المنافسة .

ولقد جاء هذا القرار بجميع المبررات المنطقية وظهرت صيغة التأميم كصيغة قانونية ملائمة لأنها تنظر الى هذه اليوميات كمؤسسات لها طابع تجاري وصناعي وللدولة الحق في الإستيلاء عليها مع دفع التعويضات لأصحابها وهذه الصيغة القانونية كانت في الحقيقة تغطية للسبب الحقيقي الذي هو بلا شك سياسي وهو ما يفسر كون القرار اتخذه المكتب السياسي لا الحكومة . وهذا الموقف السياسي يرمي الى إلغاء الملكية الخاصة للصحافة المكتوبة وفرض هيمنة الحكومة والحزب على جميع أنواع الصحافة المكتوبة وكانت العقبة الأولى هي هذه الصحافة «الاستعمارية» التي أصبحت منافساً قوياً لليوميات الوطنية . ولقد أشار القرار الى هذه المنافسة التي اتخذت أبعاداً خطيرة مع مرور الأيام فلقد كانت هذه الصحف الاستعمارية تسحب ما يقرب من 250,000 نسخة في حين أن اليوميات الوطنية لا يتجاوز سحبها 50,000 ألف نسخة كما أشرنا الى ذلك وكان قراء الصحافة الاستعمارية جزائريين في أغلبيتهم مما يجعل الرسالة الاعلامية التي كانت تحملها اليوميات الوطنية لا أثر لها على المواطنين وزيادة على هذا فان الصحافة الاستعمارية أخذت تقوم بتغطية مرضية وموضوعية لنشاط الحكومة دون المساس بالسيادة الوطنية مما جعلها أكثر مصداقية عند القراء ، فبدأ يظهر تنافسها لليوميات الوطنية خطيراً جداً نظراً لقلة تجربتها فجاء قرار التأميم ليضع حداً لهذا التنافس ويفسح المجال لتطور الصحافة اليومية الوطنية .

ومن النتائج الظرفية لهذا التأميم ان الحكومة تمكنت من انشاء يومية أخرى في قسنطينة وهي جريدة «النصر» باللغة الفرنسية التي أخذت مكان «لاديبيش دي قسطنطين» واستقرت في مقرها واستولت على مطابعها ، كما أن جريدة «الشعب» باللغة العربية أخذت مكان «لاديبيش دالجيري» ونزلت بمقرها واستعملت مطابعها ، كما اعطيت مطابع «ليكو دوران» لجريدة «الجمهورية» التي أصبحت تتمتع بوسائل مادية قوية وفعالة في ذلك الوقت .

وهكذا جاءت عملية تأميم الصحافة الاستعمارية بنتائج ايجابية مختلفة : قضت على بقايا الاستعمار الاعلامية ، أسكتت منافساً قوياً لليوميات الجزائرية الناشئة ، أعطت لهذه اليوميات امكانيات مادية قوية ، وأزالت العرقلة الأولى الكبرى لفرض هيمنة الحزب والدولة على الصحافة المكتوبة .

3 - **قضية «الجي ريبوبليكان»** : لقد تسأست جريدة «الجي ريبوبليكان» سنة 1937 عندما كانت الجبهة الشعبية في الحكم في فرنسا ، وكان يوجد ضمن مؤسسيها بعض الجزائريين المسلمين ولذا كان لها نوع من الاهتمام بمشاكل المسلمين الجزائريين وكان لها تجاه سياسي معين وهو الولاء للحزب الاشتراكي الفرنسي والدفاع عن مشروع بلوم فيوليت المعروف وبعد الحرب العالمية الثانية غيرت نوعاً ما تجاهها السياسي وأصبحت تميل أكثر الى الحزب الشيوعي الفرنسي الذي تمكن أخيراً من الاستيلاء على ادارة الجريدة ، وفي الثورة التحريرية ، كان لها في البداية موقف تحفظي تحول شيئاً فشيئاً الى موقف حيادي مما جعل السلطات الاستعمارية تغضب عليها وتتخذ قراراً بوقفها وبسجن عدد من مسؤوليها . وبمجرد الحصول على الاستقلال استأنفت صدورها فبدأت تظهر في اليوم الأول من الاستقلال (5 يوليو 1962) وكان هذا العدد يحمل رقم 1 وجاء في الافتتاحية أن الجريدة «تقف مع الحكومة الجزائرية في برنامجها نحو الاستقلال التام ونحو تحقيق الثورة الزراعية والتقدم الاجتماعي وتجديد الثقافة الوطنية .

وهكذا ظهرت «الجي ريبوبليكان» في ثوبها الجديد كأنها أرادت أن تزيل عليها تماماً غبار عهد الاستعمار ، ولكن بقيت متمسكة بوضعها القانوني كجريدة خاصة يملكها جزائريون لا علاقة لهم بالحكومة الا موقفهم السياسي المؤيد ، وبهذه الصفة فهي حرة لا تقوى عليها الحكومة ، وقد أصبح لها رواج كبير بحيث

أصبح عدد سحبها يفوت 80.000 ألف نسخة مما يجعلها أكبر يومية في الجزائر .

وكان هذا الوضع المتميز يقلق نوعاً ما الحكومة الجزائرية التي كانت تريد دمج هذه الجريدة حتى يتسنى لها مراقبتها فعندما انعقد المؤتمر الثالث لجبهة التحرير الوطني في الجزائر في أفريل 1964 طرح المشكل وكان بعض من مسؤولي الجريدة حاضرين ، فوقع نقاش ثم تقرر دمج «الجي ريبوبليكان» و«لوبوبل» واصدار جريدة واحدة وتكونت لجنة تحت رئاسة عبد الرحمان بن حميدة لدراسة المشكل واتخاذ الاجراءات اللازمة لعملية الدمج وكانت هذه العملية في الحقيقة في صالح «الجي ريبوبليكان» نظراً لكثرة الصحافيين الذين كانوا يعملون فيها ونظراً كذلك لخبرتهم وخبرة الجريدة كوسيلة اعلامية ووقع الاتفاق بين أعضاء اللجنة على ان اسم اليومية الجديدة هو «المجاهد» وان عددها الأول سوف يظهر يوم 21 جوان 1965 ، غير أن بعض المشاكل الطارئة والخاصة بوضعية بعض الصحافيين أخرت هذا الموعد الى 5 يوليو 1965 ، غير أن الأحداث تسارعت فوقعت حوادث التصحيح في 19 جوان 1965 وكانت «الجي ريبوبليكان» لم تتوقعها ، فوقفت ضدها وتوقفت الجريدة ودخل مسؤولوها في المعارضة .

وبزوال «الجي ريبوبليكان» تم في الحقيقة هيمنة الحكومة والحزب على الصحافة المكتوبة وتزول نهائياً الملكية الخاصة في الميدان الاعلامي ، وبذلك تبدأ مرحلة أخرى تتمثل في اقامة نظام اشتراكي للاعلام في الجزائر .

المرحلة الثانية 1965 - 1979 اقامة نظام اشتراكي للإعلام :

تبدأ هذه المرحلة بتغيير كبير في الميدان السياسي والاعلامي ، ولقد أدت الحوادث المفاجئة التي وقعت في 19 جوان 1965 الى اختفاء جريدة «الجي ريبوبليكان» وهي اليومية الخاصة الأخيرة والى توقف جريدة «لوبوبل» وتعويضها بيومية جديدة وهي جريدة «المجاهد» باللغة الفرنسية التي مازالت تظهر الى يومنا هذا ، ولم يقع تغيير آخر بالنسبة لليوميات الأخرى التي أسستها الحكومة الجزائرية منذ الاستقلال ، ويعتبر اصدار جريدة «المجاهد» حدثاً اعلامياً هاماً لأن اللغة الفرنسية كانت في ذلك الوقت مسيطرة على الوضع الاعلامي والثقافي كذلك ولأن جريدة «المجاهد» أخذت تلعب دوراً هاماً متزايداً في المجال

الاعلامي بحيث أصبحت تمثل لوحدها الصحافة المكتوبة في الجزائر نظراً لحجم سحبها الذي بلغ سنة 1970 مثلاً مائة ألف وتسعمائة (100,900) نسخة في حين أن باقي الصحف اليومية كانت تسحب ثمانية وستون ألف (68,000) نسخة فقط ، فالمجاهد يمثل اذا من ناحية السحب أكثر من ثلثي الصحافة المكتوبة الجزائرية وهي ظاهرة لابد من الاشارة إليها في بداية هذه المرحلة وهذا التفوق لم ينفك يزداد ولم يزل الفرق بينه وبين الصحف الأخرى يكبر حتى أننا نجد «المجاهد» في سنة 1978 مثلاً وهي آخر السنة من هذه المرحلة يسحب مائتين وثلاثة آلاف نسخة وباقي الصحف اليومية لا تسحب إلا سبيعن ألف وتسعمائة وخمسة وثمانين نسخة (70,985) .

فظهور المجاهد اذا تحولاً كبيراً في الميدان الاعلامي وهو من جهة أخرى يختم حلقات ظهور اليوميات في الفترة السابقة بحيث تمر المرحلة الثانية هذه كلها ، وهي تمتد أربعة عشر سنة - دون أن تصدر فيها يومية أخرى بل شاهدنا زوال يومية مسائية ، وهي «الجي سي سوار» في 31 أوت 1965 لسبب لم يصرح به[1] واذا عرفنا أن الأسبوعيات لم تشهد هي بدورها اصدارات جديدة ملحوظة - اللهم ما كان اصدار «الجي اكتياليتي» باللغة الفرنسية في 24 أكتوبر 1965 - نستطيع أن نقول أن التحول الذي بدأ يظهر سنة 1965 يميل أكثر الى الجمود .

1) إقامة نظام إشتراكي للاعلام : مما لاشك فيه أن الجهود الحكومية المبذولة في المرحلة الأولى كانت ترمي الى القضاء على الملكية الخاصة في الميدان الاعلامي وقد تم ذلك مع بداية المرحلة الثانية وتواصلت الجهود من طرف الحكومة الجديدة لتمتين الوضع الجديد واقامة نظام اشتراكي للاعلام ويتمثل هذا النظام في إلغاء الصحافة الخاصة كما أكدنا ذلك مراراً وكذلك في توجيه الصحافة الحكومية والحزبية حتى تصبح أداة من الأدوات التي تستعملها الدولة لتعزيز سياستها ، والفرق بين صحافة البلدان الغربية الرأسمالية وصحافة البلدان الاشتراكية هو أن الصحافة في المنطقة الأولى تراقب أعمال الحكومة وتنفيذها

(1) لم تذكر الجريدة المتوقفة بسبب تعطيلها ، كما أن اليوميات الأخرى لم تذكر السبب ويرى بعض المسؤولين ممن اتصلنا بهم أن السبب يرجع الى شيئين : عدم الالتزام من طرف الجريدة وغضب الوزير المكلف بالاعلام في ذلك الوقت .

وتعارضها أحياناً أما صحافة المنطقة الثانية فهي تقف دائماً بجانب الحكومة تضخم أعمالها الايجابية وتخفي أعمالها السلبية وتسترها .

والحقيقة أن هاتين النقطتين (الغاء الملكية الخاصة وتوجيه الصحافة المكتوبة) يعتبران من القواعد الأساسية التي بني عليها النظام الاشتراكي للاعلام في الجزائر ، وفيما يخص التوجيه فانه أصبح سهلاً بعد أن أصبحت جميع الصحف اليومية تتبع للحكومة ، ففي 16 نوفمبر 1967 صدرت قوانين تجعل من اليوميات مؤسسات ذات الطابع التجاري والصناعي وتجعل من مدير هذه المؤسسات صاحب الحق المطلق في التسيير الاداري والمالي بعد أن جعلته تحت وصاية وزارة الاعلام في التوجيه الاعلامي والسياسي .

وفيما يخص الغاء الملكية الخاصة فان هذا النظام قد وضع في الجزائر بصفة تدريجية تكاد تكون لا شرعية ، ونقصد بذلك عدم وجود قانون عام يضبط هذه الوضعية ويميز حدودها بل من الناحية القانونية فان الوضع يسمح لكل مواطن أن يصدر جريدة دون أن يتعارض مع القانون وله الحق في ذلك ، ولكن هذا الحق لم يطالب به أحد في هذه المرحلة هذا من جهة ومن جهة أخرى فانه لا جدوى في هذا الحق اذا كان اصدار جريدة لا معنى له ما لم يكن مصحوباً بالحق في توزيع هذه الجريدة ، وفي هذا الميدان تسارعت الحكومة الجزائرية الى اتخاذ اجراءات ضرورية لجعل ميدان توزيع الصحافة تحت رقابتها ، ففي سنة 1966 أممت شركة هاشيت التي كانت تتولى توزيع الصحافة في الجزائر وخاصة الأجنبية منها وأسست شركة جزائرية وهي الشركة الوطنية للنشر والتوزيع المعروفة باسمها الفرنسي (سنيد) وخولت لها حق الاحتكار في ميدان التوزيع بحيث أصبح لا يمكن توزيع أي «مطبوع» في الجزائر إلا بواسطة هذه الشركة ، وبهذه الطريقة وضع بصفة غير مباشرة نظام لمراقبة جميع ما يكتب في الجزائر وفي غير الجزائر قبل توزيعه في التراب الوطني ، وهكذا تعزز النظام الاشتراكي في الجزائر قانونياً وعملياً وقد أدي في هذه المرحلة الى تجميد الصحافة المكتوبة من حيث تعدد الصحف ومن حيث نوعية الرسالة الاعلامية ولعلنا نتساءل لماذا هذا النظام ؟

في الحقيقة يتعسر وجود جواب رسمي لهذا السؤال ولكن المتتبع للأحداث

الاعلامية والسياسية يجد تفسيراً لهذا الوضع ويجد شبه جواب للسؤال المطروح ، أولاً هناك ضرورة ملحة لحماية الصحف اليومية الناشئة كما أشرنا الى ذلك مراراً ثم هناك ظاهرة تبرر نوعاً ما اقامة هذا النظام وهي ظاهرة تفشي الأمية في الجزائر التي كانت مرتفعة في الستينات إذ تفوق 70٪ من سكان الجزائر ، وبهذه النسبة تصبح الصحافة المكتوبة وسيلة نخبوية ، تتمتع بها طائفة صغيرة من الجزائريين الذين يستطيعون القراءة ، فهي اذا بالنسبة للجزائر ليست وسيلة جماهيرية وان كان اسمها يدل على ذلك ، وهذه الظاهرة أدت بالحكومة الجزائرية الى تجميد هذه الوسيلة ريثما تنتج المدرسة الجزائرية من يستطيع قراءة هذه الصحافة واهملت الحكومة الاعتناء بالصحافة المكتوبة ، وكثفت جهودها في تعزيز الاذاعة والتلفزيون لأنها وسيلة جماهيرية ليس من الضروري معرفة القراءة لفهم رسالتها .

ولقد تجلى إهتمام الحكومة بالوسيلة السمعية البصرية على حساب الصحافة المكتوبة في الميزانية المخصصة لها ، ففي سنة 1966 بلغت اعانة الحكومة للصحافة المكتوبة 9,76٪ من مجموع الاعانات المخصصة للوسائل الاعلامية وقيمتها مليوناً دينار .

في حين أن الاعانة المخصصة للاذاعة والتلفزيون بلغت في نفس السنة 68,29٪ من الاعانات المخصصة للوسائل الاعلامية وقيمتها أربعة عشر مليون دينار (14.000.000) وما أنفك هذا الفرق يكبر ويتزايد حتى وصل في سنة 1978 وهي آخر سنة في هذه المرحلة الى النسب التالية : 4,16٪ للصحافة المكتوبة وقيمتها سبعة ملايين وثلاثمائة وخمسون ألف دينار (7.350.000 و 89,91٪ للاذاعة والتلفزيون وقيمتها مائة وتسعة وخمسون مليون دينار ، وهو فرق كبير جداً رغم المداخيل الخاصة التي كانت تتوفر عليها الصحافة المكتوبة والتي لم تكن كافية لإدخال التغييرات المادية الضرورية بحيث أصبحت جامدة تعمل بنفس الامكانيات التي وجدتها أما الوسائل السمعية البصرية فانها استطاعت أن توسع شبكتها وتعززها بالوسائل المستحدثة حتى تصبح تسمع وتشاهد في أغلبية التراب الوطني (95٪ في سنة 1976) ولم تعرف الصحافة المكتوبة تغييراً في شبكة توزيعها إلا في سنة 1976 كما سنشرحه من بعد .

ولقد استمر هذا الوضع بهذه الكيفية حتى آخر هذه المرحلة ، وفي هذه الأثناء

عرفت نوعين من التغيير وهما : أولاً تحويل بعض الصحف اليومية من تحريرها بالفرنسية الى العربية وثانياً ظهور نوع من الاهتمام بالتحسين في توزيع الصحافة اليومية .

2) تعريب الصحافة : رأينا أن جريدة «الشعب» باللغة العربية قد صدرت في الأشهر الأولى من الاستقلال ورأينا أن جميع اليوميات التي صدرت من بعدها جاءت باللغة الفرنسية وبقي الأمر هكذا عدة سنوات لا تعرف الجزائر إلا يومية واحدة بالعربية دون أن يثير هذا الوضع قلق المسؤولين ولا احتجاج القراء نظراً للوضعية الشاذة التي كانت تعرفها الجزائر في تلك الفترة من حياتها ، فكانت الأغلبية الساحقة من القراء يقرؤون باللغة الفرنسية التي كانت كذلك لغة التعامل الإداري وجميع النشاطات في البلاد ، وكان عدم رواج جريدة الشعب يظهر من الأمور الطبيعية التي يفرضها الواقع .

واستمر الحال على هذه الصفة حتى بداية السبعينات عندما بدأت المدرسة الجزائرية تدفع بخريجيها الذين يحسنون القراءة بالعربية وعندما بدأت كذلك تطرح قضية التعريب كمشكل سياسي يفرض تغيير سيطرة اللغة الفرنسية في الميدان الثقافي والاعلامي ، فكان لابد حينئذ من اتخاذ بعض الاجراءات تتجاوب مع هذا الوضع الجديد فعربت أولاً الجريدة المصورة في التلفزيون سنة 1970 . ثم عربت جريدة «النصر» بقسنطينة سنة 1972 ، وبعدها جريدة «الجمهورية» بوهران سنة 1976 ، كما تقرر تعريب الاشهار من قبل أي في سنة 1974 .

وجاء تعريب اليوميتين الجهويتين تدريجياً فبالنسبة لجريدة «النصر» استغرقت عملية التعريب ستة أشهر بدأت في جويلية 1971 بصفحة واحدة واستمر التعريب صفحة بعد صفحة حتى تمت العملية في بداية جانفي 1972 وظهر العدد الأول المعرب تماماً في 3 جانفي 1972 وهكذا عرفت جريدة «النصر» فترة من حياتها ظهرت فيها مزدوجة بعد ان كانت مفرنسة .

أما بالنسبة لجريدة «الجمهورية» فان العملية بدأت في شهر جانفي سنة 1976 بتعريب صفحة واحدة منها ثم استمرت العملية سنة كاملة عربت فيها ست صفحات وبقيت أربعة منها تظهر بالفرنسية ، وتمت العملية بعد بداية سنة 1977 حيث ظهر العدد الأول معرباً بصفة كلية في فاتح جانفي 1977 .

ولقد كانت عمليةالتعريب هذه شاقة نوعاً ما من حيث توفير الامكانيات البشرية لهذه اليوميات نظراً لقلتها في ذلك الوقت فلقد صدرت جريدة «النصر» مثلاً في سنواتها الأولى من التعريب من طرف صحافيين ليست لهم خبرة في ميدان التحرير الاعلامي وكان الكثير منهم لم يتم بعد دراسته بالمدرسة الوطنية العليا للصحافة ، وسواء جريدة «النصر» أو جريدة «الجمهورية» ، لم يكن المظهر الذي ظهرت به في أعدادها الأولى بمظهر شيق ولهذا لم تجد رواجاً كبيراً فلقد انخفض توزيع «النصر» من 20.000 ألف سنخة سنة 1970 الى 11.000 ألف نسخة سنة 1972 و1973 وبدأ يرتفع سنة 1975 حيث بلغ 17.000 ألف نسخة ، كما أن توزيع «الجمهورية» انخفض من 23.000 ألف نسخة في بداية سنة 1976 الى 7.000 آلاف نسخة سنة 1977 وبدأ التوزيع يرتفع سنة 1979 حيث بلغ 14.000 ألف نسخة .

ولقد اهتمت الحكومة الجزائرية بهذه العملية وقدمت للجريدتين دعماً مالياً كبيراً لمواصلة العملية ونجاحها ، وبذلك استطاعت الجريدتان أن تستمرا وان تثبتا الى اليوم في مظهريها الجديد ، وبذلك أصبح عدد اليوميات التي تظهر بالعربية ثلاث في حين لم تبق تظهر بالفرنسية إلا يومية واحدة وهي جريدة «المجاهد» التي كان حجم سحبها يطغى على الصحافة المكتوبة كما أشرنا الى ذلك في بداية هذه المرحلة .

3) **توزيع الصحافة** : تمثل نوعية توزيع الصحافة أهم المشاكل التي تعاني منها الصحافة في الجزائر ، فلقد كانت سيئة منذ البداية لأن شبكة التوزيع الموجودة كانت قد وضعتها السلطات الاستعمارية قبل الاستقلال حسب احتياجات الجالية الفرنسية التي كانت موجودة والتي كانت تسكن المدن الكبرى والقرى الصغيرة التي أنشأتها السياسية الاستعمارية في الجزائر ، فكان توزيع الصحافة يرمي الى ايصال الصحف الى هذه الجالية دون اعتبار وجود مسلمين في المناطق الريفية والجبلية والصحراوية ، فكان التوزيع يتبع خطاً معروفاً ، جزء منه يتجه نحو الشرق وجزء يتجه نحو الغرب وخطاً صغيراً يذهب الى الجنوب ، وعندما جاء الاستقلال وبقيت هذه الشبكة على هذه الصفة فلم يضف إليها خطوط جديدة ، ومع تجميد الصحافة في المرحلة الثانية لم يظهر الإعتناء بتحسين

هذه الشبكة إلا مع بداية سنة 1977 ، ففي سنة 1976 ، كانت شبكة التوزيع تغطي فقط 280 بلدية من بين 704 بلدية الموجودة في الجزائر ، وهي نسبة ضعيفة جداً ، ثم في سنة 1977 بدأ الوضع يتغير ، ففتحت محلات جديدة للبيع في عدد كبير من البلديات ، بلغ عددها 1182 محلاً موزعة على 578 بلدية ، وبذلك أصبحت شبكة التوزيع تغطي أكثر من نصف البلديات الموجودة في الجزائر ، وتواصلت الجهود كذلك في سنة 1978 و 1979 وقد أدى هذا الجهد الى ارتفاع متزايد في مبيعات اليوميات ، وهناك أرقام توضح لنا ذلك ، ففي سنة 1969 ، كان مجموع السحب الذي تقوم به اليوميات الجزائرية يبلغ 155.100 نسخة ، وبعد تسع سنوات أي في سنة 1975 لم يرتفع هذا السحب إلا بحوالي 70.000 نسخة ، بمعنى أنه بلغ في هذه السنة 227.500 نسخة في حين أن ارتفاع السحب - بعد التحسين الذي أدخل في شبكة التوزيع - وصل سنة 1980 يعني بعد خمس سنوات - وهي فترة صغيرة بالنسبة للفترة الأولى - الى 430.000 نسخة زيادة بـ 170.000 نسخة ، فكان لتحسين شبكة التوزيع أثر ايجابي على سحب الصحف وبالتالي على مبيعاتها وهذا يدل من جهة أخرى على أن عدد القراء في ارتفاع مستمر بقدر ارتفاع عدد السكان وانخفاض نسبة الأمية التي لا تتجاوز اليوم 50٪ .

ومشكلة التوزيع تطرح مشكلة أخرى لم نتعرض لها من قبل وهي قضية توزيع الصحافة الأجنبية في الجزائر ، فلقد عرفت في هذه المرحلة تحولاً كبيراً لابد من الإشارة إليه ، والظاهرة أن توزيع الصحافة الأجنبية في الجزائر كان يطغى على الصحافة الوطنية منذ الاستقلال .

ففي سنة 1968 حذفت من التوزيع بعض الصحف التي كانت تحمل رسالة استعمارية وعنصرية ، وفي سنة 1975 تقرر خفض حجم توزيع هذه الصحافة من ناحية عدد الصحف ومن ناحية عدد النسخ ، فانخفض عدد الصحف من 291 الى 261 وانخفض عدد النسخ من 433.384 نسخة الى 324.042 نسخة ، والملاحظة أن هذه الأرقام تدل على أن عدد النسخ من الصحافة الأجنبية الموزعة في الجزائر كان يفوق بكثير عدد النسخ من الصحافة الوطنية من 1962 حتى سنة 1975 في هذه الفترة أصبح هناك نوع من التوازن بينهما ، وأنها لظاهرة غريبة حقاً .

هذه هي وضعية الصحافة المكتوبة في هذه المرحلة ، فهي كما رأيناه لم تعرف ازدهاراً يذكر - وان كان ارتفاع السحب لم ينفك في ازدياد فانها قد جمدت في صالح الاذاعة والتلفزيون وأصبحت رسالتها الاعلامية ضعيفة وقليلة المصداقية رغم التطورات الكبيرة التي حدثت في المجتمع من الناحية الاقتصادية والثقافية .

المرحلة الثالثة : التطور الراهن

تبتديء هذه الرحلة بحدث سياسي هام وهو انعقاد المؤتمر الرابع[1] لجبهة التحرير الوطني وأهميته تكمن في كونه ينعقد بعد خمس عشرة سنة من انعقاد المؤتمر الثالث وفي كونه كذلك يوافق لأول مرة على لائحة خاصة بالاعلام ، مما يجعلنا نستنتج ان المشكل الاعلامي أصبح من المشاكل الكبرى التي تعاني منها الجزائر ومن اهتمامات القيادة السياسية في البلاد بعد أن عرف نوعاً من الاهمال في المرحلة الثانية .

واذا أردنا أن نشخص هذا المشكل فاننا نقول انه أصبح من اختصاصات السلطة السياسية بعد أن أصبحت الحكومة والحزب يهيمنان بصفة كلية على هذا الميدان وبعد أن أصبح الاعلام محتكراً من طرف الدولة ولهذا فاننا سنتطرق الى هذا الموضوع في هذه المرحلة من موقف السلطة السياسية وسوف نرى كيف حاولت هذه السلطة أن تحرك هذا القطاع بعد أن عرف جموداً استمر أكثر من خمس عشرة سنة ، ولعل أحسن طريقة لدراسة هذا الجانب هو أن ننطلق من ثلاث نقط رئيسية وهي : الوضع القانوني للاعلام ، توزيع الصحافة المكتوبة ، نوعية الرسالة الاعلامية .

1) **الوضع القانوني** : عرفت هذه المرحلة نشاطاً كبيراً في توضيح الوضع القانوني للاعلام ، فان السلطة السياسية أصدرت ثلاثة نصوص يمكن اعتبارها كقاعدة أساسية للنشاط الاعلامي في الجزائر ، ففي جانفي 1979 وافق المؤتمر الرابع على لائحة خاصة بالاعلام كما أشرنا الى ذلك وفي سنة 1982 ظهر قانون الاعلام ثم في جوان من نفس السنة خصصت دورة من اللجنة المركزية لحزب

(1) انعقد المؤتمر الرابع لحزب جبهة التحرير الوطني من 27 الى 31 جانفي 1979 .

جبهة التحرير الوطني للسياسة الاعلامية ووافقت على تقرير شامل يحدد هذه السياسة ، فهذه النصوص الثلاثة توضح الوضع القانوني للاعلام ويمكن تلخيص هذا الوضع الجديد في التوجيهات الكبرى التالية .

- يعتبر الإعلام قطاعاً استراتيجياً له مساس بالسيادة الوطنية .

- إلغاء الملكية الخاصة للوسائل الاعلامية ، وفي الحقيقة فان قانون الاعلام يفرق بين نوعين من الوسائل الاعلامية ، فالنوع الاول خاص بالوسائل التي تنشر الأخبار العامة مثل اليوميات والأسبوعيات وهذا النوع ملك للدولة تحتكره بصفة كلية ، والنوع الثاني خاص بالدوريات المتخصصة وهنا يمكن وجود ملكية خاصة بعد الحصول على رخصة من طرف الوزارة المختصة ، ولكن هذه التفرقة لم تدخل في حيز التنفيذ بصفة مطردة نظراً للتقاليد الموجودة منذ المرحلة الثانية .

- توحيد التوجيه السياسي في الميدان الاعلامي موكل لحزب جبهة التحرير الوطني ، ولكن طريقة التوحيد لم تحدد الى الآن نظراً لوضعية المؤسسات الاعلامية التي هي تحت وصاية الحكومة ، ولعل اصدار يومية من طرف الحزب يعطي لهذه القاعدة نوعاً من التجسيد !.

- إعطاء الصيغة الثقافية للمؤسسات الاعلامية عوضاً عن الطابع الصناعي والتجاري الذي تتمتع به المؤسسات الاعلامية حالياً ولكن هذه الصبغة الثقافية لم تحدد الى اليوم وما زالت المؤسسات الاعلامية تخضع للنمط الذي كانت تسير عليه من قبل .

- تحديد حقوق وواجبات الصحافيين بصفة أدق من ذي قبل مع التأكيد على أن للصحافي الحق في الاتصال بمصادر المعلومات والاطلاع عليها تحت رعاية السلطات وحمايتهم أثناء القيام بمهامهم الصحفية ، وعلى الصحافي أن يتحرى الصدق ويتجنب الكذب والتزوير والغش وأن لا يستعمل وظيفته لأغراض شخصية ، وتريد هذه النصوص أن تفسح المجال أمام الصحافيين بكل حرية وموضوعية كما سنشرحه من بعد .

- تلح هذه النصوص على أن الاعلام حق للمواطن يجب أن يتمتع به كما له الحق في المدرسة والحق في العمل مثلاً ، وهذه القاعدة تثبت نظرة جديدة للوضع الاعلامي لم يكن العمل جارياً به من قبل ومعنى «حق المواطن في الاعلام» هو

أن تقوم وسائل الاعلام باشعاره بكل ما يجري في البلاد سواء كان سلبياً أو ايجابياً ، وفي الظروف التي كانت تعيشها الجزائر فان تطبيق هذا الحق يثير كثيراً من المشاكل لم نتوصل بعد الى التغلب عليها كما سنشرحه من بعد .

هذه هي الخطوط العريضة التي يمكن استخراجها من الوضع القانوني الجديد للاعلام ، فهي وان كانت في الغالب نظرية لم تدخل في حيز التطبيق ، جديرة بان تخلق ديناميكية جديدة تدفع بالاعلام والصحافة المكتوبة الى التقدم والتطور نحو ممارسة تمكن الوسائل الاعلامية من القيام بمهامها الاعلامية .

2) **تنويع الصحافة المكتوبة :** وضعت اللائحة الاعلامية التي وافق عليها المؤتمر الرابع لحزب جبهة التحرير الوطني برنامج عمل لتحسين وضعية الاعلام من الناحية المادية ومن الناحية النوعية ولقد بدأ التطبيق في هذا البرنامج بحيث جهزت اليوميات الموجودة بأجهزة عصرية ملائمة مع تطويرها فقدمت سندات مالية لجريدة «المجاهد» بالفرنسية لشراء أوفسيت كبيرة تمكنه من طبع أكثر من 100.000 نسخة في الساعة ، وكانت الجريدة من قبل تعاني كثيراً من الأجهزة القديمة ، كما أن جريدة الشعب تحصلت على اعانة مكنتها من تغيير مقرها الى عمارة حديثة وواسعة تتوفر على جميع الأجهزة التي تمكنها من مسايرة التطوير ، وكذلك الأمر بالنسبة لليوميات الأخرى .

ولكن المهم في هذا البرنامج هو التأكيد على ضرورة تنويع الصحافة المكتوبة باصدار صحف جهوية وصحف متخصصة حتى تخلق حركية جديدة تدخل نفساً جديداً على الوضع الاعلامي للصحافة المكتوبة ولكن هذا البرنامج مازال في طور التطبيق ، فلقد تحقق منه بعض الشيء خاص باصدار يوميتين مسائيتين «المساء» باللغة العربية و«أوريزون» باللغة الفرنسية سنة 1985 ، وكذلك باصدار بعض الصحف المخصصة مثل «المسار المغربي» بالفرنسية وبالعربية في الثقافة العامة وبعض المجلات الأخرى المختصة في الاقتصاد وفي الرياضة ، ويعتبر هذا النشاط ذا مغزى كبير بالمقارنة مع الركود الذي كان سائداً من قبل وقد أحدث نوعاً من الحيوية خصوصاً بالنسبة للمسائيتين اللتين وجدتا رواجاً ملحوظاً عند القراء مما يدل على أنه كان يوجد فراغ من قبل ، وقد نشأ نوع من التنافس بين اليوميات

الصباحية واليوميات المسائية أحدث تطوراً نوعياً في الصحافة المكتوبة لفائدة الاعلام والقراء .

ولكن يبقى هذا التحقيق كخطوة أولى لابد أن تتبعها خطوات أخرى لنملأ الفراغ الموجود في هذا الميدان والذي بدأ يظهر بعد أن تغير الوضع الثقافي والاجتماعي في الجزائر ، فقلد أصبحت الأمية اليوم تمس أقل من نصف سكان الجزائر بعد أن كانت تبلغ 70٪ أو أكثر ومعنى هذا أن عدداً من الجزائريين يبلغ اثنى عشر مليوناً من المواطنين يعرفون القراءة والكتابة وبالتالي يستطيعون قراءة الصحافة المكتوبة ، وهذا العدد يكون سوقاً واسعة يمكن أن تستفيد منه هذه الصحافة وفي نفس الوقت يخلق احتياجاً لابد من الاعتناء به ، واضافة الى هذا فان ارتفاع المعيشة وتوسيع شبكات المواصلات قرب بصفة جذرية بين الصحافة المكتوبة والمواطنين مما جعل المنافسة بينها وبين الوسائل السمعية البصرية تقل لفائدتها ان كان الاعتناء بها حقيقياً .

وعلى هذا فان الصحافة المكتوبة تجد اليوم أمامها مجالاً واسعاً للنشاط ولقد تبدو الضرورية بالاعتناء بالصحافة الجهوية والمحلية ملحة نظراً لوجود فراغ رهيب في هذا الميدان ، فالصحف اليوميات الموجودة اليوم - بما فيها تلك التي تصدر بقسنطينة ووهران - لا تهتم بالأخبار الجهوية والمحلية بحيث يبقى المواطن الذي يعيش في جيجل مثلاً أو تبسة أو في مغنية أو في غرداية دائماً على سبيل المثال يجهل تماماً ما يجري في مدينته وفي ناحيته رغم النشاط الموجود فيها ومن الملاحظ أن الاذاعة والتلفزيون - خاصة - أدخلت تغييراً كبيراً في العلاقات بين الناس داخل هذه القرى والمدن الصغيرة بحيث أصبح الانعزال أكثر والأنانية أعظم ، ولعل وجود الصحافة المكتوبة المحلية يخفف من هذه الآفات الاجتماعية .

3) نوعية الرسالة الاعلامية : والحقيقة أن سر تطور الصحافة المكتوبة لا يكمن في كثرتها - وان كانت الكثرة تدل على صحتها - ولكنه يكمن في نوعية الرسالة التي تحملها وفي العلاقة التي تنشأبينها وبين قرائها وتربط بينهما بالود والاخلاص والاحترام المتبادل وهو ما يعبر عنه بمصداقية الصحافة ، ولقد رأينا في المرحلة الثانية أن الصحافة المكتوبة فقدت جزءاً كبيراً من مصداقيتها ولقد اشارت لائحة المؤتمر الرابع وتقرير اللجنة المركزية حول الاعلام الى هذه الظاهرة

السلبية ، كما أنها أشارت كذلك الى علاجها وهو ما عرفته «باقامة اعلام موضوعي» ومعنى هذا أن يكون هناك نوع من الثقة بين الصحافة المكتوبة وقراءها بحيث تقوم باعلامها بكل ما يحدث أولاً وقبل كل شيء ولها الحق بعد ذلك في التعليق على الأحداث وشرحها وتبرير السلبيات .

ولقد بدأت بعض التغييرات في هذا الاتجاه تظهر في السنوات الأخيرة بحيث أصبحت اليوميات تخبر قراءها ببعض الأحداث التي لو وقعت في المرحلة الثانية لا خفيت ولسكتت عنها الصحافة حتى تظهر مزيفة في صيغة «الشائعات» مثل ما وقع عند سقوط مدرج ملعب 20 أوت بالعاصمة .

ولكن هذه الممارسة صعبة نوعاً ما نظراً للتقاليد الموجودة وتتطلب من الصحافي النزاهة والقدرة على التمييز بين ما ينبغي نشره وما لا ينبغي نشره ، كما تتطلب من المواطنين سواء كانوا مسؤولين أم لا أن تكون لهم الشجاعة لتحمل النقد النزيه والاعتراف بالغلطة أن كانت والرد بكل نزاهة على ما يبدو غير صحيح أو مزيف[1] .

والرسالة الحقيقية للاعلام وخاصة الصحافة المكتوبة هو تزويد القارئ والمواطنين بالمعلومات الكافية حول ما يجري في الوطن والعالم حتى يتمكنوا من الحكم على الأحداث وحتى يكون لهم موقف شخصي من هذه الأحداث ، وبذلك يتكون مواطن مسؤول يشعر حقيقة بمسؤوليته ، وبذلك تكون مشاركته في جميع الميادين فعالة وايجابية ، والقرآن الكريم يقول : ﴿لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ ، والنظرية الحديثة تثبت أن الاعلام يلعب دوراً أساسياً في التنمية لقدرته على توزيع المعلومات بسرعة ، أكثر ما تفعله المدرسة ، فالاعلام يعجل بالتنمية على شرط أن يخلق بينه وبين المواطن ثقة متبادلة .

(1) وهو ما يؤكده «حق الرد» الممنوح لجميع المواطنين .

2 - الإذاعة والتلفزة في الجزائر[1]

1 - قبــل 1962 :

ظهرت الإذاعة في الجزائر تقريباً مع ظهورها في فرنسا يعني في أواخر العشرينات من القرن العشرين وكانت من بدايتها تابعة للحكومة الفرنسية تحت الإشراف الفني لوزارة البريد ، وبقيت الإذاعة الفرنسية في الجزائر تابعة لهذه الوزارة حتى سنة 1945 رغم الدور الذي لعبته هذه الإذاعة أثناء الحرب العالمية الثانية ووجود الحكومة المؤقتة الفرنسية بمدينة الجزائر ، ولكن أثناء هذه الفترة الاستثنائية أصبح الإشراف السياسي موزعاً بين الحاكم العام للجزائر الذي أسندت إليه مراقبة الحصص الموجهة للجزائريين المسلمين والحكومة المؤقتة الفرنسية التي كانت تشرف على الحصص الموجهة لفرنسا والأوروبيين بصفة عامة .

وفي سنة 1945 ادمجت الإذاعة الجزائرية بالاذاعة الفرنسية التي كان يشرف عليها رئيس الحكومة وادارة مستقلة لشؤون التسيير والشؤون الفنية غير أنه أعطيت بعض الامتيازات الخاصة للحاكم العام الذي أصبح يترأس مجلسا يدعى باللجنة الجزائرية للاذاعة تتكون من ستة أعضاء من المجلس الجزائري (3 مسلمون و 3 أوروبيون) وستة شخصيات لها اهتمام بشؤون الإذاعة وستة ممثلين عن الموظفين والعمال التابعين للإذاعة ..

والحقيقة أن الإذاعة الجزائرية لم يكن لها رواج كبير إلا بعد سنة 1943 عندما بدأت تبث باللغة العربية ولم تكن من قبل تبث إلا باللغة الفرنسية ولم يكن يسمعها إلا العدد القليل من الفرنسيين الذين كانت تتجه إليهم ومعهم عدد قليل من المسلمين الذين كانوا يفهمون اللغة الفرنسية ، ونظراً لأهمية الإذاعة في

---

(1) أخذ هذا النص من كتاب «تاريخ الإذاعة والتلفزيون» نشر ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر 1986 .

التأثير وفي نشر المعلومات الخاصة بالنشاط السياسي للحكومة الفرنسية في الجزائر فان السلطات الفرنسية بذلت جهداً للاتصال بالجزائريين الذين لا يفهمون اللغة الفرنسية وهكذا أنشأت في سنة 1943 قناة باللغة العربية خصصت لها ستديو مستقلاً لأنجاز البرامج باللغة العربية ثم أنشأت كذلك قناة أخرى في سنة 1948 بدأت تبث باللغة القبائلية وجهزت لها ستديو خاصاً بها كذلك .

وعلى هذا يعتبر سنة 1948 السنة الحقيقية لإنطلاق شامل للإذاعة الجزائرية إذ زيادة على إنشاء القنوات الجديدة فان السلطات الفرنسية ضعفت من ستديوهات اعداد البرامج في مختلف المدن الجزائرية مثل قسنطينة ووهران وبجاية كما أدخلت اصلاحات تقنية على محطات الإرسال والإكثار من محطات الربط في عدة مدن جزائرية ، بحيث أصبحت قوة الإرسال الإجمالية تصل الى 322 كيلوهات في سنة 1954 في حين لم تكن إلا 25 كيلوهات في سنة 1946 وكانت الإذاعة تبث على الموجة المتوسطة والقصيرة .

وبهذا تضاعف عدد المستمعين فكان يقدر في سنة 1956 بـ 358,000 مستمعاً من بينهم 157,000 مسلم و 231,000 غير مسلم في حين لم يكن يقدر في سنة 1948 إلا بـ 155,059 مستمع أغلبهم غير مسلمين ولم يكن يتجاوز عدد السلمين عشرة آلاف ، والحقيقة أن انتشار استعمال الإذاعة كان مرهوناً بوجود الكهرباء التي لم تكن تصل الى الأرياف والبادية حيث توجد الجماهير الإسلامية زيادة على أن الإذاعة الجزائرية كانت تصل ضعيفة جداً الى بعض النواحي البعيدة من مراكز الإرسال أو من محطات الربط . وكانت البرامج العربية تتكون من النشرات الإخبارية ومن بعض الربورتاجات ومن الموسيقى (48,5٪) من مجموع البرامج ومن مسرحيات وحصص ثقافية ودينية (24,5٪) بالنسبة لسنة 1953 .

أما التلفزة فانها لم تبدأ في البث في الجزائر إلا في 24 ديسمبر 1956 وكانت ضعيفة جداً لها محطة إرسال توجد برأس تمنتفوت (ماتيفو) على بعد 20 كلم من مدينة الجزائر وكانت قوة الجهاز تقدر بـ 3 كيلوهات في البداية ثم وصلت الى 20 كيلوهات سنة 1957 ولم تكن تشاهد إلا في مدينة الجزائر وضواحيها القريبة وكانت تبث 31 ساعة في الأسبوع باللغتين العربية والفرنسية ولنفس الصورة ،

وكان المشاهد يختار اللغة التي يريدها بواسطة جهاز وضع داخل كل جهاز استقبال ولم تتطور التلفزة في الجزائر إلا بعد الاستقلال .

2 - بعد 1962 :

في سنة 1962 ورثت الجزائر شبكة للراديو تسمع في المدن الكبرى والمتوسطة ومحطة للتلفزة في طور الإنشاء كما ورثت وضعية قانونية لهذه الوسيلة الإعلامية تتلاءم مع النظام الاشتراكي الجديد وهو احتكار الدولة لها وتسييرها ومراقبتها من طرف الدولة فلم تجد الجزائر اذ بد من مواصلة التنظيم القائم مع ادخال مقاييس أخرى في المراقبة .

وزيادة على هذا فلابد من الإشارة الى طرفين آخرين كانا لهما أثر في توجيه السياسة الجزائرية في ميدان الإعلام .

1 - صادف استقلال الجزائر استعمال راديو ترانزستور من جهة وانتشار التلفزيون في العالم العربي من جهة أخرى فأصبح الاهتمام بهذه التقنيات من الضرورات الظرفية التي لابد من الاعتناء بها وكان ذلك ما فعلت السلطات الجزائرية .

2 - والظرف الثاني هو الواقع الجزائري الموروث والمتميز بوجود نسبة كبيرة من الأمية تقرب من 80 في المائة وهذا يعني أن هذه النسبة الكبيرة من السكان لا تحسن القراءة ولا تستطيع مطالعة الصحف ولا يتمكن حينئذ للسلطات الاتصال بها إلا بالوسائل الشفوية يعني بالدرجة الأولى الإذاعة والتلفزيون ريثما يتحقق التغلب على الأمية .

فغداة الاستقلال اذا ، وخصوصاً ابتداء من سنة 1966 بذلت السلطات الجزائرية جهوداً كبيرة لتقوية الإذاعة والتلفزيون وتمركزت هذه الجهود حول ثلاثة ميادين : زيادة كبيرة في المنحة التي تعطيها الحكومة للاذاعة والتلفزيون توسيع شبكات الإرسال وتقويتها - توفير أجهزة الاستقبال .

1 - المنحة الحكومية : لقد كانت الميزانية المخصصة للثقافة والاعلام ، بعد الاستقلال ، ضعيفة جداً ولم تبدأ تتحسن إلا بعد سنة 1966 ، عبر أن النسبة المأوية من هذه الميزانية المخصصة للإذاعة والتلفزيون كانت دائماً مرتفعة ، من

1962 الى 1966 لم تنزل عن مستوى 50٪ ثم بدأت تزداد ويكبر الفرق بينها وبين باقي الميزانية المخصصة للوسائل الإعلامية الأخرى ، ففي سنة 1974 بلغت اعانة الدولة للراديو والتلفزيون 70٪ من مجموع الإعانة الحكومية للإعلام ثم وصلت سنة 1978 الى 79٪ وهذه النسبة تعبر عن مبلغ يقدر بـ 159 مليون دينار وهذا المبلغ يعد ضخماً ويظهر ذلك جلياً عندما نقارنه بمبلغ الإعانة المخصصة للصحافة المكتوبة الذي كان يقدر في نفس السنة بـ 7 ملايين و350 ألف دينار فقط .

في الحقيقة كان هذا الارتفاع مقروناً باجراء اتخذته الحكومة الجزائرية منذ سنة 1968 وهو إلغاء ضريبة الراديو بحيث حرمت هذه المؤسسة من دخل مالي كبير وقد أعيدت هذه الضريبة سنة 1980 ولكن لا تدفع مباشرة الى الراديو وانما تدفع الى شركة الكهرباء والغاز فتبقى الاعانة الحكومية المورد الوحيد لمؤسسة الراديو والتلفزيون وهي كما رأينا مرتفعة جداً ويوظف أغلبها في توسيع شبكات الإرسال .

2 - **توسيع شبكات الإرسال :** عاشت شبكات الإرسال في نفس الوضع الذي وجدته الجزائر عند الاستقلال حتى سنة 1966 . ففي هذه السنة أنشأت محطتان جديدتان للإرسال ، الأولى بعين البيضاء قرب قسنطينة والثانية قرب وهران وكانت هاتان المحطتان تذيعان على الموجة المتوسطة بقوة 300 كيلوهات وفي سنة 1968 ارتفعت هذه القوة الى 600 كيلوهات بحيث أصبحت الراديو تسمع بصفة مرضية في جميع مناطق شمال البلاد وفي سنة 1970 أنشأت محطة على الموجة الطويلة قوتها 100 كيلوهات ومحطة أخرى على الموجة القصيرة مجهزة بأجهزة إرسال عديدة تتفاوت قوتها من 5 الى 100 كيلوهات . وبهذا أصبحت شبكات الإرسال الإذاعي تغطي جميع التراب الجزائري رغم اتساعه وفي جميع الموجات وان كانت بعض الجهات لا تسمع فيها الاذاعة الجزائرية إلا بالليل . ففي سنة 1978 98٪ من التراب الوطني تغطيه الإذاعة الجزائرية نهاراً و 100٪ ليلاً . كما أن هذه الإذاعة أصبحت تسمع في الخارج خصوصاً من طرف المهاجرين ، وانها تشتغل 24 ساعة على 24 وما زالت تذيع على قنوات ثلاثة : الأولى باللغة الوطنية والثانية باللغة القبائلية والثالثة باللغات الأجنبية .

وأما شبكات الإرسال التلفزيوني فقد بدأت هي بدورها تتوسع سنة 1968 .

في هذه السنة أنشأت دار للإذاعة والتلفزيون بقسنطينة وفي سنة 1970 أنشأت دار أخرى مماثلة بوهران وابتداء من هذه السنة أنشأت عدة محطات للربط في مختلف أنحاء البلاد بحيث أصبحت التلفزيون الجزائري تغطي جميع التراب الوطني باستثناء بعض النواحي النائية في الجنوب أو الصعبة في الشمال وفي سنة 1980 كان 96٪ من التراب الوطني تصل إليه برامج التلفزة انطلاقاً من محطات الإرسال بالعاصمة وقسنطينة ووهران .

3 - **توفير أجهزة الاستقبال :** لقد وفرت الحكومة الجزائرية عدداً كبيراً من أجهزة الراديو خصوصاً نوع ترانزيستور ، ابتداء من سنة 1962 وما زال هذا العدد يرتفع حتى وصل سنة 1976 الى ثلاثة ملايين وفي سنة 1982 الى خمسة ملايين يعني جهاز واحد لأربعة أشخاص أو جهازين لكل مسكن تسكنه عائلة واحدة أو أكثر .

أما أجهزة التلفزيون فكان توفيرها أصعب فحتى سنة 1970 كان عدد المشاهدين قليلاً ثم استطاعت الحكومة أن تشجع اقتناء هذا الجهاز بخفض أسعاره رغم أنه كان مستورداً ، أما بعد توسيع شبكات الإرسال واقبال الناس على اقتناء هذا الجهاز فانه أصبح قليل الوجود في السوق ولكن ابتداء من سنة 1980 بدأت الجزائر تنتج هذا الجهاز وأصبح في سنة 1983 موجوداً في السوق .

ولقد ارتفع عدد الأجهزة المشتغلة من 70,000 سنة 1968 الى 160,000 سنة 1971 ووصل سنة 1980 الى 720,000 ويقدر اليوم في سنة 1984 بأكثر من مليون جهاز يعني جهاز واحد لعشرين ساكن أو تقريباً جهاز واحد لمسكنين ونصف . وهذا معناه أن النصف من سكان الجزائر يستطيعون مشاهدة التلفزيون .

ومن جهة أخرى فان تعريب التلفزيون بدأ شيئاً فشيئاً من سنة 1972 فعربت البرامج الرياضية والثقافية كما عربت النشرة الاخبارية الاساسية التي تذاع على الساعة الثامنة وبدأ التقليص من الأفلام الوثائقية أو التربوية باللغة الفرنسية غير أن بعض البرامج مازالت غير معربة كالأفلام الطويلة . في سنة 1976 كانت التلفزيون تشتغل ستة ساعات ونصف في اليوم منها 69٪ باللغة الوطنية و31٪

باللغة الفرنسية وما زال هذا المقدار معمولاً به حتى سنة 1984 مع زيادة أو نقصان طفيف في عدد الساعات .

ويعتبر التلفزيون من أكبر وسائل التأثير في الجزائر وهي تلعب دوراً هاما في هذا الميدان ، وما زالت الحكومة تبذل مجهوداً كبيراً لتوفير أجهزتها للجمهور من جهة وإيصال الكهرباء للقرى المنعزلة من جهة أخرى حتى يتمكن الجميع من مشاهدة التلفزيون ، بكل سهولة وفي عقر بيتهم دون اللجوء الى المشاهدة العمومية في المقاهي والنوادي التي تستعمل البطريانت لتوليد الكهرباء .

وتبقى المشكلة الكبرى المطروحة هي تحسين مستوى البرامج وإنتاج الكثير منها في الوطن وفتح قنوات أخرى خصوصاً في التلفزيون حتى يتمكن المشاهد من اختيار البرنامج الذي يليق به .

الفصل الثاني : دراسات جزئية

1 - دور الإعلام الإقتصادي الوطني في التنمية[1]

بدأ الإعلام الإقتصادي يبرز في النشاط الوطني ويتبوأ المكانة الأولى في اهتمام المسؤولين ويتجلى دوره في التنمية ويؤثر عليها ويصبح شرطاً أساسياً في تطويرها .

ونظراً لهذه الأهمية يجدر بالمفكرين والإقتصاديين أن يعطوا له العناية الكافية لدراسة جميع أبعاده ويتأملوا في ماهيته حتى يتعرفوا عليه ويسيطروا عليه سيطرة كاملة .

ولابد أن نشير في البداية الى أن موضوع الاعلام الإقتصادي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالاقتصاد أكثر من ارتباطه بالاعلام في مفهومه العام فالعناصر التي يعتمد عليها الإعلام الإقتصادي والتي يركز عليها هي في جوهرها تدخل في النشاط الإقتصادي وليس لها علاقة بالإعلام العام إلا من حيث المدلول اللفظي للكلمة ، فمفهوم الإعلام هو نقل الخبر من جهة الى أخرى وهذا المفهوم يحتوي عليه كذلك الإعلام الإقتصادي ولكن الإعلام الإقتصادي يختلف عن الإعلام العام في معالجته للخبر في تخزينه وفي نشره وفي استغلاله وفي ميادين أخرى كثيرة لها علاقة عضوية بالإقتصاد .

وبما أن اختصاص صاحب هذه المحاضرة هو الإعلام العام وليس له إلمام واسع

---

(1) ألقي هذا العرض بمناسبة انعقاد الملتقى حول «الإعلام الإقتصادي والتنمية» الذي نظمه اتحاد الإجتماعيين والإقتصاديين الجزائريين في يومي 13 و 14 مارس سنة 1984 بمدينة الجزائر .

بالدراسات الإقتصادية فانه يعتذر عن التقصير الذي سوف يظهر في هذا العرض ولهذا كذلك فان معالجته للموضوع سوف لا تتطرق الى المشاكل الإقتصادية التي يثيرها هذا الموضوع ، لكنها تقتصر على بعض الجوانب التي لها علاقة بالإعلام العام وبالإعلام الإقتصادي في نفس الوقت .

ونظراً لهذه الحالة ، فان بحثنا يتناول جانبين من الموضوع فقط وهما :

1) مفهوم الإعلام الإقتصادي ودوره في التنمية .

2) الإعلام الإقتصادي وتطوير الإنتاج .

1 - مفهوم الإعلام الإقتصادي :

ان الملاحظة الأولى التي نطرحها بهذا الصدد هي أنه لا يوجد تعريف مطرد للإعلام الإقتصادي ، فرغم الدراسات الكثيرة التي بدأت تظهر في هذا الميدان فان الاهتمام بتعريف هذا العلم غير وارد البتة عند الدارسين ، فالكلام يدور حول الاعلام الإقتصادي دون التعريف به فكأنما كلمة الإقتصاد مضافة الى كلمة الإعلام تخصص هذا الأخير وتعرف به فيكون الإعلام الإقتصادي حينئذ نوعاً من الإعلام العام أو فهو إعلام لكنه خاص بالنشاط الاقتصادي أو له صبغة إقتصادية .

والحقيقة ان هذا التعريف لا يكفي علمياً ، فالاقتصاد بمفهومه العصري يغطي جميع النشاطات في المجتمع ، فليس هناك حركة ، كيف ما كان نوعها ، خالية من الإرتباط بالاقتصاد فالإعلام العام نوع من الإعلام الإقتصادي نظراً لتأثيره على الإقتصاد من جهة ونظراً كذلك لتأثره بالنشاط الإقتصادي من جهة أخرى ، ولسنا نريد هنا أن نثير مشكلة فلسفية قديمة فيما يخص العلاقة بين المادة والروح ، ولكننا نريد أن نلاحظ فقط أن المجتمع العصري متأثر الى درجة كبيرة بالماديات وبالتالي بالاقتصاد ، فحينئذ محاولة تخصيص نوع من الإعلام بأنه اقتصاد لا يكفي للتعريف بهذا النوع . اذا ماذا يقصد بالإعلام الإقتصادي ؟ يجب أن نشير أولاً الى أن الإعلام الإقتصادي يعارض الإعلام السياسي (أو العام) فكل اعلام ليس له علاقة بالسياسة هو اعلام اقتصادي مع العلم ان الاعلام السياسي يشمل كذلك ما نستطيع أن نسميه بالاعلام الثقافي رغم انه لا يوجد هذا الاصطلاح الأخير .

فالإعلام الإقتصادي اذا هو كل خبر ليس له اتصال بالسياسة وعلى هذا تكون له خصائص قد تتعارض مع خصائص الإعلام العام :

1) فالإعلام الإقتصادي لا يشمل على أخبار فحسب ولكنه يضمن معلومات ومعطيات قارة يمكن ويستحسن تخزينها .

2) الإعلام الإقتصادي يستعمل الوسائل الإعلامية المعروفة ولكنه يعتمد على مسائل أخرى خاصة بوظيفته .

3) وظيفة الاعلام الاقتصادي ليست النشر بالدرجة الأولى ولكن التخزين ثم النشر عند الحاجة .

إن المعلومات والمعطيات التي ينقلها الإعلام الإقتصادي لا تسلتزم السرعة في نشرها كما هو الشأن في الإعلام العام ، ففي هذا الأخير الخبر ترتفع قيمته عندما ينشر في الحين وتنخفض قيمته ، بل تكاد تكون مفقودة عندما يصبح قديماً وتزول آنيته أما في الإعلام الإقتصادي فان الخبر لا يفقد قيمته بمر الأيام بل أحياناً ترتفع قيمته بقدر ما تقوى الحاجة إليه ، فالمعلومات الخاصة ببضاعة معينة مثلاً النفط أو الفيديو ، معلومات ذات قيمة في السوق عندما تنشر ولكن هذه المعلومات ترتفع قيمتها عندما يقوى التنافس على هذه البضاعات وتقوى الحاجة الى التعرف على معطيات السوق .

ولهذا كانت الخاصية الأولى للإعلام الإقتصادي أنه يختزن ويحفظ لكي يستعمل ويستغل في كل وقت ولهذا كذلك كان الخبر الإقتصادي خبراً قاراً وأصبحت تطلق عليه كلمة معطية لأن القرار كيفما كان نوعه يرجع إليه قبل إتخاذه .

ونظراً لهذه الخاصية فان الخبر أو المعلومات الإقتصادية لا تنتقل بسرعة بل تبقى محفوظة عند مصدرها ونقلها يخضع لشروط يفرضها المصدر ويلعب فيها السوق دوراً كبيراً ، فالمعلومات الخاصة بشركة وطنية معينة تخص أولاً وقبل كل شيء الشركة نفسها ، عدد العمال بهذه الشركة وتخصصاتهم وتجهيزاتها ومواردها مثلاً ، كل معطيات تحتاج إليها الشركة بصفة دائمة وتأخذها بالاعتبار في كل ما يخص حياتها إيجابياً أو سلبياً فجميع هذه المعلومات بما فيها المعلومات الخارجية التي تحتاج إليها الشركة ، تبقى محفوظة ومخزونة عند الشركة بمعنى عند مصدرها ولكن يمكن نقلها عندما تكون الشركة موضوع دراسة من الخارج سواء للتعامل

معها أو للتعريف بها ، وهٰذا النقل يقوى بالطبع عندما تكون الشركة ناجحة في نشاطها وتقوى الحاجة للتعرف بها وترتفع قيمتها في السوق .

ومن جهة أخرى فان الاحتفاظ بالمعلومات عند مصدر الخبر لا يعني تجميدها بل بالعكس يعني نقلها بصفة مستمرة في داخل المصدر ، فالشركة الوطنية التي لا يتقل فيها الخبر الخاص بها مثل سريان الدم في الجسد تتجمد وتتحجر ولا يمكن أن تتطور ، فالخبر الذي يهم الشركة والمعلومات الخاصة بها يجب أن تكون معروفة عند جميع من يعمل وفي جميع المستويات وحسب هذه المستويات فمثلاً سعر الآلة التي يعمل عليها العامل ، يجب أن يكون معروفاً عند العامل حتى يحافظ عليها أكثر ومعروفاً كذلك عند أصحابه وزملائه حتى يعلم الجميع أن اتلافها وعدم العناية بها قد ينجر عنه نتائج ضارة بالشركة ككل وكذلك المعلومات الخاصة بالمنتوج الذي تنتجه هذه الآلة وبقيمته في السوق وبمعلومات أخرى تخص جوانب أخرى من الشركة ، فنقل المعلومات إذا داخل المصدر أو المؤسسة أمر حيوي بالنسبة لهذه المؤسسة والاحتفاظ به معناه جعله في متناول الجميع .

إن الإعلام الإقتصادي يستعمل غالباً الوسائل الإعلامية الأخرى إضافة الى ما يستلزمه التخزين من وسائل خاصة ، ولكن طبيعة الخبر الإقتصادي تفرض عليه طرقاً تختلف عن الطرق التي يتخذها الإعلام العام ، فنقل المعلومات داخل المؤسسة أو الشركة تستوجب استعمال أجهزة متطورة لتخزين الخبر حتى يسهل استعماله عند الحاجة من جهة وتستوجب استعمال وسائل تكاد تكون بدائية لنقل الخبر من جهة أخرى ، نظراً لنوعية الجمهور ووضعيته .

فعلى مستوى التخزين تمكنت الاكتشافات الحديثة بفضل الإعلام الآلي والإليكترونيك بصفة عامة من تزويد عملية التخزين بأجهزة متطورة الى درجة جعلت من عملية التخزين عملية بسيطة جداً توفر الوقت والمصاريف .

والتخزين الآلي وتطويره مكن الإنسان من معلومات أكثر غزارة وجعل تدفقها يزداد بمر الأيام وبتطوير الأجهزة حتى حدثت بعض المشاكل في استعمال هذه المعلومات هذا بالطبع في البلدان المتقدمة واعتقد أننا في الجزائر لم نصل الى هذه الدرجة بمعنى أن كثرة المعلومات وسهولة تخزينها جعل المهتمين بهذه العملية

والقائمين بها يكثرون مما خلق تشتت الأماكن للتخزين وضرورة البحث عنها ومعرفة وجود هذه المؤسسات الجديدة .

وأما استعمال الوسائل البدائية داخل الشركة فهي كثيرة تشمل الاتصال الفردي والمعلقات والاجتماعات والنشرات الداخلية والصحف والتلفزيون الداخلي الخ .. من الوسائل التي أصبحت متداولة بكثرة لهذا الغرض وهذه الوسائل تسهل نقل الخبر داخل المؤسسة وتجعل كل عضو منها مطلعاً بما يجري داخلها ، الشيء الذي يسير تسييرها ويزيد من إنتاجها .

وعلى أساس ما تقدم نستطيع أن نقول أن الإعلام الإقتصادي يقوم بدورين أساسيين وهما تخزين المعلومات من جهة ونقلها من جهة أخرى ، وإن كان هدف الإعلام الإقتصادي هو نقل الخبر وجعله متداولاً بين المختصين على وجه الخصوص ليرجع بالفائدة على الإقتصاد الوطني والتنمية بصفة عامة ، إلا أن الإعلام الإقتصادي يقصد منه عند المختصين تخزين الخبر الإقتصادي وطرق تخزينه بالدرجة الأولى فبما أن تطوير الإقتصاد والتنمية يتطلب توفير المعلومات بصفة مستمرة فان الاهتمام انكب أولاً وقبل كل شيء على جمع المعلومات وترتيبها ومعالجتها ثم تخزينها بطرق عصرية وأجهزة متطورة حتى يسهل استعمالها عند الحاجة .

والحقيقة أن هذه النقطة تكتسي أهمية كبرى وهي نقطة الضعف في السياسة التنموية التي تسلكها البلدان المتخلفة ، فان القرارات الإقتصادية لا تتخذ إلا بعد الدرس والإمعان في المعطيات المختلفة حول مشكلة معينة أو أمر معين ولابد من توفير هذه المعطيات والمعلومات الأساسية التي يحتاج إليها الدرس والنظر وهذا ما يقوم به الإعلام الإقتصادي بأجهزته المتطورة ، والنقص في هذه الأجهزة والتقصير في توفير هذه المعطيات هو الذي يعرقل التنمية بما يحدثه من التردد والأخطاء في التقديرات واتخاذ القرارات غير الملائمة (وهي ظاهرة منتشرة في البلدان النامية) .

وبهذا نلمس الدور الذي يقوم به الإعلام الإقتصادي في التنمية ، فالتنمية تحتاج الى الوسائل المادية والبشرية وهذا الاحتياج قاعدة أساسية ولكن هذه الوسائل لا يمكن توظيفها بنجاعة إلا اذا استعملت حسب المعطيات الأولية التي يفتقر إليها كل مشروع تنموي ولا يمكن استعمال هذه المعطيات بطرق بدائية اذا كثرت

المشاريع ضمن مخطط مدروس ومنسق فلابد حينئذ من استعمال أجهزة المخ الإليكتروني وما يحتاج إليه الإعلام الإقتصادي ، فالبلد الذي لا يعرف كفاءاته البشرية والذي لا يعرف أماكن توظيف هذه الكفاءات ، والبلد الذي لا يعرف ثوراته الوطنية ولا يعرف قيمة هذه الثروات ، فان هذا البلد لا يستطيع أن يضع مخططاً لتنميته بصفة ناجعة حتى ولو أكثر من نفقاته وكذلك المؤسسة - كيفما كان نوعها - لا تستطيع أن تتوسع ولا أن تنمي إنتاجها اذا لم تتقن بمعرفة محيطها الذي أنشئت من أجله واذا لم توفر لنفسها المعلومات الضرورية بترتيبها وتخزينها بطرق وأجهزة عصرية .

2 - الإعلام الإقتصادي وتطوير الإنتاج :

إن الإعلام الإقتصادي مرتبط بالمشاريع التنموية حسب مستويين قبل الاستعمال وبعد الاستعمال .

1) قبل الإستعمال : هناك مصالح كثيرة تهتم بالاعلام الإقتصادي ويمكن تصنيفها الى نوعين : مصالح إدارية ومصالح اقتصادية محضة يعني تنتج إنتاجاً يستهلك باستمرار ، فكيفما كانت المصلحة ومهما كان نوعها فان نشاطها متوقف (بصفة معقولة) على حصيلة معلوماتها ، وهذه الحصيلة عبارة من عمليات مختلفة تجتاز مراحل كثيرة وأهمها : جمع المعلومات ومعالجتها وتخزينها وتوزيعها ، وهذه المراحل كلها تتم لتتوفر هذه المعلومات لدى المصلحة يقطع النظر عن استعمالها .

وعلى هذا الأساس ، فان كل مصلحة «ونقصد بالمصلحة كل هيئة لها نشاط في المجتمع» ، يجب ان يوجد داخلها جهاز بشري وآلي يتولى جميع هذه العمليات حتى ينشأ اعلام اقتصادي داخل هذه المؤسسة والمعلومات المدروسة أو المعالجة هي جميع المعلومات التي تخص المصلحة يومياً ابتداء من الرسائل الواردة والصادرة ، يعني ما عنده أهمية كبيرة بالنسبة للمعلومات الخاصة بالمصلحة ، ولكن في الجزائر نهمل هذا التنوع من المعلومات حتى اذا ما بان لنا عشر سنوات من بعد ، ان رسالة ما تكتسي أهمية نظراً لتاريخ ورودها مثلاً فلا نجد أثراً لذلك ولا نستطيع أن نستعمل هذه الأهمية .

والحق أن ما قلته فيما يخص الرسائل ينطبق كذلك على جميع المعلومات

الخاصة بالمصلحة فعلى سبيل المثال نجد كثيراً من المصالح لا تهتم بالتغيرات التي تطرأ يومياً على حياة المؤسسة سواء فيا يخص عدد العمال أو كمية المواد المستهلكة أو المنتوج أو غير ذلك فان نوع هذه المعلومات يبقى غالباً معروفاً عند المسؤول المكلف بها ومسطراً في أوراق مبعثرة ولا تنتقل الى مصلحة المعطيات ولا تعالج ولا تختزن بحيث عندما تظهر الحاجة إليها يضيع الوقت في البحث عنها وجمعها ومعالجتها ، بل أكثر من هذا فان عدم نقلها يجعل كثيراً من مسؤولي نفس المصلحة يجهلونها ويتخذون تدابير تتعارض معها مما يحدث الخلل والعجز والاهمال والتبذير وغير ذلك .

وعدم وجود المعلومات وضعف نقلها لعدم معالجتها في حالة وجودها ظاهرة فاشية في المجتمع الجزائري ولها أثر سيء على التنمية بصفة عامة وهذه الظاهرة كما ذكرت سلفاً موجودة داخل المصلحة ولكن لها أثر سيء كذلك على الفرد بكونه المحرك الأساسي للاقتصاد ، فاننا نرى مثلاً الشاب الذي خاب في امتحان البكالوريا ينتقل من مكان الى آخر ويبذل جهده ليحصل على المعلومات التي سوف تساعده على اتخاذ قرار يخص مستقبله ولكنه في الأخير يضيع ولا يعرف أي اتجاه يأخذه مع أن الوطن محتاج إليه ومع أن الإقتصاد الوطني محتاج الى كفاءته حتى لو كانت بسيطة ، وهذا مثال واحد من بين عدة أمثلة يمكننا سردها للدلالة على ضعف الإعلام الإقتصادي في الجزائر ، وقلة توفيره وعدم ضبطه ومعالجته حتى يستغل في المشاريع التنموية بصفة منطقية وكل هذا قبل استعماله .

ولإعطاء فكرة عن أهمية هذا الوضع وعن قيمة الخبر الإقتصادي قبل توظيفه يجب أن نشير الى أن العالم المتقدم يهتم اهتماماً كبيراً بهذا الوضع الى درجة أنه يشكو من غزارة هذه المعلومات ويطالب بوضع كراس للنماذيج الخاصة بالمعلومات حتى يتم استعمالها عن أحسن ظرف ، وحتى يوجد التنسيق بين الأنظمة المختلفة التي تهتم به ، وهذه درجة من التنظيم يفرضها على المجتمع المتقدم التطور الذي وصل إليه نموه .

2) بعد الإستعمال : ان الإعلام الإقتصادي يشمل كذلك المستوى الثاني الذي أشرنا إليه وهو تغطية النشاط الإقتصادي وهذا الصنف هو الذي كان معروفاً منذ القدم وهو كذلك الصنف المعروف عند جميع الناس اليوم وهو يتضمن جانبين :

العلاقات العامة والإشهار ويغطي في الحقيقة الإنتاج الإقتصادي والهدف منه التعريف بهذا الإنتاج حتى تروج سوقه ويرجع بالفائدة على المصلحة .

والحقيقة أن هذين النوعين مرتبطان أكثر بالنظام الرأسمالي للاقتصاد وان كان موجودين كذلك في النظام الاشتراكي بصفة أقل إنتشاراً .

ولهذا فان وجودها يفرض وجود التنافس في الاقتصاد مهما كانت درجة هذا التنافس ويمكن استعمالها في اطار مخطط تنموي للتعريف بهذا المخطط وبنتائجه سواء من ناحية نجاحه أو من ناحية إنتاجه للثروة في البلاد .

ونظراً لهذه الخلفية التاريخية فان هذا النوع من الإعلام الإقتصادي لم يجد اعتناء كبيراً به في الجزائر ، فلقد اهملت العلاقات العامة في المصالح الادارية وفي المؤسسات الاقتصادية سواء كانت إنتاجية أو تسويقية أو تجارية ، وان كانت موجودة عند بعض المؤسسات فان دورها يكاد يكون هامشياً بدون وسائل وبدون جدوى مع أنها تكسي أهمية كبرى للتعريف بالمؤسسة والجهود الذي تقوم به في اطار التنمية العامة ، فتوجد بعض الشركات الوطنية تنتج ولكن ليس هناك من يعلم يإنتاجها مع أن الحاجة الى هذا الإنتاج موجودة ، وهذا يظهر عن هذه المؤسسة في ميدان العلاقات العامة ، فالغرض من تأسيس اقتصادية ليس هو الإنتاج في حد ذاته وانما ترويج هذا الإنتاج حتى يلبي حاجة موجودة في المجتمع ، وهذا الترويج وهذا التعريف بالمنتوج ، تقوم به المؤسسة على طريق مصلحتها المكلفة بالعلاقات العامة ، هذه المصلحة التي تجعل المؤسسة قريبة ومتصلة بالمؤسسات الأخرى وبالجمهور بصفة عامة فالعلاقات العامة امتداد للمؤسسة في المجتمع ومنها تتغذى المؤسسة وتفرض نفسها في اطار التنمية العامة في الوطن .

وكون هذه المؤسسة اشتراكية يجب أن يدفعها في نظرنا الى هذا الاتصال والى التعريف بجهودها حتى يعود بالفائدة على المجتمع ، وعن جملة النشاطات التي تقوم بها العلاقات العامة للاشهار بمنتوج المؤسسات وهو عملية إعلامية تستعمل جميع وسائل الإعلام الكبرى مثل الصحافة والرديو والتلفزة وغيرها كالملعاقات وقاعة السينما إلخ ...

ولقد بقي الإشهار في الجزائر مهملاً مدة طويلة أو مقتصراً على الإعلانات

والمناقصات ولم يبدأ يهتم بالتعريف بالمنتوجات الوطنية أو بالانجازات الوطنية إلا في المدة الأخيرة وبصفة غير مطردة .

والسبب في هذا التقصير يرجع الى عدة عوامل منها قلة الإنتاج وذهنية ترى خطأ ان الاشهار يتنافى مع الاشتراكية لأن من شروطه خلق التنافس ، والحقيقة اننا مازلنا نعاني من هذه العراقيل التي تجعل الإنتاج الوطني غير معروف عند المواطنين بل أكثر من هذا فهي تخفي وتكتم بعض المحاسن التي يحتوي عليها الإنتاج الوطني والتي تجعله يقوى على خوض معركة المنافسة الداخلية أو الخارجية .

ونحن نكتفي بوضع بعض القوانين الادارية والمالية أو الجمركية لنعتقد أننا وضعنا حماية لإنتاجنا والحقيقة أن انتاجنا في حاجة الى هذه الحماية نعم ؟ ولكنه محتاج كذلك الى ترويجه والتعريف به خصوصاً عند المواطنبن حتى يشتهر وتروج سوقه ويرجع بالفائدة على التنمية الوطنية .

ومما تجب الإشارة إليه أن المؤسسة أو المصلحة هي التي تقوم بعملية الإشهار ، يعني المبادرة به والاعداد له قبل تسليمه للشركة التي تمارس الاحتكار لتوزيعه ، والاحتكار لا يكون عرقلة ، بل هو وقاية من الانحرافات الرأسمالية ولكن لكل مؤسسة مسؤولية التعريف بنشاطها وبإنتاجها .

وهكذا نرى ان العلاقات العامة وخصوصاً الاشهار ، من العمليات الإقتصادية التي تعزز وتقوى الإنتاج الوطني وبهذا فهي سند قوي للتنمية الوطنية في جميع ميادينها .

وفي الختام يجب أن نؤكد أن الإعلام الإقتصادي غير متكامل في الجزائر وأنه يحتوى على جوانب كثيرة من الضعف سواء من ناحية المفهوم أو من الناحية التنظيم أو من ناحية التجهيز ، وان الميدان يتطلب مجهوداً كبيراً مستمراً ، والخطر الذي يهددنا هو أن نعتقد أنه يكفي تزويد الإعلام الإقتصادي بالأجهزة العصرية ليقوم بدوره في التنمية الوطنية ، بل هذا الدور يفرض على الإعلام الإقتصادي أن يوظف في عملية الإنتاج حتى يكون احدى الركائز التي يعتمد عليها الإقتصاد الوطني وان يكثر استعماله بكيفية معقولة ومنسقة .

2 - وضعية الصحافة بعد سنة 1988[1]

يرى بعض الملاحظين أن الحوادث الدامية التي وقعت في أيام أكتوبر 1988 في عدة مدن جزائرية تعتبر نقطة تحول كبيرة في تاريخ الجزائر ولأنها فتحت باب المسيرة الديمقراطية وأعطت دفعاً قوياً للإصلاحات السياسية والإقتصادية في البلاد ومن هذه الإصلاحات التصويت الشعبي على دستور جديد تمت المصادقة عليه في 23 فبراير 1989 ومن خصائص هذا الدستور أنه يحقق في مادته الأربعين (40) التعددية الحزبية كما أنه يضمن في عدة مواد أخرى حقوق المواطنين في الحريات الشخصية والعامة مثل حرية التفكير والرأي والإبداع والتعبير .

وفيما يتعلق بالإعلام فإن هذا الدستور يخصص مادته 35 لحرية الصحافي وحمايته من التعسف الاداري بحيث لا يمكن إلصاق تهمة بصحافي أو بصحيفة والحكم عليها إلا من طرف أجهزة القضاء مع حق الدفاع للمتهم وادخال مثل هذه المادة في الدستور يعتبر ضماناً قوياً لحرية الإعلام وللممارسة الإعلامية ويفتح عهداً جديداً لم تعرفه الجزائر منذ الإستقلال .

وتطبيقاً لهذا التوجه الجديد صادق المجلس الوطني الشعبي على قانون جديد للإعلام في أفريل 1990 يختلف تماماً عن قانون 1982 الذي يصبح ملغياً . وينص هذا القانون الجديد على إلغاء الرقابة الادارية وعلى حرية اصدار الصحف وتعددها وعلى حق المواطن في إعلام موضوعي ونزيه وعلى إنشاء مجلس أعلى للإعلام .

وانطلاقاً من هذا القانون بادرت الحكومة الجزائرية باتخاذ تدابير ترمي الى تجسيد هذه الحرية ، فقامت أولاً بإلغاء وزراة الإعلام وتنصيب المجلس الأعلى

(1) كتب هذا المقال في أواخر سنة 1990 .

للإعلام في جويلية 1990 وتقول المادة 59 من قانون الإعلام أن هذا المجلس هو «سلطة إدارية مستقلة ضابطة تتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي» «ويتكون هذا المجلس من اثنى عشر عضواً : ثلاثة أعضاء يعينهم رئيس الجمهورية وثلاثة أعضاء يعينهم رئيس المجلس الشعبي الوطني وستة أعضاء ينتخبون بالأغلبية المطلقة من بين الصحافيين المحترفين في قطاعات التلفزة والإذاعة والصحافة المكتوبة الذين قضوا خمس عشرة سنة في المهنة على الأقل» وقد حددت مهام هذا المجلس وصلاحياته وتتلخص في كون هذا المجلس لا يقوم بالتوجيه ولكنه يحرس على الممارسة الفعلية لحرية الإعلام .

ولكي تتغير هذه الممارسة عما كانت عليه من قبل اتخذت الحكومة بعض التدابير من شأنها أن تساعد على هذا التحول ومن ذلك قرار يقضي بضمان دفع المرتبات لجميع الصحافيين الذين كانوا يعملون في الصحافة الحكومية لمدة ثلاث سنوات حتى لو انفصلوا عن هذه الصحف وأصبحوا يعملون في صحافة خاصة .

ومن هذه التدابير كذلك إمكانية قرض مالي معتبر لكل صحيفة جديدة تصدر .

ولقد كان لهذه الإجراءات القانونية والإدارية والمالية أثر جيد في تغيير المجال الإعلامي في الجزائر بصفة جذرية ولقد تعددت الصحف وبدأت تظهر أنواع كثيرة من الصحف فيها اليوميات الصباحية والمسائية ، فيها الأسبوعية السياسية والثقافية ، فيها الصحف الجهوية فيها المجلات وفيها كذلك الصحف الهزلية وغير ذلك مما يجعل القارئ في حيرة من الاختيار .

وبما أن هذا التغيير يتطور بسرعة فانسا سنقتصر على إعطاء صورة موجزة لهذه الصحف فمن ناحية تصنيفها نجد هناك ثلاثة أنواع :

1) **صحف حزبية** : ولقد استطاعت الأحزاب الكبرى الى حد الآن أن تصدر جريدة واحدة على الأقل وكلها تقريباً أسبوعيات باللغة العربية أو اللغة الفرنسية أو اللغة الأمازيغية .

2) **صحف مستقلة** : وهي في الحقيقة صحف خاصة يملكها خواص من أرباب الأموال الى حد الآن وهي يوميات أو أسبوعيات تصدر باللغة العربية أو اللغة الفرنسية .

3) **صحف حكومية** : أو تابعة للقطاع العام وهي بعض اليوميات أو الأسبوعيات التي كانت تملكها الدولة من قبل وهي تصدر باللغة العربية أو اللغة الفرنسية .

وفيما يخص اليوميات فقد يوجد منها اليوم إحدى عشر ، ستة منها تصدر باللغة العربية وخمسة باللغة الفرنسية .

باللغة العربية :

1 - **الشعب** : صباحية تابعة لحزب جبهة التحرير الوطني سحبها 80000 نسخة تصدر بمدينة الجزائر .

2 - **المساء** : مسائية حكومية ، سحبها 80000 نسخة تصدر بمدينة الجزائر .

3 - **الجمهورية** : صباحية حكومية سحبها 50000 نسخة تصدر بمدينة وهران .

4 - **النصر** : صباحية حكومية سحبها 100000 نسخة تصدر بمدينة قسنطينة .

5 - **السلام** : صباحية حكومية سحبها 50000 نسخة تصدر بمدينة الجزائر .

6 - **الخبر** : مسائية مستقلة سحبها 40000 نسخة تصدر بمدينة الجزائر .

باللغة الفرنسية :

1 - **المجاهد** : صباحية تابعة لحزب جبهة التحرير الوطني سحبها 350,000 نسخة تصدر بمدينة الجزائر .

2 - **آفاق** : مسائية حكومية سحبها 300,000 نسخة تصدر بمدينة الجوائر .

3 - **الوطن** : صباحية مستقلة سحبها ؟؟؟ تصدر بمدينة الجزائر .

4 - **لوسوار** : مسائية شبه حكومية سحبها ؟؟؟ تصدر بمدينة الجزائر .

5 - **ألجي ريبوبليكان** : (الجزائر الجمهورية) صباحية يشرف عليها مناضلون من الحزب الشيوعي سحبها ؟؟؟ تصدر بمدينة الجزائر .

وهذه حصيلة مؤقتة لأن المجال الإعلامي في تغير مستمر ولا يمر أسبوع دون أن تصدر جريدة أو مجلة ولكن هذا التطور السريع قد أبرز مشكلتين كبيرتين قد تعرقل نوعاً ما الممارسة الإعلامية .

أما المشكل الأول فهو يتعلق بالجانب التقني نظراً لقلة وسائل السحب (أوفسيت) وسوء استعمال الموجود منها بحيث نجد أحياناً تعطيلاً في سحب بعض اليوميات أو إرغام البعض منها الى التوقف أو إرغام البعض الآخر الى الظهور في المساء عوض الصباح كما وقع لجريدة «الخبر» وزيادة على هذا فإن قضية التوزيع وسوء تنظيمه يجعل البعض من الصحف تفكر في إنشاء تعاونيات تقوم بتوزيع صحفها .

أما المشكل الثاني فهو خاص بمفهوم «المصلحة العامة» الذي مازال غامضاً ، يثير جدلاً كبيراً بين الصحفيين وترددأ كبيراً في موقف الحكومة فالصحافة التابعة للمصلحة العامة تكون ضمنياً تابعة للحكومة وهذا يتنافس مع الروح الديمقراطية التي تجعل الحكومة تخضع للحزب أو الأحزاب التي لها الأغلبية التي هي بدورها غير مستمرة . وهذا الجدال قائم ولم يفصل فيه بعد والممارسة هي الكفيلة في إعطاء ضوء للحكم له أو عليه .

ومهما يكن فإن هذه المشاكل تعطي للمجال الإعلامي حيوية كبيرة وتخلق بين الصحف منافسة قوية هي في فائدة القراء أو ترفع بغير شك من مستوى الصحافة المكتوبة .

3 - التجربة الجزائرية في التكوين الإعلامي[1]

تواجه أقسام الإعلام في الجامعات العربية عقبات عويصة ومشاكل متعددة في القيام بمهمتها ، وأنها لفرصة طيبة أن تصبح اليوم موضوعاً من المواضيع التي تناقشها ندوتنا هذه لأنها تسمح لنا أن نتعرف عليها خلال تجاريبنا المختلفة وأن نجري مناقشة جادة حولها تساعدنا على البحث عن الحلول الناجعة .

وأنني أتقدم بهذه المساهمة المتواضعة التي هي ثمرة التجربة التي عشناها في الجزائر ، وهذه التجربة وان كانت قصيرة فهي ثرية بما احتوت عليه من تجارب متعددة ومحاولات مصيبة أو غير مصيبة .

وبما أنني أتحدث عن الجزائر فانني أريد أن أشير الى أن الجزائر أنشأت لأول مرة مدرسة عليا للصحافة سنة 1964 وأن التجربة الجزائرية تعيش اليوم سنتها العشرين ، وفي هذه الفترة القصيرة فان الاعلام ورسائله المتعددة عرفت تطوراً سريعاً مليئاً بالاختراعات المتنوعة التي أثرت على التكوين وتطوير التعليم العالي في الميدان الإعلامي وان تواجد هذه السرعة من جهة وعدم اكتمال التجربة من جهة أخرى لهما اللذان يكونان المشكلة الكبرى التي تواجهها أقسام الإعلام ، ولربما هذه المشكلة تطغى على ندوتنا هذه لما لها من أثر وتأثير على جميع المحاور التي هي مسطرة في هذه الندوة ، ولعلني أكتفي بالاشارة إليها هنا في المقدمة على أنني سوف أرجع إليها من حين للآخر عند الحاجة .

وما أكثر المشاكل التي تعيشها أقسام الإعلام وانها تظهر في نظر من تولى الإشراف والمسؤولية في تسيير هذه الأقسام متعددة الجوانب ، متداخلة فيما بينها ومتجددة من سنة لأخرى ويمكننا أن نصنفها الى خمسة أو ستة أصناف .

---

(1) عرض ألقي بمناسبة انعقاد ندوة أقامها اتحاد الجامعات العربية سنة 1984 في الإمارات العربية المتحدة .

1) المشاكل الخاصة بالتنظيم والوضع الإداري لقسم الإعلام وارتباطه بالأقسام الأخرى .

2) المشاكل الناتجة عن البرامج والمقررات الدراسية وتطورها وملاءمتها مع الإكتشاف الجديد وما يترتب عن ذلك .

3) المشاكل التي يجدها الطلبة والدارسون بصفة عامة من قلة المراجع باللغة العربية وفقدان الدراسات الميدانية والمعلومات الإعلامية الخاصة بالبلدان العربية ، وهذه المشاكل تكون عرقلة في تطوير المواد المقررة وانطباعها مع الواقع العربي .

4) المشاكل الناتجة عن عدم وجود اختصاصيين في المواد الجديدة التي تقتضي الضرورة ادخالها ضمن المقررات الدراسية أو في المواد التقنية المهنية التي قلّ أن يوجد فيها أساتذة جامعيون .

5) المشاكل الناتجة عن سوء الفهم في العلاقات بين أقسام الإعلام والمؤسسات الإعلامية وعدم وجود قوانين مضبوطة تربط بينهما وتحدد هذه العلاقات والتعاون الضروري المفروض أن يكون موجوداً بينها .

6) المشاكل التي تظهر عند اجراء البحوث الميدانية الإعلامية من حيث التمويل والإتصال بالجمهور والتجهيزات الضرورية لاستغلال واستثمار نتائجها .

هذه بعض الأصناف من المشاكل التي تشير في الحقيقة ورقة العمل لهذه الندوة الى الكثير منها ونستطيع أن نلخصها بهذه الكلمات : مشكل التنظيم . مشكل المقررات الدراسية ، مشكل المراجع ، مشكل الأستاذ ، مشكل الاتصال بالمؤسسات الإعلامية ومشكل البحث الميداني .

وعندما نتكلم عن المشكل فليس بكونه عجزاً أو اعجازاً وانما بكونه وصفاً موضوعياً نعيشه اليوم ونحاول التغلب عليه والاجتياز الى مرحلة يصبح فيها المشكل السابق تجربة مفيدة تدفع القسم الى تطوير أحسن ، اذا ليس هناك عيب في ذكر هذه المشاكل وانما العيب في اخفائها والتعفن فيها حتى تصبح عرقلة في المسيرة معطلة لا مطورة وعقبة يصعب اجتيازها .

وبهذا المفهوم فانني سأقتصر في حديثي هذا على المشكلتين الأوليين التي ذكرتها وهما مشكل التنظيم ومشكل المقررات الدراسية .

مشكل التنظيم وأقصد به - كما ذكرت - وضعية القسم داخل الجامعة والهدف الذي يرمي إليه .

والمعلوم أنه لا يوجد نظام واحد ونموذجي للمعاهد الإعلامية في العالم سواء في الدول الغربية أو في الدول النامية والمتقدمة ، فهناك أقسام تابعة للكلية وهناك معاهد تابعة للجامعة وهناك مدارس عليا وهناك مدارس مهنية الى غير ذلك ، وهذا التفاوت أو الإختلاف يرجع سببه الى عدة عوامل كحداثة هذا التعلم وأهمية الإعلام في المجتمع العصري مثلاً وغيرها ...

من الناحية التاريخية نستطيع أن نذكر باختصار أن تعلم المواد الإعلامية في البلدان المتقدمة لم يبدأ العمل به في الجامعة إلا قبيل الحرب العالمية الثانية وكان ذلك بصفة تدريجية وكانت الناحية القانونية أو التاريخية هي التي يعتني بها الدارسون بالدرجة الأولى بحيث كونت النواة الأولى للعلوم الإعلامية وألحقت في البداية بكلية الحقوق أو بكلية الأدب ، وفي هذه الأثناء ظهرت في الولايات المتحدة الدراسات الميدانية الأولى لقياس مدى تأثير الوسائل الإعلامية الجديدة (الراديو والتلفزيون) . وكان لها ارتباط بالاهتمامات السياسية وبعد ذلك خصوصاً بعد الحرب العالمية الثانية ، ورواج التلفزيون أصبحت الوسائل الإعلامية بما تقتضيه من صناعة وتسويق ، أصبحت نشاطاً اقتصادياً يخضع للعرض والطلب وللربح والفائدة بقواعدها الخاصة وأصبحت هذه الناحية تدرس كذلك ضمن المواد .

فكانت النتيجة لكل هذا أن نشأت مواد إعلامية جديدة تدرس بصفة متفرقة في الكليات المختلفة ثم ظهرت الضرورة الى جمعها وانشاء قسم مختص فيها ملحق بكلية معينة : الحقوق أو الأدب في الغالب أما في الولايات المتحدة فان تطور العلوم السياسية والاعلامية وازدهارها خلق الحاجة الى انشاء معاهد متخصصة وأحياناً مستقلة .

ومن جهة أخرى فإن ازدهار الصحافة في الغرب في القسم الثاني من القرن التاسع عشر خلق لدى هذه الصحافة الإحتياج الى عدد كبير من الصحافيين والى رفع مستوى المحترفين منهم فلجأوا الى الاعتناء بتكوين الصحافيين والى انشاء اتحاديات تشتغل بهذا التكوين وبتنظيم مدارس لمهنة الصحافي مع التركيز على

فنيات التحرير وعلى نوعية الخبر واشكاله إلخ ... وهكذا نشأت مدارس مهنية تتولى الإشراف عليها الصحف بإنفرادها أو بالتعاون مع الحكومة .

وبما أن هذا التطور خاص بالبلدان الغربية فهو في الحقيقة لم يحدث في البداية مشاكل كثيرة نظراً لتطوره الطبيعي مع التطور الاجتماعي والسياسي في نفس هذه البلدان وخصوصاً فهو يتلاءم مع وضعية الوسائل الإعلامية فيها .

ولقد ورثت الدول العربية مع اختلاف كبير في وضعيتها السياسية والاجتماعية من الدول الغربية هذا التشتت فوضعية أقسام الإعلام تختلف من بلد لآخر فنجده أحياناً ملحقاً بكلية الآداب وأحياناً ملحقاً بكلية الحقوق وأحياناً أخرى يتطور الى معهد داخل الجامعة كما نجده أحياناً في شكل مدرسة عليا ومن جهة أخرى فهذه الأقسام والمعاهد كيفما كانت وضعيتها تهدف في الغالب الى شيئين في نفس الوقت فهي تطمح الى أحداث دراسة عليا في الميدان الإعلامي من جهة ومن جهة أخرى تسعى الى امداد وسائل الإعلام بصحافيين محترفين يعني أنها تقوم بمهمتين يصعب الجمع بينهما ، وهذا التناقض ناتج من كون هذه الأقسام التعليمية تعمل في وضع يجعل جميع المؤسسات الإعلامية والتعليمية تخضع للدولة وتحت عنايتها وهذا يدفع الدولة الى أن تطلب من هذه الأقسام والمعاهد أن تحاول تحقيق الهدفين معاً .

وباختصار فان العرض الذي سبق يطرح أمامنا مشكلتين نعيشهما في معاهدنا اليوم :

1) ضرورة استقلالية أقسام الإعلام .

2) تحديد مهمة هذه الأقسام وتنويعها .

إن استقلالية أقسام الإعلام وتطويرها الى معاهد تتمتع بصلاحيات الكليات ، يفرضها تطور الوضع الإعلامي في البلاد فالإعلام اليوم غير مقتصر على الصحافة كما كان الشأن في البلدان العربية حتى الخمسينات ، فالإذاعة كثيرة الإنتشار وكذلك التلفزيون بعد السبعينات وما جاءت به هذه الأخيرة من تقنيات جديدة ومتطورة جعلت الاعلام من الضروريات اليوم في المجتمع . وهذا التطور وقع بصفة سريعة كما أشرنا لذلك وخلق تغييرات كثيرة في سلوك الأفراد في المجتمع ، لكن أقسام الإعلام لم تتطور معه بل مازالت مقيدة بالمناهج المعروفة قبل الحرب

العالمية الثانية . وهذا يرجع في الغالب الى الوضع الهامشي الذي تعيشه هذه الأقسام داخل الجامعة والى عدم الاعتبار الذي يحيط بهذه الأقسام لا من طرف المسؤولين في البلاد فحسب ولكن حتى من طرف المسؤولين في الجامعة كذلك ، فأقسام الإعلام لا تتمتع بحرية التصرف بحيث يصعب عليها الإتصال بمحيطها الخارجي ، وليست لها ميزانية كافية تعطي لها القدرة على مسايرة ما يتطلبه تطور الإعلام ، ففي الجزائر مثلاً نجد مشاكل كثيرة لإصدار جريدة في المعهد يتدرب فيها الطلبة كما أننا نجد صعوبات كثيرة لإنشاء استديو للراديو أو للتلفزيون يساعد الطلبة على التدريب ، ولقد زرت عدداً من أقسام الإعلام في البلدان العربية فوجدتها منعزلة تعاني من الضيق بجميع أنواعه سواء من ناحية المحلات التي تعيش فيها أو من ناحية الوسائل المادية والمالية .

هذه العزلة وعدم الاعتبار المحيط بأقسام الإعلام يعد من أكبر العقبات التي تمنع هذه الأقسام من التطور ، فلابد أن تعطي لها جميع الامكانيات لتواكب تطور الإعلام .

ثم ينبغي من جهة أخرى أن تحدد مهمة هذه المعاهد انه يصعب عليها أن تكون في نفس الوقت مدرسة مهنية ومعهداً للدراسات والبحث ، ولعله يمكن ذلك ولكن على شروط أن تصبح هذه المعاهد شبه جامعة إعلامية متعددات الصلاحيات ومتوفرة على امكانيات مادية كبيرة .

ومهما يكن الأمر فان الجمع بين المهنتين يكوّن عقبة في تطوير أقسام الإعلام ، فليس هناك تحسن في تكوين الصحافيين المحترفين ولا تحسن في تكوين الباحثين الدارسين لمشاكل الإعلام في البلاد .

واننا نعيش هذه المشكلة في الجزائر منذ إنشاء المدرسة العليا للصحافة سنة 1964 كما ذكرت وكان الدافع الأساسي للإنشاء هذه المدرسة هو الحاجة الى تكوين صحفيين يشتغلون في المؤسسات الإعلامية ووضعت هذه المدرسة في إطار جامعي منعها من الإتصال بصفة مرضية بالمؤسسات الإعلامية التي كان من المفروض أن تزودها بالإطارات التي تحتاج إليها ، وكانت النتيجة أن المتخرجين من هذه المدرسة يفضلون العمل الإداري على العمل الصحفي ، ورغم التحسينات التي أدخلت فيما بعد على البرامج وعلى علاقات المدرسة بالمؤسسات الإعلامية ، فان

الجمع بين المهمتين التي أشرنا إليهما ، يكوّن عقبة لم نستطع التغلب عليها حتى يومنا .

نعم : اننا نستطيع أن نكوّن صحافياً مقتدراً انطلاقاً من مستوى البكالوريا (يعني السنة النهائية من التعليم الثانوي) على شرط أن تكون له ملكة في اللغة نطقاً وأسلوباً أن يكون دخوله الى مدرسة مهنية مقروناً بارتباطه بالمؤسسات الإعلامية التي تساعده بسرعة على التغلب على مشاكل فنيت التحرير ، وهو الأمر الجاري العمل به في بريطانيا وفرنسا مثلاً ... ولكن لا يمكننا أن نكون متخصصاً في الوسائل الإعلامية إلا اذا كان الانطلاق من مستوى أرفع من مستوى البكالوريا ولقد بدأت تظهر الضرورة الى المطالبة بترشيح الطلبة الى مثل هذه الدراسة انطلاقاً من مستوى السنة الثانية من الكليات .

وهناك مشكلة وهي أنه من الصعب دمج طلبة يختلف مستواهم الأساسي ويختلف هدف تكوينهم ، فأحد النوعين يضيع في هذا المزج ومراعاة التوفيق بينهما يخل بتكوين الصنفين ، اللهم اذا كان الجمع بينهما يقتصر على وجودهما في محل واحد وفي بعض المواد التطبيقية ، وهو ما لا يجري العمل به عندنا .

وهذه المشكلة تطرح مشكلة مستوى الترشيح من جهة ومشكلة فترة الدراسة من جهة أخرى .

فمستوى الترشيح قد يكون على أساس شهادات معينة ؟ أو على أساس اختبار يجري للطلبة ؟ أو على أساس الجمع بين الشهادة والاختبار ؟

وفترة الدراسة قد تكون لسنتين فقط أو لثلاثة أو أربعة فتكوين المهنيين قد يستغرق سنتين فقط ابتداء من مستوى السنة النهائية من التعليم الثانوي واجراء اختبار شديد لاختيار أحسن الطلبة ، كما أن تكوين المتخصصين في ميدان الإعلام والإتصال قد يستغرق كذلك سنتين فقط ابتداء من مستوى السنة الثانية من التعليم العالي ؟ فالفترة قد تكون اذا بالنسبة للنوعين من التكوين مقتصرة على سنتين فقط وهي فترة قصيرة قد توفر الكثير مما نحتاج إليه من الوقت والمصاريف .

ولكن نحن نمدد فترة الدراسة الى أربع سنوات وهذا الامتداد يخلق لنا مشكلة

المواد المدروسة زيادة على المشاكل الأخرى ، فالتكوين في الميدان الإعلامي يرتكز أساساً على ثلاثة أنواع من المواد :

1) فهو يحتاج الى قاعدة من الثقافة العامة تحتوي على مواد لغوية وتاريخية وقانونية واجتماعية واقتصادية وغيرها حتى تكون موهبة عند الطالب يستطيع أن يغطي بكفاءة جميع النشاط الوطني والدولي وتجعله في ظروف تسمح له مواصلة جميع الدراسات التي لها علاقة بهذه الميادين . والحقيقة أن الاحتياج الى هذه القاعدة الثقافية العامة تزول عندما يكون ترشيح الطالب انطلاقاً من مستوى السنة الثانية من التعليم العالي في جميع التخصصات .

2) فهو يحتاج الى التحكم في جميع المواد الإعلامية البحتة وبالخصوص على تاريخ وسائل الإعلام وعلى قانون الإعلام وعلى اجتماع الإعلام وعلى اقتصاد الإعلام وما يتفرع عن هذه العلوم من منهجية وتقنيات مختلفة والبحوث الميدانية وغيرها ، والحقيقة أن هذه المواد - باستثناء ما يتعلق بالتاريخ والقانون واللغة - جديدة بالنسبة للعالم العربي وما زلنا لا نتحكم فيها سواء من الناحية البيداغوجية أو من ناحية المراجع مما يجعل ادخالها ضمن البرامج المقررة يخلق مشاكل مختلفة زيادة على أن تطور هذه العلوم بسرعة نظراً لسرعة الإكتشافات في ميدان الإتصال يفرض أن تكون العلاقات مستمرة ومكثفة مع المحيط الإعلامي سواء من ناحية التعرف على هذه الوسائل أو من ناحية الإتصال بالذين يستعملون هذه الوسائل أو بالذين يستهلكونها .

3) وأخيراً فإن هذا التكوين يحتاج الى مواد فنيات التحرير بجميع فروعها وتخصصاتها في الصحافة المكتوبة أو المسموعة أو المرئية وخصوصاً بما تتطلبه من تطبيقات وتربصات وتجهيزات متطورة للقيام بها ، والحقيقة أن هذه المواد لها صبغة مهنية محضة والمشكل المطروح فيها هو بالنسبة للطلبة الذين يتوجهون الى العلاقات العامة أو الى التدريس والبحث العلمي في الميدان الإعلامي : هل هناك ضرورة لتعليمها لهذا النوع من الطلبة ؟ وفي حالة الفصل بين المهنة والبحث هل يمكن الاستغناء عن هذه المواد التي هي في الحقيقة المحور الأساسي لجميع الدراسات الإعلامية ؟ واذا أدخلت ما هو المقدار المطلوب فيها .

وفي الحقيقة فان هذا التساؤل يطرح في نفس الوقت مدى العقبة التي نواجهها

في هذا الميدان ، ويظهر جلياً أن المشكلات متداخلة فيما بينها ، كأن هـذه الأنواع الثلاثة من المواد التي ذكرتها مرتبطة بشكل نوعية الهدف الـذي ترمي إليـه أقسـام الإعلام وبوضعية هذه الأقسـام وبـالإمكانيـات المـاديـة والبشريـة التي تعطى لهـا لتحقيق هدفها .

وفي الختام فان تطور وسائل الإعلام من جهـة ومـدى تـأثيرهـا على المجتمع من جهة زيادة على تأثيرها على الإقتصاد من حيث أنها صنـاعـة ، يفرض على أقسـام الإعـلام أن تـواكـب هـذا التطـور وأن تلعب دورهـا العلمي في المسـاهمـة في هـذا التطور بإنارة الطريق على أسس علمية متقنة .

الخاتمة

أشكال التبليغ في الجزائر(*)

إن عملية الإتصال تقتضي من الرسالة أن تنقل من جهة الى أخرى بقطع النظر عن الوسيلة المستعملة وهذا المغنى موجود كما هو واضح في الكلمة العربية القديمة التي استعملها القرآن وتداولتها الحضارة الإسلامية وهي «التبليغ» وانني اعتقد أنه لا يوجد فرق بين مفهوم الكلمتين ولكن النهضة العربية الحديثة فضلت استعمال كلمة «الإتصال» عوض التبليغ نظراً لتأثيرها بالثقافة الأوروبية التي تستعمل كلمة الإتصال أو لأنها أرادت أن تتجنب المعني الديني الذي تحمله كلمة «التبليغ» واننا بدورنا نفضل كلمة التبليغ لما فيها من الدقة العلمية غير أننا سوف نستعمل كلمة الإتصال لكثرة استعمالها ولنكون واياكم على وتر واحد .

والمعروف أن التبليغ أو الإتصال له مفهوم واسع ويشمل عدة ميادين ثقافية واجتماعية سنتعرض لها فيما بعد ولكنه يشمل في الدرجة الأولى الميدان الإعلامي ولذا قد يبدو أن الإتصال أوسع من الإعلام لأن مفهوم الإعلام يحصره البعض في الوسائل التي يستعملها يعني الصحافة والراديو والتلفزة وهذا خطأ كذلك لأن الإعلام مشتق من العلم في حين أن الإتصال قد يحدث بدون أن ينتج عنه علم ومعرفة .

ومهما يكن فإن كلمة الإعلام تؤدي بدورها معنى الإتصال والتبليغ ولهذا فسوف نستعمل هذه الكلمات الثلاثة بدون تفرقة ولنفس المعنى وانما الفرق يكون فيما يخص أنواع الإتصال والوسائل المستعملة :

أنواع الإتصال :

من المعلوم أن العلماء يرون أنه يوجد نوعان من الإتصال الشخصي والإتصال

(*) محاضرة ألقيت في عدة مدن من الجزائر بمناسبة الذكرى .

الجماعي . والحقيقة أن الفرق بين هذين النوعين من الإتصال ضعيف إذ لا يمكن وجود اتصال إلا بين شخصين على الأقل وهو الإتصال الشخصي وإذا تعدى هذا العدد فان الإتصال يكون جماعياً . ولهذا نجد في المجتمع استعمال النوعين بصفة موازية ففي العائلة الواحدة يحدث الإتصال الشخصي والإتصال الجماعي ويكون نفس الشيء كذلك بالنسبة لمجموعة العمل أو لمجموعة أخرى صغيرة كيفما كان نوعها . لأن الإتصال الشخصي والإتصال الجماعي يقعان في الغالب بين أشخاص يجمعهم شيء مشترك وهو معرفتهم لكل فرد من المجموعة ، وهذه الميزة تفقد عندما يكون الإتصال بجمهور من الناس لا يجمعهم شيء إلا وجود المناسبة وهذا النوع من الإتصال هو المعروف بالإتصال الجماهيري وهو يقع بين شخص هو مصدر الإتصال وجماعة كبيرة من الناس تختلف هويتهم وثقافتهم ومصالحهم .

وسائل الإتصال :

وكيفما كان نوع الإتصال فانه لم يتغير عبر تاريخ البشرية فان الإتصال الشخصي أو الجماعي أو الجماهيري كان معروفاً منذ بداية البشرية وهو موجود اليوم في المجتمعات المعاصرة ولكن الشيء الذي تغير في الإتصال هو الوسيلة المستعملة في هذا الغرض ، وتغير الوسيلة يدل في الحقيقة على تطور البشرية وقد يصادف تغير الوسيلة تغيراً في الحضارة وتغيراً في العلاقات بين أفراد المجتمع .

فقد بدأ الإتصال في المجتمع بالإشارة والكلام ثم انتقل الى الكتابة وقد أحدث العصر الحديث وسائل مختلفة ومتنوعة من الإتصال :

- التيلفون - الكتاب - المسرح - السينما - الراديو - التلفزة - الإسطوانة
- الأقمار الصناعية - وغير ذلك مما تأتي به الإكتشافات العلمية .

تأثير وسائل الإتصال :

والحقيقة أن هذه الثروة الهائلة من الوسائل الحديثة ليست في الحقيقة إلا وسائل مادية تستعمل أو تشتغل في سبيل أهداف يريد المجتمع أن يحققها ، فهذه الوسائل ليس لها تأثير في حد ذاتها - وان كان البعض يرى عكس ذلك - ولكنها تسخر لتحقيق أهداف يريدها الإنسان ويرسمها الإنسان وتجدر الملاحظة

هنا الى أن قضية التنمية ترتبط اليوم بوجود هذه الوسائل ، فالبلد المتخلف هو البلد الذي يكثر فيه الإتصال من النوع الشخصي والجماعي ويقل فيه الإتصال الجماهيري من صحافة وراديو وتلفزة فالتنمية تقاس بمعدل ثروة المواطنين نعم ولكنها تقاس أيضاً بمعدل وسائل الإتصال الموجودة في البلاد .

ونظراً لهذه المقدمة وإنطلاقاً منها نحاول أن نتعرف على الطريقة التي انتهجتها الجزائر في استعمال وسائل الإتصال لخدمة الوطن ، وهذه الطريقة تبدو جلياً في الأهداف التي رسمها الشعب الجزائري لنفسه عبر تاريخه واستطيع أن أقول أن هذه الأهداف ثلاثة كل هدف يمثل مرحلة من تاريخنا .

في عهد الإستعمار كان الهدف ايقاض الوعي السياسي عند الجماهير وأثناء الثورة كان الهدف تدعيم الكفاح المسلح وبعد الاستقلال كان الهدف الخروج من التخلف وتحقيق التنمية في البلاد ، وفي كل مرحلة من هذه المراحل الثلاثة جندت وسائل الإتصال لتحقيق الهدف المسطر فكيف وقع ذلك ؟

1 - تجنيد وسائل الإتصال لإيقاض الوعي السياسي أثناء الإحتلال :

من المعروف أن الإتصال قبل سنة 1830 كان حينئذ يعتمد على الدين وكان الإسلام هو المحور الأساسي لجميع أنواع الإتصال في الجزائر وفي جميع البلدان الإسلامية وكان المسجد والصلاة والخطبة يوم الجمعة هي الوسائل المستعملة للاتصال بالجمهور ولم تعرف الجزائر قبل سنة 1830 الصحافة كوسيلة إعلامية واستمر الأمر على هذه الصورة بعد الاحتلال بحيث كانت الوسائل الدينية في خدمة الحرب التي شنها الأمير عبد القادر ضد الغزاة وفي خدمة المقاومة المسلحة التي أقامها الشعب الجزائري ضد الاستعمار بعد الأمير ويمكننا أن نعتبر ثورة 1871 كالقمة لهذه المقاومة لأنها شملت في فترة واحدة جزءاً كبيراً من الوطن (أكثر من نصف التراب الوطني) ونستطيع أن نعتبر هذه الثورة من جهة أخرى كنقطة تحول في فترة الشعب الجزائري على مواصلة الكفاح المسلح رغم وجود ثورات بصفة متقطعة وضعيفة الى حد كبير ، وكل هذا لأن ثورة 1871 فشلت وجعلت الاستعمار يستغل الفرصة ليفرض ارادته وسيطرته بكل قساوة على الشعب الجزائري ، فبعد هذا الفشل لم تستطع الوسائل الدينية للاتصال أن تلعب دورها

المألوف وتفككت حلقات الإتصال التي كانت تربط أجزاء الوطن ودخل الشعب الجزائري كله في سكوت رهيب .

إن الفترة التي تلت ثورة 1871 واستمرت الى قبيل الحرب العالمية الأولى تعتبر بحق أسوأ الفترات التي مر عليها الشعب الجزائري أثناء الإحتلال من ناحية القمع الذي سلط عليه والنهب والتشتيت والتشريد والغضب الذي تعرض له بصفة مستمرة ومن ناحية السكوت الذي فرض عليه الى درجة أنه لا توجد اليوم بالنسبة لهذه الفترة وثائق صادرة من الجزائريين إلا بعض القصائد الشعرية مازالت محفوظة الى يومنا .

ولقد «تخوف» بعض الفرنسيين الأحرار من هذا السكوت لأنه بالنسبة لهم لا يخدم مصالحهم وان كانت هذه المصالح لا تتفق مع مصالح الإستعمار ، وبدأ هؤلاء الفرنسيون يبذلون جهود لإيجاد صيغة يقدمونها للشعب الجزائري ليخرج من سكوته الطويل ، وكانت هذه الصيغة هي الصحافة التي سوف تمكن الجزائريين - في نظر هؤلاء الفرنسيين - من التعبير عن مطالبهم بصفة سلمية وتصرفهم في نفس الوقت عن اللجوء الى العنف والتمرد وبهذه الكيفية ظهر نوع من الحوار بين الشعب الجزائري وسلطات الإحتلال هذا الحوار الذي يؤدي حتماً الى دمج الجزائريين في فرنسا ، وبهذا الهدف أسست سنة 1882 جريدة المنتخب بمدينة قسنطينة وقد كتبت هذه الجريدة في عددها 32 «لاحظنا أن المسلمين منذ ظهور جريدة **المنتخب** عوض أن يرفعوا السلاح للمدفاع عن حقوقهم شعروا أن المنتخب موجوداً ليدافع عنهم» .

غير أن جريدة المنتخب لم تنجح في مسعاها واستمر الشعب الجزائري في سكوته واختفت المنتخب ... ولكن الفكرة لم تمت بحيث تبنتها سلطات الإحتلال في بداية القرن العشرين تحت ولاية جونار وبدأت تظهر الصحافة كوسيلة للاتصال والحوار بين الجزائريين والسلطات الاستعمارية وفعلاً أنشأت عدة صحف للقيام بهذه المهمة . نذكر منها : الأخبار - الاحياء - المغرب - كوكب افريقيا - المصباح - السلام وغيرها ، وقد لعبت الصحافة هذا الدور قبل أن تلعبه التجمعات السياسية والحركات السياسية مثل حركة «الشباب الجزائري» .

واستمرت الصحافة تلعب هذا الدور - الحوار - حتى سنة 1930 رغم بعض

الجهود التي قام بها عمر راسم وعمر بن قدور والأمير خالد وابن باديس لإضافة مهمة أخرى تقوم بها صحافة الحوار يعني ايقاض الوعي الديني عند الجماهير .

ولكن الوعي الديني لا يمكنه أن يتبلور إذ تخلي عنه الوعي السياسي خصوصاً في الظروف التي كانت تعرفها الجزائر ولهذا لم تستطع الصحافة الجزائرية أن تتحرر من قيود الحوار إلا عندما بدأت الحركة الوطنية تتمركز في مدينة الجزائر ونواحي أخرى من القطر وأنشأت صحافة متحررة تسعى للإيقاض الوعي السياسي عند الجماهير والأخذ بها الى مقاومة الاستعمار والاحتلال ورفض الحوار بتاتا وكان ذلك في الثلاثينات .

والحقيقة أن هذا الحوار الذي أوحت به بعض الأوساط الفرنسية المتحررة وساندته الصحافة الجزائرية التي كانت تصدر قبل سنة 1930 استمر حتى سنة 1954 وخلق في الجزائر تياراً سياسياً أمنت به النخبة من المثقفين وبعض التجار والملاكين ، أما الشعب الجزائري فانه التزم السكوت الذي اضطر إليه واتخذه وسيلة للدفاع عما تبقى من مقوماته .

وقد بقيت هذه الطائفة من الجزائريين تؤمن بالحوار وتلتزم به رغم الخيبات المتعددة التي آل إليه (هذا الحوار) ورغم التجاريب المختلفة التي قام بها بعض القادة السياسيين مثل الأمير خالد وفرحات عباس و(في بداية الإحتلال) حمدان خوجة كذلك ورغم ظهور الحركة الوطنية المتأصلة التي كشفت خفايا لعبة الحوار ودعت الى توثيق الصلة بالشعب والإعتماد عليه لتحرير البلاد .

وهكذا يصبح الإتصال الجماهيري يتخذ اشكالاً مختلفة قبل اندلاع الثورة ، هناك دعاة للفرنسة وهناك دعاة للحوار وهناك دعاة للثورة المسلحة وهذه الإتجاهات المختلفة ساعدت على تكوين وعي سياسي متيقض عند الجماهير باعتمادها أولاً على التنظيم السياسي وثانياً على الصحافة .

وقد أصبحت الصحافة من وسائل التبليغ الأكثر نفوذاً وتبوأت مكانها في المجتمع الجزائري وانطبعت بطابع خاص في هذه المرحلة من تاريخ الجزائر ، وهذا الطابع يتميز بشيئين أساسيين وهما :

1) أنها كانت صحافة سياسية بالدرجة الأولى وثقافية دينية بنسبة ضعيفة .

2) أنها كانت صحافة دورية تصدر أسبوعياً أو شهرياً أو غير ذلك بصفة متقطعة ولم تكن صحافة إخبارية يومية .

ومع هذا لم يغب عن الجزائريين ضرورة اصدار جريدة يومية ولكن هذه الضرورة لم تكن إلا حلم وأمنية إذ مراراً ما عبر أصحاب الصحف وبعض السياسيين عن رغبتهم في اصدار جريدة يومية ولكن لم يستطيعوا تحقيق ذلك ويكفينا أن نشير بهذا الصدد الى محاولتين هامتين :

1) محاولة الأمير خالد الذي كان رئيس تحرير ثم مدير الجريدة «الاقدام» التي كانت تصدر باللغة العربية وباللغة الفرنسية بالجزائر من سنة 1919 الى 1923 قد أخبر الأمير خالد قراءه عن ضرورة وجود صحيفة يومية جزائرية وعن عزمه اصدار مثل هذه الصحيفة وفتح اكتتاباً وقام بحملة في هذا الشأن ولكن السلطة الاستعمارية لم تسهل له مهمته فطردته وضايقت عليه حتى نفى نفسه وغادر الجزائر بعد أن كلف أحد رفقائه وهو فرنسي بمواصلة الجهود للإصدار جريدة يومية واستمر الأمير خالد يراقب ويتابع هذه الجهود من الخارج غير أنه لم ينجح في مهمته لأنه لم يجد مساندة من طرف الأعيان المسلمين الذين كان يعتمد عليهم وأبدى تشاؤمه ويأسه في الجريدة التي كان يصدرها في ذلك الوقت ومات المشروع ولم تصدر الجريدة اليومية الجزائرية .

وإنني أرى أن السبب الرئيسي لهذا المثل يرجع الى أن الأمير خالد اعتمد خصوصاً على الأعيان والنخبة لتمويل هذا المشروع لأن هدفه كان خلق وسيلة تكون صلة بين النخبة والسلطات الفرنسية في إطار سياسة الحوار ولم يكن قصده خلق صلة بين النخبة والشعب الجزائري الذي كان في وقته مازال ملتزماً بسكوته وهذا ما فهمه الأمير خالد بعد «نفيه» .

2) المحاولة الثانية قامت بها جريدة النجاح التي كانت تصدر ثلاث مرات في الأسبوع باللغة العربية في مدينة قسنطينة وقد أعلنت هذه الجريدة في بداية سنة 1929 أنها تفتح اكتتاباً لإصدار جريدة النجاح يومياً ورغم أن الإكتتاب لم يكن ناجحاً - والمعروف أن جريدة النجاح كانت تساند الاستعمار وتغطي نشاطه السياسي في الجزائر ونشاط المتعاونين مع الإستعمار - فان النجاح بدأت تصدر

يومياً في بداية سنة 1930 واستمرت تصدر طيلة هذه السنة يومياً ثم في سنة 1931 رجعت الى مجراها الطبيعي يعني ثلاث مرات في الأسبوع .

ولا نستطيع أن نقول أن هذه المحاولة كانت فاشلة لأن المقصود الحقيقي من هذه المحاولة ليس هو اصدار جريدة يومية عربية للقراء الجزائريين وانما هو تغطية النشاط الذي أزعمت السلطات الفرنسية اقامته بمناسبة الاحتفال بالذكرى المئوية للاحتلال واحتفلت جريدة النجاح بهذه الذكرى بصدروها يومياً وعندما انتهت الاحتفالات رجعت الجريدة إلى طبعها الأول ولم تكن جريدة النجاح إلا بوقاً للاستعمار يتحدث باللغة العربية .

والحقيقة الأكيدة من وراء كل هذا أن الصحافة الجزائرية أصبحت بعد الثلاثينات وبعد هذه التجارب الفاشلة سلاحاً قوياً بين أيدي الوطنيين لإيقاض الوعي السياسي ولهذا أصبحت مضطهدة من طرف السلطات الفرنسية ولم تستطع القيام بمهمتها إلا في الخفاء والسرية حتى اندلعت ثورة أول نوفمبر 1954 وليس هناك شك في أن الصحافة الوطنية قد نجحت في مهمتها هذه بجانب الأحزاب السياسية ، فالوعي السياسي قبيل 1954 كان قوياً عند الشعب وجاءت الثورة في الوقت المناسب لتستعمل هذا الوعي ولتستجيب لرغبة الشعب للخروج من سكوته والتعبير عن ارادته بقوة .

2 - تجنيد وسائل التبليغ لتدعيم الكفاح المسلح :

في فاتح نوفمبر 1954 ، عند اندلاع الثورة فان الصحافة الجزائرية التي ازدهرت أثناء فترة الحوار لم تتوقف فجأة عن الصدور بل بقيت تظهر باستمرار ما عدى صحافة حركة انتصار الحريات الديمقراطية ولم تصدر جبهة التحرير الوطني صحيفة في الأيام الأولى من الثورة واكتفت بتوزيع المناشير لشرح أهدافها وتجنيد الشعب حولها وهذه الحالة فرضت على الجبهة أن تسعى في ميدان الإتصال والتبليغ الى تحقيق هدفين في أقرب الآجال لمساندة الثورة وهما :

1) ارغام الصحافة الوطنية وصحافة الحوار على التوقف ولم يتم ذلك بسهولة فتوقفت الجمهورية الجزائرية لحزب البيان في جوان 1955 وتوقفت صحافة الحزب الشيوعي في أواخر سنة 1955 وبداية 1956 وتوقفت البصائر لجمعية

العلماء في أفريل 1956 كما أنه توقفت جريدة النجاح في سنة 1956 غير أن بعض الشخصيات كانت تحاول مراراً اصدار جريدة فتقاوم من طرف الجبهة وترغم بكيفية أو أخرى على التوقف مثل ما وقع لجريدة «المغربي العربي» التي كان يصدرها السعيد الزاهري و«الجزائر قبل كل شيء» التي أصدر منها عمار أوزقان عددين ثم توقفت وهكذا لم تنته سنة 1956 حتى حققت جبهة التحرير الوطني هدفاً من أهدافها فليس هناك وحوار على طريقة الصحافة فيبقى حينئذ تحقيق الهدف الثاني .

2) اصدار صحافة تكون لسان حال جبهة التحرير الوطني ، وقد تم ذلك بعد تصفية الجو الإعلامي ، وبما أن الظروف لم تكن مواتية لطبع جريدة في الجزائر فان أول جريدة طبعتها الجبهة كانت بفرنسا في ظروف صعبة جداً وبقيت هذه الصحيفة سرية وكان توزيعها عسيراً جداً وكانت تحمل اسم «المقاومة الجزائرية» ونظراً لهذه الصعوبات قررت جبهة التحرير الوطني اصدار جريدة أخرى باسم «المقاومة الجزائرية» في طبعتها الثانية بتطوان في شمال المغرب ثم بعد ذلك صدرت جريدة أخرى بنفس الإسم طبعة ثالثة بتونس وبعد ذلك أصدرت جريدة أخرى على شكل منشور تحمل اسم المجاهد بمدينة الجزائر ، وقد تم كل هذا في صيف سنة 1956 بمناسبة ذكرى 5 يوليو يوم الاحتلال المشؤوم .

واستمرت هذه الصحف الأربعة تصدر باستمرار ، أما المجاهد والمقاومة الجزائرية بفرنسا فكانتا تصدران بتعثر نظراً لمطاردتها من طرف الاستعمار أما «المقاومة الجزائرية» في تطوان وتونس فكانتا تصدران بانتظام نظراً للمساعدة التي وجدتاها وقد كانت طبعة تطوان توزع الى عواصم العالم كما أن كمية كبيرة (5,000 نسخة) منها كانت تطبع على ورق شفاف وتدخل الى الجزائر وتوزع على الجنود وعلى أفراد الشعب خصوصاً في الولاية الخامسة والرابعة .

واستطاعت هذه الصحافة زيادة على المناشير التي كانت توزعها كل ولاية أن تنطلق باسم الكفاح المسلح وأن تشرح سياسة الجبهة وتغطي كفاحها المسلح فكانت سنداً قوياً لها .

وفي صيف سنة 1957 بعد خروج أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ من داخل التراب الوطني قررت هذه اللجنة ضم الصحف الأربعة في جريدة واحدة تصدر

باسم «المجاهد» في مدينة تطوان ثم في أواخر سنة 1957 انتقلت المجاهد الى تونس وكانت الناطقة باسم جبهة التحرير الوطني والمعبرة عن موقف الجبهة من الأحداث غير أن الجبهة بعد تحقيق هذين الهدفين التزمت بتحقيق أهداف أخرى لتدعيم الثورة وهي :

1) انشاء سلك المحافظ السياسي إذ لم تكن الصحافة كافية لربط الصلة بين الجبهة والشعب لأنه من الصعب لصحيفة سرية ومضطهدة أن تلعب هذا الدور بفعالية ولهذا كان من الضروري أحداث جهاز آخر منظم وقوي تسند إليه مهمة الإتصال بالجماهير وابلاغها بتعليمات الجبهة بجميع الوسائل والطرق ولقد كان مسؤول المحافظة السياسية على مستوى الولاية عضواً في هيئة أركان جيش التحرير الوطني وكان مكلفاً بالتنشيط السياسي كما أن المحافظ السياسي على مستوى الفرقة كان مكلفاً بالتنشيط السياسي على مستوى الفرقة وكان مكلفاً بالإتصال بالجماهير عند الضرورة وشرح سياسة الجبهة وجمع المعلومات الضرورية لتنقلات الجيش الفرنسي وعملياته العسكرية وانه لدور أساسي وخطير لعبه المحافُظ السياسي ولقد ظهرت فعاليته بوضوح في المظاهرات الشعبية التي اكتسحت المدن في سنة 1961 و1962 .

2) انشاء أجهزة الإتصال اللاسلكي : سواء لربط فرق جيش التحرير الوطني فيما بينها أو فتح إذاعة قوية يسمع منها صوت الجزائر المكافحة وتبعث في قلوب الجزائريين الطمأنينة والإيمان بالنصر أو في النهاية وكالة للأنباء جزائرية تتكلم بصفة رسمية عن الثورة ، وبهذه الصفة تكتمل الجزائر الثورية استعدادها لبناء دولة عصرية إذ أصبح التنسيق والربط يجمع بين جميع أجزائها وأصبحت الثورة تملك الوسائل الكافية لمحاربة الدعاية الاستعمارية وشرح موقفها وأهدافها بصفة سريعة يتطلبها تطور الكفاح الذي خاضته .

3) استعمال وسائل الإتصال الأخرى كالصور والسينما والمسرح والغناء وهو جهد كبير برهن على القدرة التنظيمية التي وصلت إليها الجبهة وعلى سيطرتها على التقنيات الحديثة لإسماع صوت الثورة وكفاح الشعب الجزائري الذي أزال عنه عهد السكوت بصفة نهائية .

وهكذا لم تنته الحرب التحريرية بعد إلا وكانت الجزائر قد اكتسبت تجربة

قوية وعميقة ومتنوعة في ميدان الإعلام والإتصال الجماهيري بحيث وجدت نفسها عند الاستقلال برصيد وافر لإنطلاقة سريعة وموفقة .

1) كان لها أجهزة قائمة في الإعلام المكتوب والمسموع والمرئي وفي وسائل الإتصال الأخرى كالمسرح والغناء وغيرهما .

2) كان لها صحافيون ذو خبرة متينة .

3) كان يوجد شعور قوي بمكانة الإعلام في المجتمع وبالدور الذي يمكن أن يقوم به .

ولم يبق حينئذ إلا تدعيم هذه المكاسب واثرائها وتجنيدها في سبيل تنمية البلاد .

3 - تجنيد وسائل التبليغ لتنمية البلاد :

وهذا ما فعلته الجزائر غداة الإستقلال بعد أن تغلبت على العراقيل الموروثة من عهد الاستعمار ، فكيف جندت وسائل الإتصال في سبيل هذه الغاية إنني أرى أن هناك مرحلتين : المرحلة الأولى للتغلب والسيطرة على القطاع الإعلامي والثانية لتوسيع شبكة الإتصال وهناك مرحلة ثالثة لم تتم بعد وهي استعمال الوسائل الإعلامية في خدمة التنمية .

1) **السيطرة على القطاع الإعلامي** : وقد تمت هذه السيطرة على طريقتين : جزأرة وسائل الإتصال ثم هيمنة الحكومة والحزب على النشاط الإعلامي .

أ) جزأرة وسائل الإتصال : لقد كان ذلك سهلاً بالنسبة لجميع الوسائل التي كانت تحتكرها الدولة في عهد الاستعمار مثل الراديو والتلفزة وكذلك بالنسبة لبعض القطاع الثانوي مثل المسرح والسينما ومثل وكالة الأنباء التي كانت جزائرية في عهد الثورة فوضعت هذه المؤسسات كلها تحت السيادة الجزائرية وأصبح القطاع الذي تغطيه تحت تصرف الجزائريين .

أما بالنسبة للصحافة والكتاب فقد كان ذلك يكتسي نوعاً من الصعوبة ناتجة من وضعية هذا النشاط ابان الإستعمار حيث بقيت بعد الإستقلال تصدر بعض الصحف الإستعمارية التي كانت تظهر قبل الإستقلال مثل «لاديبيش الجزائرية أو

لاديبيش القسنطينية» وكان يديرها فرنسيون ولها أموال وتمويل خاص بها ، وكان عدد هذا النوع من الصحف يبلغ 13 صحيفة فبذلت الحكومة الجزائرية جهوداً لتصفية هذا القطاع وقد تم ذلك في أواخر سنة 1963 إذ توقفت جميع هذه الصحف بهذا التاريخ ماعدا جريدة واحدة وهي كانت جريدة حرة عن الحكومة الجزائرية واستمرت تصدر بهذه الحالة حتى 1965.

فتوقفت عندئذ وبذلك تمت جزأرة الصحف بالجزائر وأنشأت صحف جزائرية تشرف عليها السلطات الجزائرية وهي النصر بقسنطينة والشعب بالجزائر والجمهورية بوهران والمجاهد بالجزائر العاصمة وهي كلها جرائد يومية زيادة على الصحف الأسبوعية وغيرها .

ب) هيمنة الحكومة والحزب على النشاط الإعلامي ، وبما أن الصحافة الصادرة بالتراب الجزائري كانت لا تخضع للملكية الخاصة فان توزيعها وتوزيع الصحافة الأجنبية كان تابعاً للنظام الذي كان موجوداً قبل الإستقلال وكانت شركة هاشيت الفرنسية تكاد تغطي منفردة توزيع الصحف والكتاب ، وعلى هذا فان الهيمنة على هذا القطاع الحيوي لم تتم بعد وكان من الضروري اتخاذ تدابير خاصة بذلك فأنشأت الحكومة الجزائرية شركة وطنية للنشر والتوزيع وأعطتها صلاحية الاحتكار في ميدان توزيع الصحف والكتب واستيرادها وتصديرها وقد اتخذ هذا القرار في 19 أوت 1966 وبهذا الإحتكار استطاعت السلطات أن تفرض هيمنتها على القطاع الإعلامي وهذا الإحتكار لم يكن يشمل ميدان الطبع بمعنى أن النشر كان حراً في الجزائر بعد صدور هذا القانون غير أن التوزيع لم يكن حراً وقد أحدثت هذه الظاهرة نوعاً من الإضطراب لم يتفهمه البعض خصوصاً في ميدان الكتاب .

والحقيقة أن هذا القرار كان يهدف قبل كل شيء الهيمنة على ما يورد من الخارج سواء كانت صحافة أو كتاباً ومنع كل ما يحمل في طيه عداوة للجزائر ولمقوماتها الأساسية وهكذا منعت سنة 1967 بعد العدوان الإسرائيلي جميع الصحف الفرنسية وغيرها التي كانت تمجد إسرائيل وتهين العرب وكان المنع هذا يقصد به توزيع هذه الصحف والكتب لا غير .

غير أن هذا الإحتكار أدى الى نتائج ملموسة نذكر منها ثلاثة : - -

- رقابة الصحافة الأجنبية بصفة جدية وأضعاف آثرها الثقافي والسياسي .

- حماية الصحافة الجزائرية الناشئة من منافس قوي كان له قواعد راسية في البلاد .

- تقليص ملموس من تصدير العملة الصعبة .

ولكن - رغم هذه النتائج الإيجابية - فان قانون الإحتكار هذا خلق نوعاً من الإلتباس والغموض نتج عنه ركود في الإنتاج الثقافي .

وقد استمر الأمر على هذه الحالة حتى المدة الأخيرة بعد صدور **قانون الإعلام** في 6 فبراير 1982 . فجاء هذا القانون موضحاً لبعض الإلتباسات التي كانت موجودة .

فهو أولاً يثبت في المادة 60 أن الدولة تتولى احتكار توزيع النشريات الدورية الوطنية .

ويجدر بالاشارة هنا الى أن الدولة هي التي لها حق الاحتكار دون شركة معينة كما كان من قبل ، ثم فان الدولة هي التي توزع ممارسة هذا الإحتكار على مؤسسات اشتراكية مكلفة بالتوزيع مباشرة .

ومن جهة أخرى فان قانون الإعلام يميز بين صنفين من النشريات الدورية .

- الصحف الاخبارية العامة .

- النشريات الدورية المتخصصة .

أما الصحف الاخبارية العامة فان اصدارها من اختصاص الحزب والدولة لا غير (المادة 12) .

أما النشريات الدورية المتخصصة فهي ليست احتكاراً للدولة بل نشاطها مسموح لجميع المؤسسات التابعة للدولة وكذلك للجمعيات ذات النفع العام المأذون لها ، شريطة أن يتقدمه تصريح بإصدارها الى وزارة الإعلام 90 يوماً قبل ظهور العدد الأول .

هذه الإجراءات من شأنها ان طبقت ان تبعث حيوية أكثر في هذا القطاع لأنها تحدد قواعد هذا النشاط وتضع بصفة واضحة الإطار القانوني الذي يجري فيه ، ويبقى أن هذا القانون لا يذكر الكتاب وبذلك فان طبعه ونشره يجريان حسب ما يجري عليه من قبل .

2) المرحلة الثانية توسيع شبكة الإتصال وتقوية الوسائل : بعد أن فرضت الدولة هيمنتها على وسائل الإتصال اتضح أن هذه الوسائل لا تقوم بدورها على حسن ما يرام في تنمية البلاد فظهر أن هناك ضعفاً أو عجزاً في قدرة الإتصال وفي نوعية الإتصال فاتجهت الجهود اذا الى سد هذا الفراغ واعطاء قوة لوسائل الإتصال حتى تتمكن من أداء مهمتها فسعت الحكومة أولاً لبذل مجهود كبير لتوسيع شبكة الإتصال بواسطة الصحافة والراديو والتلفزة وثانياً لإعطاء نفس قوي لمضمون هذا الإتصال .

وقد شعرت السلطات بهذا الخطر وأخذت تضغط على الشركة الوطنية للنشر والتوزيع لكي لا تنظر الى عملية توزيع الصحافة الوطنية إلا من الزاوية المالية وأن تراعي فيها الجانب السياسي ومشكل الإتصال وفرضت عليها ضرورة توسيع شبكتها للتوزيع من جهة وأن تقلص من كمية الصحافة الأجنبية الموزعة من جهة أخرى ، وقد طبقت هذه السياسة الجديدة بصفة مطردة ابتداء من سنة 1976 .

ففي هذه السنة أصبح عدد البلديات التي توزع فيها الصحافة الوطنية يبلغ 578 يعني 80٪ تقريباً من مجموع البلديات وتقلص عدد النسخ من الصحافة الأجنبية الموزعة الى 324,000 يعني 25٪ أقل مما كان عليه في سنة 1972 .

ومازالت الشركة الوطنية في متناول جميع المواطنين وفي جميع القرى الجزائرية لتقوم هذه الوسيلة بدورها في تنمية البلاد .

الإهتمام بالوسائل السمعية البصرية :

يجب أولاً أن نلاحظ بصفة عامة أن المكتوب (ما هو مكتوب) وسيلة اتصالية قل أن وجدت رواجاً في العالم الثالث نظراً لتفشي الأمية فيها وبالعكس فان الوسائل السمعية البصرية خصوصاً الراديو من الوسائل التي يقبل عليها الجمهور بصفة متزايدة بدون عناء كبير ، ومما يلاحظ أيضاً أن في ميدان الراديو توجد منافسة كبيرة بين الراديو الوطني والراديو الأجنبي وخصوصاً الغربي منه بامكانياته العظيمة التي تجعله في متناول المستمعين في كل مكان في العالم ، والجزائر ليست في مأمن من هذا التدخل الذي من الصعب مراقبته وليس هناك وسيلة ناجحة في

هذا الباب إلا تقوية الراديو الوطني وجعله في متناول الجميع ، بالاعانة الحكومية وتوسيع شبكة الإرسال وتوزيع أجهزة الراديو والتلفزيون .

ونستطيع بهذا أن نقول أن الجزائر اكتسبت قدرة فنية قوية في ميدان الإتصال والتبليغ ولكن هذه القدرة غير مستغلة بصفة مرضية لتحقيق هدف التنمية ولكنه يوجد شعور قوي بضرورة تجنيد هذه القدرة في عملية التنمية ، والحقيقة أن ربط الإعلام بالتنمية يؤدي الى الحديث الى دور الاعلام ووظائفه وهذا ما سوف نتطرق إليه في مناسبة أخرى إن شاء الله .

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

فهرس الموضوعات

تمهيد

القسم الأول

القسم الثاني

الخاتمة

أنجز طبعه على مطابع
ديوان المطبوعات الجامعية
الساحة المركزية - بن عكنون
الجزائر